إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي ـ الجزائر

مواقف ونشاطات النخب الجزائرية حول قضية فلسطين 1930-2022م

تأليف جماعي

تنسيق وتقديم وإشراف
الأستاذ الدكتور علي غنابزية
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الوادي - الجزائر

Publications of Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies
Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria

The positions and activities of the Algerian elites On the issue of Palestine 1930-2022 AD

Collective writing

Coordination, delivery and supervision
Pr. Ali Ghanabzia
Faculty of Humanities and Social Sciences
El Oued University - Algeria

إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية – جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي ـ الجزائر

مواقف ونشاطات النخب الجزائرية حول قضية فلسطين 1930-2022

تأليف جماعي ضمن الأعمال العلمية لفرقة البحث

المتوطنة بمخبر إسهامات علماء الجز ائر في إثراء العلوم الإسلامية بعنوان:

النخب الجز ائرية وقضية فلسطين 1930-2000

تنسيق وتقديم وإشراف

الأستاذ الدكتور علي غنابزية

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

سامي
للنشر والطباعة والتوزيع

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies
كلية العلوم الإسلامية – جامعة الوادي
Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria
مخبر بحث معتمد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
تحت رقم (70). بتاريخ: 2015/02/21. الرمز: E0780400
الموقع الإلكتروني: https://www.univ-eloued.dz/index.php/8-univ/1818-lasceis

فرقة البحث : النخب الجزائرية وقضية فلسطين 1930-2000
رئيس الفرقة : الأستاذ الدكتور علي غنابزية
أعضاء الفرقة: الدكتور فاتح باهي، والدكتور الطاهر فرحات

- **الطبعة الأولى: 1445هـ / 2024م**
- **رقم الإيداع القانوني: ماي 2024م.**
- **ردمك:** 9789-969-517-67-5
- **عدد الصفحات: 286.**
- **المقاس: 16.5 × 24 سم.**

© محفوظة جميع الحقوق

- **التنفيذ الطباعي:**

سامي للنشر والطباعة والتوزيع
ولاية الوادي ـ الجزائر
032 14 93 39
0557 97 44 43
imp.alwady@gmail.com

تقديم رئيس المشروع

الديباجة:

تعتبر قضية فلسطين من أبرز القضايا في تاريخنا المعاصر في العالم عموما، ولكل بلد عربي علاقته بفلسطين منذ بداية القرن العشرين، وظهرت العلاقات والمواقف من قبل الجزائريين، وتجسدت أكثر لدى النخب الفاعلة، من الكتاب، والصحفيين، والسياسيين، والعلماء ومختلف الفئات المؤثرة، والتي استطاعت أن تبرز دورها السياسي في التاريخ المعاصر لفلسطين.

ومنذ تحكم اليهود في فلسطين، مارسوا عليها سياسات عدوانية، مظاهرها الظلم والطغيان، والقهر والتعذيب للشعب الفلسطيني قاطبة، وبذل الفلسطينيون أقصى ما لديهم من جهد وجهاد، وواجهوا المخططات الصهيونية بشتى الطرق والأساليب. وسجلت الشعوب مواقف عظيمة، على مستوى الشارع أو في الأوساط السياسية والثقافية، ومنها النخبة الجزائرية من المثقفين والعلماء والمفكرين والسياسيين، الذين كانت مواقفهم مشرفة منذ بدايات نشاط الحركة الصهيونية في فترة الحرب العالمية الاولى وإلى عام 2022.

ولم تقف النخب الجزائرية متفرجة، بل كان لها مواقفها المشرفة نحو القضية. التي لها مكانتها في قلوب الجزائريين عامة، وبرزت قيمتها من خلال الكتابات التاريخية والمنشورات التي دبجتها أنامل النخبة الجزائرية، وتجلت مواقفها في نصرة المقاومة المستمرة، والتصدي للمخططات الصهيونية، والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني. وتجسدت آثارهم ضمن شتى المدونات والمؤلفات والمقالات المنشورة، والصحافة المكتوبة، والدراسات العلمية، ومختلف وسائل التواصل الاجتماعي.

الإشكالية:

تتبوأ قضية فلسطين المكانة الأولى ضمن القضايا العالمية في تاريخنا المعاصر، وفي الوطن العربي بالخصوص، وتساهم الدول والشخصيات دوما في تقديم الدعم المادي والمعنوي، وتسجيل المواقف التاريخية من أجل تحرر الشعب الفلسطيني وتحقيق سيادته على أرضه؛ وللجزائر دورها الفعال على مختلف الأصعدة، وتعدى ذلك إلى النخب الوطنية الجزائرية، التي لها ارتباط وثيق بالقضية على مر الزمن. فكيف كان دورها، وما هو مسار تعامل النخب الفاعلة مع القضية في الفترة ما بين 1931- 2000؟

ومن هذا المنطلق، تم اعتماد فرقة البحث بعنوان: **(النخب الجزائرية وقضية فلسطين1930 -2000)** بجامعة الوادي، وشرع فريق البحث في بلورة الأهداف.

أهداف مشروع البحث:

- البحث العلمي في تاريخ العلاقات بين الجزائر وفلسطين منذ الهجمة الصهيونية.
- حصر المواقف النبيلة للجزائريين نحو فلسطين في محنتها.
- جمع المادة التاريخية حول علاقة الجزائريين بفلسطين، وتنظيمها في سياقها التاريخي.
- إبراز الدور الريادي للنخبة الوطنية الجزائرية نحو فلسطين.

برنامج البحث:

تم العمل وفق البرنامج المسطر لكل سنة، وانجز كما خطط له:

السنة الأولى: جذور قضية فلسطين وتطورها وموقف النخبة الجزائرية

- الجذور والروابط التاريخية بين الجزائر وفلسطين.
- تحديد النخبة الوطنية الجزائرية وإسهاماتها السياسية.
- مواقف النخبة الجزائرية من الوجود الصهيوني في فلسطين 1930-1945.
- المواقف الداعمة لقضية فلسطين بعد إعلان الدولة الصهيونية 1948.

السنة الثانية: موقف النخبة الجزائرية من السياسات الممارسة على الفلسطينيين

- النخبة الجزائرية والمقاومة الفلسطينية (حرب 1967- حرب 1973– الانتفاضة 1987).
- النخبة الجزائرية ومشاريع التسوية والتطبيع العربي.
- العلاقات والتواصل بين النخبة الجزائرية والفلسطينية وآليات التعاون.
- مواقف النخبة الجزائرية من الهزائم العربية وآثارها على القضية.

السنة الثالثة: موقف النخبة الجزائرية من السياسة الصهيونية

- مواقفها من سياسة التهجير والنفي والتشريد.
- مواقفها من سياسة الاستيطان والتدمير.
- مواقفها من الاعتداء على الهوية وتهويد القدس.
- مواقفها من العدوان على المدن والقرى الفلسطينية (الضفة والقطاع)

السنة الرابعة: كتابات النخبة الجزائرية حول قضية فلسطين

- المؤلفات والدراسات الجزائرية حول فلسطين 1930-2000.
- الكتابات الصحفية للنخبة الجزائرية حول القضية.
- النشاطات السياسية والثقافية واهتمامات النخبة بفلسطين.
- حوصلة جامعة والنتائج المستخلصة من الدراسة.

النشاطات الدراسية:

وتم عقد اليوم الدراسي الأول يوم 02 مارس 2020، وتأخر قليلا بسبب مواعيد علمية كثيرة في المؤسسة. والغرض منه تحقيق بعض الأهداف السالفة الذكر، وقدمت فيه ثلاث عشرة (13) مداخلة علمية من طلبة الدكتوراه والأساتذة، وهي كما يلي:

1-قراءة في مقال الصحفي الجزائري عمر راسم في الرد على الشيخ محمد رشيد رضا سنة 1914، حول الدولة اليهودية.

2- هجرة الجزائريين إلى فلسطين أواخر القرن 19- قراءة في العلاقات التاريخية.

3-انتفاضة قسنطينة ضد اليهود 1936 وعلاقتها بالقضية الفلسطينية.

4- موقف حركة انتصار الحريات الديمقراطية من تقسيم فلسطين 1947- موقف مصالي الحاج أنموذجا.

5- جمعية العلماء وقضية فلسطين.

6- دور النخبة الجزائرية في مواجهة العدوان الصهيوني على فلسطين والمشاركة في حرب 1948.

7- الفضيل الورثيلاني والقضية الفلسطينية.

8- مظاهر دعم جمعية العلماء المسلمين للقضية الفلسطينية 1931-1954.

9- الدور النضالي للجزائري المقدسي محمود الأطرش 1903-1939.

10- موقف الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي من القضية الفلسطينية في الأربعينيات من القرن العشرين.

11- دعم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية للقضية الفلسطينية من خلال جريدة المغرب العربي 1947-1949.

12- موقف جريدة الأمة للشيخ إبراهيم أبو اليقظان من القضية الفلسطينية (1933-1938).

13- أبو اليقظان وجهاده الصحفي حول القضية الفلسطينية. جريدة ميزاب أنموذجا 1930.

وحقق هذا اليوم الدراسي ببحوثه المنجزة، والتي تم تقديمها وإثراؤها نحو 70% من الأهداف السابقة.

كما تم تنظيم اليوم الدراسي الثاني بعنوان: (مواقف النخبة الجزائرية من السياسات الممارسة على الشعب الفلسطيني 1956-2000)، وعقد يوم 29 مارس 2021، وتأخر قليلا بسبب جائحة كورونا، والتي أثرت على النشاط العلمي، وأهم ما ورد من مداخلات:

1- مواقف عبد الحميد مهري من قضية فلسطين.

2- مواقف الرئيس الجزائري هواري بومدين من قضية فلسطين.

3- الصراع العربي الصهيوني من خلال مذكرات أحمد طالب الابراهيمي (حرب 1967- حرب 1973 أنموذجا).

4- الجزائر والحرب العربية الإسرائيلية سنة 1967 من خلال رواية العقيد الطاهر الزبيري.

5- دور الجزائر في الحروب العربية الصهيونية (1967-1973) من خلال كتابات محي الدين عميمور.

6- انطلاق الانتفاضة الفلسطينية سنتي (1987-1988) من خلال كتابات النخبة الصحفية في مجلة المجاهد الجزائرية.

7- مواقف الشيخ محمد بوسليماني من قضية فلسطين.

8- مواقف السلطة والمعارضة في الجزائر من مسارات التسوية والتطبيع في قضية فلسطين.

وحقق هذا اليوم الدراسي ببحوثه المنجزة، والتي تم تقديمها وإثراؤها نحو 60% من الأهداف السابقة.

أما اليوم الدراسي الثالث بعنوان: (مواقف النخبة الجزائرية من السياسة الصهيونية 1930-2000.)، وتم عقده يوم 27 أفريل 2022، وتم تقديم مداخلات من طلبة الدكتوراه والأساتذة، وهي كما يلي:

1- مواقف مالك بن نبي من قضية فلسطين.

2- موقف الشاعر الشيخ محمد العيد آل خليفة من السياسة الصهيونية في فلسطين.

3- موقف أحمد توفيق المدني من قضية فلسطين.

4- نشاطات الشيخ الطيب العقبي الداعمة لقضية فلسطين ضد الانتداب البريطاني.

5 - موقف النخبة الجزائرية من أعلام الإصلاح حول مشروع التقسيم وقيام دولة إسرائيل (1931-1948).

6 - موقف الشيخ محمد السعيد الزاهري في بداية الثلاثينيات من الصهيونية وبوادر احتلال فلسطين.

7- جريدتي " المساواة "égalité" والجمهورية الجزائرية « République Algérienne" وقضية فلسطين (1947 – 1948).

8- مواقف أعلام حركة الانتصار من قضية فلسطين.

9- مواقف النخب الإصلاحية من قضية فلسطين- الشيخ محفوظ نحناح أنموذجا.

10- موقف أعضاء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من الكيان الصهيوني، وقضية الكاتب قادة بورطان أنموذجا 1948.

وكان اليوم الدراسي الرابع بعنوان: (كتابات النخبة الجزائرية حول قضية فلسطين 1930– 2022)، وتم عقده يوم 30 أكتوبر 2022، وتم تقديم مداخلات من طلبة الدكتوراه والأساتذة، وهي كما يلي:

1- نماذج من كتابات النخب الثقافية بوادي سوف حول قضية فلسطين في بدايات القرن الحالي.

2- مواقف محمود بوزوزو من قضية فلسطين من خلال جريدته المنار.

3- اهتمامات النخبة الإصلاحية الجزائرية بالقضية الفلسطينية (1930-1954).

4- دور النخب الإصلاحية في الجزائر من خلال الخطاب النثري في دعم قضية فلسطين.

5- التغطية الإعلامية للقضية الفلسطينية في الصحافة الجزائرية الرسمية - جريدة الشعب أنموذجا.

6- مواقف الصحافة الجزائرية من ميلاد إسرائيل-(صحيفة المغرب العربي أنموذجا).

7- القضية الفلسطينية من خلال شعر الشيخ أحمد سحنون.

8- دور الكاتب سهيل الخالدي في التعريف بقضية فلسطين.

9- نموذجان من الشعر الفصيح والملحون لشخصيتين من النخبة الجزائرية بمنطقة سوف - العروسي حويتي والهادي جاب الله - عن القضية الفلسطينية.

10- الأعرج وقضية الهوية والاغتراب بعد نكبة عام 1948م - رواية سوناتا لأشباح

القدس أنموذجا.

أما في الأخير فيمكن تقديم الملاحظات حول المقالات المنشورة في الكتاب، حول النخب الجزائرية وقضية فلسطين:

-كان للجزائريين السبق في الهجرة إلى بلاد الشام وفلسطين في منتصف القرن التاسع عشر، واستقرارهم النهائي، وتأسيس قرى فلسطينية جزائرية خالصة. وذلك في وقت مبكر، من إدراك خطر الصهيونية في فلسطين، ورأوا بأم أعينهم الامتداد اليهودي، وعرفوا خطره، وقاوموا الانتداب البريطاني، وشاركوا في الثورات. وظل الرباط وثيقا بين الجزائر وفلسطين من خلال التواصل مع الحركة الوطنية الجزائرية.

- وقد تصدى لليهود ثلة من رجال الصحافة الجزائريين، وكان أبرزهم العمرين الشجاعين، عمر بن قدور، وعمر راسم، عندما كتبا بعمق، وتتبعا مؤامرات اليهود، وفضحوا خططهم في صفحات الصحف التونسية، ثم أسسوا صحفا خاصة بهم، حملت مشعل المقاومة لهذا الأمر الخطير. وأهم تلك المقالات التي كتبها عمر راسم، بعنوان "المسألة الصهيونية" على أبواب الحرب العالمية الأولى، في رده على أحد كبار علماء الإصلاح في المشرق العربي، صاحب جريدة المنار الشيخ "محمد رشيد رضا"، وكان عمر راسم صريحا في رده، وكال الضربات لليهود بدون هوادة، مبرزا معدن الجزائري الأصيل، الذي أدرك ذلك الخطر في وقت مبكر.

- أما العلماء والدعاة في الجزائر – خلال الاحتلال وبعد الاستقلال – فكانت لهم مواقفهم النبيلة حول قضية الأقصى وفلسطين، بداية من الشيخ محمد السعيد الزاهري، الذي تحاور مع اليهود في مدينة وهران سنة 1933، وبين لهم كيف يتباكون عما حدث لهم في أوروبا ويستغلونه لتعاطف الناس معهم، وكيف عاملهم العرب والمسلمون بأخلاق عالية. وناقشهم في الصهيونية وخطرها، ودور الدول الغربية في الانتداب البريطاني الذي منحهم تلك الامتيازات. كما كان للأستاذ أحمد توفيق المدني حضوره في تاريخ فلسطين منذ وعد بلفور، وحتى قرارات التقسيم، وإعلان دولة اليهود، وسجل ذلك في كتاباته الصحفية، ومشاركته في لجنة الدفاع عن فلسطين.

وفي نفس السياق، كان الشيخ الثائر الطيب العقبي، يرى في قضية فلسطين قضية

كل المسلمين، وليست للفلسطينيين وحدهم، والأقصى الشريف هو المزار الشرعي كما ثبت في القرآن والسنة النبوية الشريفة، وتصدى لبريطانيا في حينها، ولكل قراراتها ودعمها لهذا الكيان الذي أوجدوه، وأوقفوه على أقدامه، وزرعوه خنجرا مسموما في جسد الأمة الإسلامية. وساهم في تأسيس لجنة الدفاع عن فلسطين في نادي الترقي بالجزائر. وظل مدافعا على القضية إلى آخر رمق في حياته.

بينما كان مالك بن نبي يؤكد على الخطر الذي يفوق الوجود الاستعماري في بلاد المسلمين، هو إشكالية المسلمين في ذواتهم المنهزمة، وقبولهم الاستعمار والتهاون في الثورة ضد أوضاعهم. أما الدعاة والسياسيين الجزائريين، فتم عرض مواقف الشيخ محفوظ نحناح كرمز للحركة الإسلامية في الجزائر ولا سيما منذ الثمانينيات وحتى آخر القرن الماضي، والذي كانت قضية فلسطين الهم الذي يؤرقه ليلا ونهارا، والهدف الذي سطره، وظل وفيا له، مدعما للقضية في المحافل الدولة، والملتقيات الوطنية، والبرامج الحزبية، والكتابات الصحفية، والخطب المنبرية، والزيارات للبلدان العربية القريبة من فلسطين. ويعتبرها (قضية عقيدة ودين وليست قضية أرض وطين).

أما النخبة السياسية الجزائرية، فقد توجت بالواقف الشجاعة والنبيلة، الداعمة دعما مطلقا لفلسطين وبدون حدود، وفي مقدمتهم الرئيس الجزائري هواري بومدين، الذي عرف بعداوته للمشروع الصهيوني في فلسطين المحتلة في حله وترحاله، وفي تصريحاته واجتماعاته مع الشخصيات السياسية والعسكرية والعربية والأجنبية، وعلى أوسع نطاق. وفتح المجال في أرض الجزائر واستضاف الفلسطينيين كلما طلبوا ذلك، وفتح لهم باب الكلية العسكرية في شرشال، ودعم الحروب العربية التي أوجعت الصهاينة في معركتي 1967-1973. وذهب إلى أبعد من ذلك، بمقولته الخالدة (نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة).

أما العقيد الطاهر الزبيري، قائد الأركان آنذاك، فيذكر -عن قرب - المشاركة العملية للجيش الجزائري في حرب 1967، وشارك الضباط والجنود بكل احترافية وشجاعة، وكان هدفهم – بعد تحرير الجزائر – هو قهر اليهود، وتحرير فلسطين، وكان لهم الدور الفاعل بعد انكسار الجيوش في المنطقة العربية. ولكن إلى جانب العسكري والسياسي، برز المجاهد والسياسي البارع، والدبلوماسي الحكيم عبد الحميد مهري بمواقفه المتميزة حول

قضية فلسطين، وأعطاها وقتا كافيا، وتولى مسؤوليات معتبرة في الهيئات المدافعة عن الأرض والإنسان والمقدسات، ومثل الجزائر أحسن تمثيل، من منطلق عقدي وليس سياسي، إلى جانب التنظير، وطرح الأفكار الجديدة، وكان ممثلا لمؤسسة القدس في الجزائر، واستمر في مسيرته إلى أن لقي لربه. وهذا جعل الجزائر حكومة وشعبا تقف موقفا واضحا تجاه عمليات التسوية والتطبيع، وتبين خطرها على القضية، ومثلها في ذلك رجال النخبة من الطرفين الحكومي والشعبي.

أما الصحف والجرائد الجزائرية، في عهد الحركة الوطنية، وبعد تحرير الجزائر، فقد عبرت بالأقلام الحرة، التي نثرتها أنامل النخبة المثقفة، والكتاب الصحفيون، سواء كانت صحف تابعة للأحزاب والحركات، أو ذات الطابع الرسمي، أو الجرائد المستقلة. وكلها أكدت على الوقوف الثابت مع قضية فلسطين ونصرتها بشكل مطلق ومسؤول. ومنها على سبيل المثال: "جريدة المغرب العربي" لسال حال حركة الانتصار في عام 1947، وتصدت لقرار التقسيم، ونددت بقيام إسرائيل عام 1948، ودعت العرب للتكاتف ضد الصهيونية والاستعمار الغربي الداعم لها. وشجعت على الدعم المادي والمعنوي، ونقلت أخبار المتطوعين الجزائريين الذين لبوا النداء للدفاع مع إخوانهم العرب والمسلمين في أرض فلسطين. كما واكبت الصحافة في جزائر الاستقلال الجهاد الفلسطيني، ودعمته، مثل: "مجلة المجاهد" لسان حال حزب جبهة التحرير، والتي رافقت أحدات الانتفاضة الأولى 1987، معبرة عن النخبة الوطنية المتوافقة مع منظمة التحرير، ولكنها لم تطرح في مقالاتها أي أخبار عن حقيقة الانتفاضة الشعبية، التي قادها أطفال الحجارة، أو بالأحرى أطفال المساجد، الذين رفعوا شعار العقيدة والموت الشريف وبذل الدماء، التي هي أحسن تعبير عن الجهاد والشجاعة النادرة.

كذلك الشأن كانت جريدة "الشعب" حاضرة في كل الأحوال، وتقوم بتغطية الأحداث، ورصد الأخبار على المستويين الوطني والدولي، وتكشف الانتهاكات الصهيونية التي أنهكت الشعب الفلسطيني، ومعاناته ولا سيما في غزة والضفة الغربية، مبرزة دور السلطات الجزائرية في نصرة القضية الفلسطينية، ولا يصدر عدد من الجريدة إلا ويشير للقضية بكل أبعادها. ونجد الشيخ إبراهيم أبو اليقظان الميزابي، من أكثر الذين بثوا الوعي، لأنه يعتبر "شيخ الصحافة الجزائرية" الذي قاوم الاستعمار الفرنسي، وكانت قضية فلسطين

حاضرة في كل جرائده، حتى أن صحيفته الثانية "ميزاب" التي أصدرها سنة 1930، أوقفت بعد صدور عددها الأول، لأنه خصصه لفلسطين. ومنعت من الصدور مرة ثانية. ولكن همته كانت عالية وأصدر بعدها ست (06) صحف استمرت إلى عام 1938، منافحا فيها عن فلسطين.

وحتى التيار الاندماجي، الذي تزعمه فرحات عباس، فلم يتخلف عن الركب، وناصر القضية، والمطلع على جريدتي الحزب وما يدور في فلكه يدرك ذلك جليا، ولاسيما في جريدتي "المساواة" و"الجمهورية الجزائرية" بين سنتي 1947-1948، وكانت مواقفها معارضة الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين العربية، وتدعو إلى تدخل الجيوش العربية لإنقاذ الشعب الفلسطيني، وتمكينه من تقرير مصيره ودحر المشروع الصهيوني في فلسطين.

وكانت كتابات الجزائريين، وإبداعاتهم الأدبية، ومعالجاتهم الفكرية، تستوعب قضية فلسطين، وتجعلها في المراتب الأولى، وندرك ذلك مما ورد في هذا الكتاب من دراسات، وفي مقدمتها نماذج من كتب نشرها المثقفون من النخبة بوادي سوف في بداية القرن الحالي، التي أبرزت موقف الرئيس الراحل هواري بومدين من خلال خطاباته حول فلسطين ودعمها بدون شروط. وكذلك القصة القصيرة حول "الأرض المباركة" التي بينت في فصولها معاناة الفلسطيني ومواصلة كفاحه إلى آخر رمق، وإيمانه بقضيته. ونفس الأمر في كتاب "فلسطين الحجر وتد القضية الفلسطينية" الذي كانت زفرات ووجع نثره الكاتب، يدعو به بني قومه إلى الانتفاضة من أجل التحرير. وكان للشعراء دورهم الفعال في نظم قصائدهم، وخصوصا الشاعر محمد العيد آل خليفة، والشيخ أحمد سحنون. والمقالات النثرية التي كتبها ابن باديس في "الشهاب"، والشيخ محمد البشير الابراهيمي في "البصائر"، وفرحات بن الدراجي ولا سيما بعد العتو الصهيوني قبل سنة 1948، وبعدها خلال فترة الحركة الوطنية الجزائرية. وكذلك الشأن لشعراء وادي سوف، الشاعر الشيخ "العروسي حويتي" والشاعر الشعبي " الهادي جاب الله"، وكلها تقطر من الوطنية، وترفع لواء النصرة عاليا. ولم تتخلف الرواية الجزائرية عن تصوير فظاعة التغريب، ومعاناة الفلسطينيين في أرض الشتات، ورغبتهم الجامحة في العودة إلى القدس الشريف، وهو ما صوره الروائي الجزائري الأعرج في روايته حول سونتانا لأشباح القدس.

النتائج:

تم جمع مادة تاريخية حول النخبة الجزائرية، وإبراز دورها في دعم قضية فلسطين سياسيا، وإعلاميا، وماديا. وتم انتقاء المحاضرات في هذا الكتاب الجماعي. الذي نتمنى أن يكون نافعا مفيدا.

والله من وراء القصد وهو الهادي على سواء السبيل.

رئيس الفرقة:

الأستاذ الدكتورعلي غنابزية

الوادي يوم: 2022/12/20

القسم الأول

إدراك الجزائريين
خطر الصهيونية على فلسطين

العلاقات الجزائرية الفلسطينية ومظاهرها 1900-1948
- قراءة تاريخية -

د/ فاتح باهي - جامعة الوادي

مقدمة

يعود الارتباط التاريخي والديني للجزائريين بالشام وفلسطين إلى عهود قديمة منذ دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا، حيث سمحت الزيارات المتتالية للجزائريين وسكان المغرب عموما لتلك الديار بإقامة علاقات متينة مع أهاليها، فكان أهل الجزائر عندما يقصدون بلاد الحجاز لأداءِ فريضة الحج يرون من الأكيد أن يمرّوا ببيت المقدس للصلاة في المسجد الأقصى، وزيارة الأماكن المقدّسة ببلاد فلسطين، وخلال القرن التاسع عشر هاجر إلى فلسطين مئات المهاجرين من الجزائر وكانت دوافع الهجرة متعددة، غير أنّ أبرزها هو الهروب من الواقع الذي فرضه الوجود الاستعماري في الجزائر، وتوطّدت العلاقات الجزائرية الفلسطينية في مراحل لاحقة، وبرزت مظاهرها في مجالات عديدة وحملت أبعادا متنوعة زادت من تلاحم الشعبين الجزائري والفلسطيني.

وبعد تعرّض فلسطين للمؤامرة الصهيونية نهاية القرن التاسع عشر الميلادي واحتلالها من طرف بريطانيا، التي سلّمتها لليهود عبر مراحل وخطط مدروسة انتهت بقيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، ونشوء المشكلة والقضية الفلسطينية كأبرز القضايا في القرن العشرين، زادت العلاقات الجزائرية الفلسطينية متانة وصلابة، ميّزها التعاطف الشعبي والدعم الإنساني للدولة والمجتمع الجزائري للفلسطينيين في مأساتهم ومعاناتهم التي خلّفها الاحتلال الصهيوني في أرض فلسطين.

وسنتطرق في هذا المقال إلى بيان مظاهر العلاقات الجزائرية الفلسطينية أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عن طريق عرض العناصر الآتية:

- حركة هجرة الجزائريين إلى الشام وفلسطين أواخر القرن 19م.
- مظاهر العلاقات الجزائريّة الفلسطينية.
- مواقفُ الجزائريين من الأحداث المتسارعة في فلسطين قُبيْل قيام الكيان

الصهيوني.

- خاتمة تضمّنت أهمّ النتائج المتوصّل إليها بعد إتمام هذه الدراسة.

أولا: هجرة الجزائريين إلى الشام وفلسطين:

بإمكاننا التأريخ لبداية الهجرة الجزائرية نحو المشرق والشام[1] بدايةً من سنة 1832 حسب ما ذهب إليه الأستاذ عمَّار هلال،[2] أي بعد سنتين من سقوط مدينة الجزائر، لكنها على ما يبدو لم تتحوَّل إلى ظاهرةٍ مثيرةٍ للاهتمام إلّا مع نهاية القرن 19م، فيما اِعتبر المؤرّخ الفرنسي شارل روبير أجرون في كتابه "الجزائريون المسلمون وفرنسا" [3] أنّ أهم هجرات الجزائريين إلى بلاد الشام كانت في سنوات 1837، 1849، 1854، 1861، 1864، 1870، 1871، 1874، وصولاً إلى ما يُعرف بالهجرة التلمسانية في سنة 1911م.[4]

لم تكن الهجرة إلى بلاد الشام منذ القرن 19م وصولاً إلى بداية القرن العشرين مُرخَّصة من الإدارة الاستعمارية، وقد درست كل أبعادها من خلال تكليفها لمختصين إعداد تقارير مُفصَّلةً عنها؛ تقارير لوسياني، فارني، مارسي...الخ، فيما انقسم موقف المستوطنين في تحليلهم لأبعاد الظاهرة وتداعياتها على مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية بين رأيين متناقضين. يشجع الأول الهجرة باعتبارها تساعدهم على استيطانٍ أوسع وأقوى بالاستيلاء على مزيدٍ من الأراضي وتُقوّي موقعهم كجماعة ضغط مُؤثّرةٍ في السياسة الفرنسية، فيما ذهب الرأي الثاني إلى أن للهجرة الجزائرية الكثيفة تداعيات سلبية على مصالحهم الاقتصادية باعتبارها تعني ضمنياً نقصان اليد العاملة الرخيصة، وهو الرأي الذي تبنَّته في النهاية الإدارة الفرنسية، وجسَّدته على أرض الواقع بمجموعة من القوانين والإجراءات التي هدفت بها ردع "الأهالي" عن الهجرة كإلغاء منح جوازات السفر، واستعمال القوة ضد جلب من لا يمتلك ترخيصاً منهم، ويبدو أن كل هذه الإجراءات القمعية لم تتمكن في النهاية من الحد من الظاهرة بل لعلَّها أعطت نتائج عكسية.[5]

يقول المؤرّخ سعد الله: ظلّ الجزائريون يرحلون إلى بلاد المشرق العربي لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم أو للتجارة، قبل الاحتلال الفرنسي، وبعد الاحتلال رأوا فيه ملجأ للأمن والاستقرار.[6]

وظلّ الاتصال بين الجزائر وبلاد المشرق العربي، وخاصة فلسطين قائم دون انقطاع، وقد جسّد الجانب الديني والثقافي أبرز صور ذلك التواصل، فقد كانت هجرة العلماء

الجزائريين نحو الشام والحجاز قائمة منذ القرن التاسع الميلادي، واستمرت بتلك الصورة إلى القرن 12 الميلادي الذي كان بالنسبة للحركة الثقافية في بلاد المغرب وخاصة الجزائر خطا فاصلا بين مرحلتين، إحداهما مرحلة ركود وفتور، والأخرى مرحلة انبعاث وازدهار ثقافي، وتواصلت بأكثر كثافة في الفترة المنحصرة بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.[7]

وزادت هجرة الجزائريين في مطلع القرن العشرين إلى بلدان عديدة منها المغربْ وتونس، إذ وصل عدد المهاجرين إلى 20 ألف مهاجر. كما تجاوَز عدد المهاجرين الجزائريين إلى بلاد المشرق ستون ألف مهاجر (منهم 20 ألف إلى مصر و 6 آلاف إلى فلسطين، و30 ألف إلى شبه الجزيرة العربية.) وقد ارتبطت أسباب زيادة الهجرة في هذه الفترة، بفتاوى العلماء بكفرِ الذين يموتون تحت العلم الأوروبي، بظهور بوادر الحرب العالمية الأولى.[8]

ولم تنطلق موجات الهجرة الجزائرية إلى الخارج من مدينة أو منطقة معينة، بل مسّت معظم أنحاء الجزائر، فهاجر سكان منطقة القبائل الصغرى والكبرى ومناطق الغرب الجزائري: تلمسان، تيارت، سيدي بلعباس، فرندة، ومنطقة قسنطينة، وكذا منطقة الأوراس، واستمرت طوال فترات متتالية، الأمر الذي صعّب من مهمة التحكّم فيها من قبل السلطات الاستعمارية، التي رأت فيها خطراً على مخطّطاتها التي شرعت في تنفيذها في الجزائر.[9]

ومن أهمّ الهجرات الجزائرية، نجد هجرة "أحمد بن سالم" سنة 1847م، حيث هاجر معه ثمانون شخصا من أفراد عائلته وأتباعه من مدينة دلّس وضواحيها، ونزلوا في ميناء بيروت سنة 1853م، وتنازلوا عن كل ما يربطهم بفرنسا الاستعمارية، وتمّ استقبالهم في دمشق، ومنحتهم السلطات العثمانية بعض الأراضي الزراعية، في منطقة الجليل التي تعتبر مدينة عكا مركزها.[10]

رأت السلطات العثمانية أنّ المهاجرين الجزائريين هم عبارة عن مواطنين انتقلوا للعيش من جزءٍ إلى جزءٍ آخر من أراضيها، ومنحتهم الدعم الماديّ، وأعفتهم من الخدمة العسكرية لمدة عشرين عاماً، وخصصت لهم أراضٍ من أراضي الدولة، حتى أن العثمانيين عيّنوا مسؤولاً للعناية والاهتمام بأماكن سكن الجزائريين، ولقد طلبت السلطات العثمانية من المهاجرين الامتناع عن أي علاقة مع فرنسا، والتعهد بعدم طلب أي حماية أو رعاية أجنبية.[11]

موجات الهجرة: يمكن تقسيم فترات هجرة الجزائريين إلى بلاد الشام وفلسطين إلى أربع موجات:

- الهجرة الأولى: 1847-1860. - الهجرة الثانية: 1860-1883. - الهجرة الثالثة: 1883-1900.

- موجة الهجرة الرابعة: 1900-1920. كان الدافع الأساسي للهجرة في هذه الموجة هو نيّة الفرنسيين في الجزائر فرض التجنيد العسكري الإجباري على سكان الجزائر. وقد فضّل المعارضون لهذا القانون من منطقة تلمسان، وعلى رأسهم الشيخ محمد بن يلس، الهجرة على أن يخدموا في الجيش الفرنسي حيث تم إسكان أغلب مهاجري هذه الموجة في مناطق حوران وفي حوض دمشق (الغوطة)، وقلّة منهم فقط تم إسكانهم في فلسطين.

وحمل غالبية الجزائريين الذين شدّوا الرحال إلى بلاد الشام معهم مآسيهم وذكرياتهم وارتباطهم بتنظيمهم القبلي والديني الذي رخَّص وبارك لهم هذه المغادرة إلى بلاد بعيدة، مرفوقين بأزواجهم وأولادهم، في رضوخ واضحٍ للأمر الواقع باعتبار أنّ الهجرة مع كل العائلة تعني ضمنياً إبعاداً لنية الرجوع، ومن الطبيعي أنَّ غالبية العائلات المهاجرة كانت تنتمي إلى الفئات الاجتماعية الأكثر تضرراً بالتحوُّلات التي أحدثها الاقتحام العنيف للنظام الرأسمالي الاستيطاني، وهم المزارعون ومُلاَّك الأراضي في السهول الخصبة في وسط وغرب الجزائر أو من سكان منطقة القبائل الجبلية.[12]

استقر عدد هام من الجزائريين في فلسطين، حيث أصبحوا بعد سنوات قطعة أساسية من النسيج الاجتماعي للمنطقة، وانصهروا في المجتمع الأصلي، واكتسبوا تقاليد وعادات السكان الأصليين، فتحصّلوا على الأراضي الزراعية، وتمّ إعفاؤهم من الخدمة في الجيش، وكان لهم تمثيل في جميع الإدارات والمدارس.[13]

وكان الجزائريون أكثر فئات المهاجرين تأثيراً في مصير البلدان التي وصلوها بما فيها تلك التي وصلت فلسطين، وقد استقرّ أفرادها في مدن كثيرة منها حيفا وطبريا وصفد التي كانت ملاذاً لأحمد بن سالم خليفة الأمير عبد القادر، وقاموا بعد ذلك بتأسيس نحو عشر قرى أربعة منها في الجليل الأسفل وهي "شعرة" و"عولم" و"معذر" و"كفر سبت" وأربعة أخرى في الجليل الأعلى وهي "هوشا" و"ديلاتا" و"علما" و"ديشوم"، وكذلك قريتي "التليل" و"الحسينية" على ضفاف بحيرة الحولة.[14]

ثانيا: مظاهر العلاقات الجزائريّة الفلسطينية مطلع القرن 20م:

كان اهتمام الجزائريين بقضية فلسطين منذ أيامها الأولى، رغم وقوع الدول المغاربية والجزائر تحت سلطة الاستعمار الفرنسي، ونضالها وكفاحها من أجل نيل استقلالها، حيث بعد وضوح خِطط الصهاينة عقب وعد بلفور المشؤوم، وسياسة الانتداب البريطاني المطبّقة في بلاد فلسطين، اِتّجه اهتمام الجزائريين إلى دعم الفلسطينيين بشتّى الطرق والوسائل، وحسب الإمكانات المُتاحة آنذاك، وتجّلت أهمّ مظاهر العلاقات في:

1- ثورة البُراق الشريف1929م:

اندلعت هذه الثورة عام 1929م من حارة المغاربة بالقدس، وكان للجزائريين وللأمير سعيد دورٌ في مجرياتها، وفي الصراعات التي تبعتها، ذلك أنّ حارة المغاربة مُلاصقة للجدار الغربي للمسجد الأقصى، والذي يدّعي اليهود أنّه حائط المبكى، فقد أرسل أمين الحسيني[15] إلى الأمير محمد سعيد الجزائري بصفته ممثّل الجاليات المغاربية من ليبيا إلى شنقيط، يطلب منه الحضور إلى القدس للتدخّل في حلّ المشكلة مع اليهود، ولبّى الأمير الدعوة وقدّم مُذكّرة واضحة إلى لجنة التحقيقات التي شكّلتها بريطانيا.[16]

ومن صُور دعم الجزائريين المُقيمينَ في فلسطين لِنضالِ الشعب الفلسطيني هو دفاعهم عن الأوقاف الخاصة بهم في تلك البلاد المباركة، والتي حاول الصهاينةُ الاستحواذ عليها بالقوّة والتحكّم فيها، نجد ما قام به الجزائريون الذين حرّروا مذكرة وأرسلوها إلى لجنة البراق الدولية، حيث شرحوا فيها كيف اِعتدى الصهاينة على حائط البراق الشريف، وكذلك الدفاعُ عن أحقيّة المغاربة والجزائريين في أوقافهم بحارة المغاربة.[17]

وكان لثورة البُراق نتائج داخلية وخارجية، منها اتّخاذ الفلسطينيين موقف العداء من البريطانيين، الذين باشروا حملة قمعٍ ضدّ الفلسطينيين، حيث استخدموا الطائرات والمدرّعات، فضلاً عن الدّمار الذي لحق بقرية لفتة ودير ياسين، وتمّ تقديم ألف شخص للمحاكمة، وصدر الحكم بإعدام ستة وعشرون شخصا، (خمسة وعشرين فلسطيني ويهودي واحد).

2-الجزائريون والثورة الفلسطينية الكبرى:

يعدّ المغاربة الذين هاجروا إلى فلسطين، وعلى رأسهم الجزائريين من روّاد الكفاح

الفلسطيني المسلّح، فقد انخرط المهاجرون الجزائريون في الثورة الفلسطينية الكبرى بقيادة أبو عاطف محمود سليم الصالح في صفد، والحاج أزغيش في حيفا، وفي طبرية قاد الكفاح الجزائري أحمد بن محمد عيسى.[18]

لقد دافع المهاجرون الجزائريون عن فلسطين، حيث شاركوا في العديد من الثورات، خاصة الثورة الكبرى 1936-1939، فقد شكّلوا فرقا متنقلة مؤلفة من ثلاث فصائل: الفصيل الجوال في منطقة صفد بقيادة محمد سليم الصالح، وكنيته أبو عاطف، وأصلهُ من منطقة دلّس. وفصيل النسيف في طبريا بقيادة محمد بن عيسى وابنه أحمد، وهما من منطقة سيدي عيسى بالجزائر.[19] والفصيل الجوال في منطقة حيفا بقيادة الحاج وحش أرغيس، اصاه من أم البواقي. وكانت هذه الفرقة قد تأسّست إثر اجتماع وُجهاء الجزائريين في منزل مختار فرية معذر عيسى الحاج أحمد الرقايقي، وأصله من منطقة البويرة. وقد لعب الأمير سعيد والشيخ عبد القادر المبارك دورا كبيرا في شراء الأسلحة.[19]

إضافة إلى الدور الاستراتيجي الذي لعبته القرى الجزائرية في الخليل، كونها قناة الإمداد الحقيقية بالسلاح للثورة، حيث خاض الجزائريون معارك مشرّفة في هذه الثورة 1936-1939، فقد هاجم محمد بن عيسى، مستعمرة "يما" وقتل خفيرين من خفرائها وهاجم حافلات اليهود التي كانت تسير تحت حماية الجنود البريطانيين في عطوشة، فقتل عشرة من اليهود وجرح آخرين، قبل أن يستشهدْ.

3-الناشطون الوطنيّون وقضية فلسطين:

مع حلول ثلاثينيات القرن الماضي أصبحت مواقف المغاربة والجزائريين جليّةً تُجاه قضية فلسطين، فقد اتّصل مصالي الحاج بقادة العمل الفلسطيني، حيث أكّد لكلّ من الحاج أمين الحسيني، الذي التقى به في أكتوبر 1931م، ورئيس حكومة فلسطين أحمد حلمي باشا الذي التقى به في شهر نوفمبر من نفس السنة، دعمَ الجزائريين لإخوانهم في النضال، وبحث معهما طُرُقَ دعم قضية المسلمين المركزية، قضية فلسطين.[20]

كما ارتبط المهاجرون الجزائريون في فلسطين بالحركة الوطنية ونشاطها، إذْ كانت لهم علاقة بجمعية العلماء الجزائريين، وحزب الشعب الجزائري، فإلى جانب نشاط الشيخ الإبراهيمي التعليمي في دمشق في فترة العشرينات من القرن 20م، فإن الشيخ عيمور الهلالي - الذي أقام في مدينة غزّة، وانخرط في لجنة القدس العربية، وكان عضواً نشطا

فيها - كان يطوف القرى الجزائرية في فلسطين واعضاً وشارحاً للقضية الجزائرية والقضية الفلسطينية. وكانت الجمعيات التي أنشأها الجزائريون في المشرق صوتا للجزائر في تلك البلاد، كما مثّلت جمعية العلماء الجزائريين صوتا لفلسطين في الجزائر وبلاد المغرب عامة.[21]

ثالثا: مو اقفُ الجز ائريين من الأحداث المتسارعة في فلسطين قبيل قيام الكيان الصهيوني:

تسارعت الأحداث في فلسطين أواخر فترة الانتداب البريطاني وبعد قيام الكيان الصهيوني في فلسطين، وجاء الدعم المغاربي بطرُقٍ مختلفة، فتارة كان دعماً ماديّا، وأحيانا سياسيا، أو إعلاميا ومعنويا، فمثلا في الجزائر ورغم الظروف الصعبة التي خلّفها المستعمر الفرنسي، إلا أنّ ذلك لم يمنع الجزائريين من الاهتمام ومساندة الفلسطينيين.

ومن الأحداث التي لقيت ردود أفعال عربية، قرار تقسيم فلسطين سنة 1947م، حيث تناول الإعلام العربي هذا الحدث باهتمام كبير، نظرا لخطورة هذا القرار على الشعب الفلسطيني، فقد تناولت جريدة البصائر في مقال للكاتب أحمد توفيق المدني هذا الموضوع، دعا فيه الكاتب إلى الوقوف ضدّ هذا القرار، وأوضح ما يريده اليهود من العرب قائلاً:" ...في مدينة جنيف لجنة الأمم المتحدة، التي انتدبت للفحص عن أمر فلسطين تقريرها، فكان تقريراً من أعجب وأغرب ما خرج من قحف السياسة، في عصرنا الحديث، يرى الإنسان فيه بادىء ذي بدءٍ احتقار العرب وامتهان العروبة".[22]

والجدير ذكرُهُ أنّهُ في هذه الفترة كانت أغلب الدول العربية والمغاربية ومنها الجزائر تحت سلطة الاستعمار، سواء الاستعمار المُباشر أو تحت الحماية، غير أنّ قرار تقسيم فلسطين شكّل صدمةً عنيفة لكافة العرب في كل أنحاء البلاد العربية، التي انتشرت فيها المظاهرات والاحتجاجات، ووقعت فيها صدامات قوية، عقدت على إثرها اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية جلسة، حضرها معظم الرؤساء، قرّروا الوقوف ضدّ قيام دولة يهودية في فلسطين.[23]

أمّا بخصوص ردود الفعل من قرار قيام الكيان الصهيوني، في 15 ماي 1948م، فقد استنكرت الحركات الوطنية المغاربية ومنها الحركة الوطنية الجزائرية إعلان بن غوريون قيام هذا الكيان، حيث أعرب حزب الشعب الجزائري، إضافةً إلى حزب الاستقلال

المغربي، والحزب الدستوري الحرّ التونسي، عن تضامنه مع قضية فلسطين، حيث وجَّه رسالةً يوم 24ماي 1948م، إلى رئيس الحكومة الفرنسية "جورج بيدو"، شملت تحذيراً من اعتراف فرنسا بإسرائيل وما يترتّب عنه من عواقب وخيمةٍ لسكّان المغرب العربي.[24]

وكان لمكتب المغرب العربي دورٌ كبير، في دعم الفلسطينيين أثناء صراعهم مع إسرائيل وذلك تحت قيادة عبد الكريم الخطابي، حيث تكفّل المكتب بالمتطوّعين للجهاد، وقدّم لهم النصائح والتوجيهات، والحثّ على ضرورة اكتساب القوة في العمل والتضحية، وشرع الخطابي في الاتصال بثلاث دول هي: مصر والعراق وسوريا، من أجل إلحاق مجموعة من الضبّاط المغاربة بكلّياتها العسكرية.[25]

-النتيجة:

كان للعوامل التاريخية دورٌ في التواصل بين المشرق والمغرب، رغم الظروف المُزرية التي كانت تعيشها أقطار المغرب العربي الواقعة تحت نيّر الاستعمار ومنها الجزائر، حيث نالت قضية فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي، اهتماما كبيرا من قِبلِ الشعب الجزائري والحركة الوطنية الجزائرية، وظهر ذلك خاصة بعد قيام الكيان الصهيوني، فتوطّدت العلاقات والتلاحم بين الشعبين والبلدين، وتعاظمت قوّته أكثر بعد حصول الجزائر على الاستقلال، وانعكس ذلك على مسار الصراع العربي الإسرائيلي، من خلال تعدّد أوجه الدعم السياسي والإعلامي لقضية فلسطين في الإطار العربي والدولي، مثل قيام الجزائر بطرح قضية فلسطين في مُؤتمرات دُول حركة عدَم الانْحيَاز.

-الخاتمة

وفي نهاية البحث في موضوع العلاقات الجزائرية الفلسطينية أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي، توصّلنا إلى جُملة من النتائج أهمّها:

-يعتقد كثيرون أنّ العلاقات بين الجزائريين وفلسطين مرتبطة بزمن الحروب الصليبية، ويشوب هذا الاعتقاد قُصورٌ، لأنّ هذه العلاقات مُوغلةٌ في القِدَمِ، فقد ارتبط تاريخ المغاربة بفلسطين منذ الأيام الأولى لدخول الإسلام إلى بلاد المغرب، بالإضافة إلى زيارة المغاربة لفلسطين بعد الانتهاء من أداء فريضة الحج.

- كان للمغاربة عموما والجزائريين على وجه الخصوص دورٌ كبير في فلسطين منذ

العهود الإسلامية الأولى حيث شاركوا إلى جانب صلاح الدين الأيوبي في حروبه ضدّ الصليبيين خاصة في معركة حطين الشهيرة، حيث ساهموا في تحرير بيت المقدس من الصليبيين سنة 1187م، وكان تعلّقهم بأرض فلسطين وبيت المقدس واضِحاً، يعود لأسباب واقعية وشرعية، نظراً لقدسيّة المكان، وبركة الأرض، ومكانتها في قلوب المسلمين، ممّا حملهم على حبّها وبذل النفس في سبيل الدفاع عنها وحملت الهجرة إلى بلاد الشام بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، والحماية الفرنسية على تونس والمغرب طابعا آخر هو البحث عن ملجأ آمن من التعسّف والاضطهاد، واستعمال القبضة الحديدية في وجه الثائرين.

-إنّ الجزائريّين هاجروا قسراً ابتداءً من القرن 19م بعد سقوط الجزائر في يد الاستعمار، حيث شدُّوا الرِّحال نحو بلاد الشام باعتبارها جزءاً من الخلافة العثمانية حاملة لواء الإسلام في تلك الفترة، وقد حافظوا على قدرٍ كبير من أعرافهم القبلية وتقاليدهم الريفية، وبقيت أرواحهم دائمة التعلُّق ببلادهم الأصلية، فساهموا بمعية باقي المهاجرين المتواجدين في بلاد المغرب (تونس والمغرب الأقصى) وكذلك في أوروبا، في صناعة تاريخ بلادهم بتحريره بعد مسار تراكمي طويل وقاس دام لأكثر من قرن وثلاثين سنة.

- إن أوائل المهاجرين الجزائريين وصلوا إلى فلسطين ضمن الموجة الأولى للهجرة، ولكن تَأسُسَ التواجدِ الجزائريّ وتوَسُعَه في فلسطين بدأ مع الموجة الثانية بشكل خاصّ، وذلك في سنوات الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر.

-فيما يخصّ الفرق الكبير بين أعداد المهاجرين الذين وصلوا إلى سواحل فلسطين أو الذين وصلوا إليها عن طريق البرّ عبر سوريا، وبين أعداد أبنائهم الذين استمروا في العيش فيها (أي في فلسطين) بعد ذلك. من خلال مقارنة البيانات الديموغرافية التي بين أيدينا وأرقام المهاجرين في أواخر العهد العثماني، مع أرقام المهاجرين في عهد الانتداب البريطاني، يظهر كما يبدو، أنّ جزءاً قليلاً فقط من الآلاف الذين هاجروا إلى فلسطين بقوا فيها، وإلا فإن عدد الجزائريين في فلسطين في فترة الانتداب البريطاني سيكون أعلى مما كان عليه في الحقيقة. بالإضافة إلى ذلك، كان استقرار الجزائريين في منطقة الجليل مختلفاً عن استقرارهم في ثلاث مناطق أخرى وهي صفد وطبريا وحيفا.

-بخصوص موضوع الأراضي؛ وُجدَ بأنّ القسم الأكبر منها تعود ملكيّته إلى الأمراء، من أبناء وأحفاد الأمير عبد القادر الجزائري الذين كانوا في قرى قضاء طبريا.

-حافظ أبناء الجالية في فلسطين على علاقتهم مع أرض الوطن – أي الجزائر-، ويظهر من شهاداتهم أنهم كانوا يتراسلون بشكل دائم أحياناً وبشكل متقطع أحياناً أخرى مع أبناء عائلاتهم في الجزائر. ولقد عملت الجمعيات التي أسسوها في فلسطين ودمشق على الحفاظ على هذا التواصل وتطويره. وكذلك أبناء وأحفاد الأمير عبد القادر استمروا في الحفاظ على العلاقة مع أرض الوطن بكل وسيلة ممكنة.

-بعد حرب عام 1948 وتدمير كل القرى الجزائرية انتقلت الغالبية العظمى من أبناء الجالية الجزائرية إلى سوريا أو لبنان، وقد اعتنت ببعضهم السفارة الفرنسية في دمشق، وعندما حصلت الجزائر على الاستقلال، حصل كثيرٌ منهم على الجنسية الجزائرية وبعضهم عاد للعيش في الجزائر.

- في فلسطين بقي 400 من أبناء الجالية الجزائرية فقط، وأغلبهم يسكنون كلاجئين في شفا عمرو وقليلون يسكنون في قرية دير حنا.

ويبقى موضوع العلاقات التاريخية بين فلسطين والجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، ميدانا خصبا للبحث والدراسة المعمّقة للوقوف على نتائج وآثار هذه العلاقات المتينة بين الشعبين الذين أصبحا بمثابة الشعب الواحد، حيث يمتلك الشعبان نفس المقومات والركائز والتاريخ المشترك الواحد، والمرور بنفس التجربة والوقوع تحت سيطرة الاستعمار والغطرسة الامبريالية.

- الهوامش والاحالات:

1- **بلاد الشام:** هي الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسّط والجزر المجاورة له، تقع في قارة آسيا، وتحديداً في وسط المنطقة الغربية منها، وتمثّل الجزء الغربي والأوسط من منطقة الهلال الخصيب، وتشمل كلّاً من الأردن، وفلسطين، ولبنان، وسوريا، وتُقدَّر مساحتها الإجمالية بنحو 307,134كم مربع، وهي منطقة متباينة، إذ تتميّز بتنوّعٍ عرقيٍّ، وثقافيٍّ، ودينيٍّ كبير. انظر: ممدوح الخرابشة: **استقرار القبائل العربية في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي القرن 3-7 ميلادي**، الأردن: الجامعة الأردنية،2000 م، ص ص 5-6.

2- عمّار هلّال، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)**، دار هومة، الجزائر 2007، ص.12

3-Charles-Robert Ageron, « **Les algériens musulmans et la France** », tome 2, chapitre XXXIX, l'émigration des musulmans algériens et l'exode de Tlemcen, Puf , Paris, p1079-1092.

4- عبد الله بن عمارة: جزائريو الشام.. لماذا هاجروا إليها؟ من هم أبرز شخصياتهم وماذا قدّموا؟، تاريخ الاطلاع: 24أوت 2023م، الساعة: 20:53 . انظر الرابط:

https://www.almayadeen.net/arts-culture

5- عمار هلّال، المرجع نفسه: ص ص58-59.

6- حمودي إبرير، "دور المهاجرين الجزائريين إلى فلسطين في مقاومة الأطماع الصهيونية فيها 1897/1948"، **مجلة علوم الإنسان والمجتمع**، جامعة باتنة، ع03، 2021، ص .412

7- عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3/14هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص .210

8- يحي بوعزيز: **سياسة التسلّط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص .196

9- حمودي إبرير: المرجع السابق، ص.414

10- عمار هلال: المرجع نفسه، ص .87

11- مصطفى عباسي هنادي قواسمي، " الجالية الجزائرية في الجليل في أواخر الحكم العثماني حتى عام 1948"، **مجلة آفاق في الجغرافيا**، نشر بتاريخ 2017/10/07م.

12- عبد الله بن عمارة: مرجع سابق.

13- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، عالم المعرفة، الجزائر، 201، ص ص 1124، 125.

14- أبو جزر أحمد شفيق: **العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي، مواقف وأسرار**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص ص 225 .226

15- هو الحاج محمد أمين بن الشيخ طاهر الحسيني، ولد في القدس عام 1895م، وتولى أخو الحاج أمين كامل الحسيني منصب مُفتي القدس بعد أبيه الحاج طاهر، وتولى بعده الحاج أمين. للمزيد

حول سيرة أمين الحسيني: انظر: الموقع تاريخ الاطلاع: 27أوت 2023 م، الساعة: 23:05. على الرابط: **https://alquds-city.com/index.php?s=47&id=744**،

16- سهيل الخالدي: **الاشعاع المغربي في المشرق، دورالجالية الجزائرية في بلاد الشام**، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م، ص .268

17- سهيل الخالدي:" دور المهجّرين الجزائريين في الكفاح ضدّ الانتداب البريطاني والصهيونية في فلسطين"، **جريدة الشعب**، ع 8680، الجزائر، 1991م.

18- سهيل الخالدي: **الجزائر وبلاد الشّام، صفحات من النضال المشترك ضد الاحتلال**، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2013م، ص .444

19- حمودي ابرير: **مواقف الجزائريين من القضية الفلسطينية 1945-1973**، رسالة دكتوراه في التاريخ، مخ، جامعة باتنة، 2015، ص .26

20- حمودي إبرير: الحركة الوطنية الجزائرية ومواقفها من القضية الفلسطينية، 1917-1962م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2002/2001م، ص .107

21- سهيل الخالدي: الاشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، مرجع سابق، ص 195.

22- أبو محمد منير: "السياسة العالمية"، **جريدة البصائر**، ع6، مج1، س1، 12ديسمبر 1947م.

23- محمود صالح منسي: **الشرق العربي المُعاصر**، (د، ر، ط)، (د، ب)، 1990، ص 304.

24- عبد الإله بلقزيز وآخرون: **الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية 1947-1986م، محاولة في التاريخ**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1992م، ص .192

25- أسامة الزكاري: الهاشمي الطود، **خيارُ الكفاح المسلّح، حوار سيرة ذاتية**، ط1، سليكي أخوين، طنجة، 2018م، ص75.

قراءة في مقال الصحفي الجزائري عمر راسم في الرد على الشيخ محمد رشيد رضا سنة 1914 حول الدولة اليهودية

أ.د/ علي غنابزية – جامعة الوادي

مقدمة

لقد تفطن رجال الفكر والإصلاح في الجزائر مبكرا للخطر اليهودي على العالم الإسلامي، وعلى فلسطين المستهدفة، وكشفوا عن أحابيل الكيد والمكر الصهيوني، والعدوان الظالم، ورأوا ذلك جليا وعن قرب منهم، في الأحياء الشعبية والمدن الجزائرية، وخصوصا الخصومات التي وقعت، والعداوات التي جذرها اليهود، وردود الفعل القوية من الجزائريين، والتي حولت اليهود إلى أعداء منبوذين في نظر الجزائريين، وازداد أمرهم سوءا، عندما شرعوا في التخطيط للاستيلاء على فلسطين، ولكنهم اصطدموا بصخرة كأداء تمثلت في شخص السلطان عبد الحميد الثاني، والدولة العثمانية القوية، فكان مبلغ حلمهم هو إزاحة السلطان من طريقهم، لأنه العقبة الكبرى في سبيلهم، وتم لهم ما أرادوا في مستقبل الأيام.

وقد تصدى لليهود ثلة من الجزائريين، وكان أولهم رجال الصحافة وأبرزهم العمرين الشجاعين، عمر بن قدور، وعمر راسم، عندما كتبا بعمق، وتتبعا مؤامرات اليهود، وفضحا خططهم في صفحات الصحف التونسية، ثم أسسوا صحفا خاصة بهم، حملت مشعل المقاومة لهذا الأمر الخطير. وأهم تلك المقالات التي كتبها عمر راسم، بعنوان "المسألة الصهيونية" على أبواب الحرب العالمية الأولى، في رده على أحد كبار علماء الإصلاح في المشرق العربي، صاحب المنار الشيخ "محمد رشيد رضا"، وكان عمر راسم صريحا في رده، بل جريئا، وصادقا في طرحه، حتى يقطع دابر كل فكرة دخيلة، أو رأي فيه التهاون، أو المهادنة مع اليهود، وكأنما كان ينظر بنور الله، فبين المخاطر، ورفض مجرد التفكير في منح اليهود دولة لهم يشاركون فيها الفلسطينيين، وعدها زلة من هذا الكاتب، وكتب راسم مقاله في صحيفته "ذو الفقار" التي حملت لواء الدفاع عن القيم الإسلامية، ونصرة دولة الخلافة، وهذه الإشكالية نناقشها في هذا الموضوع، فما هي أفكار صاحب المنار من خلال مقاله، وردود الفعل من عمر راسم في مقاله النقدي الذي اتخذ بث الوعي رسالة، تبين

أثرها في المستقبل القريب، مما جعل الفكر الجزائري ريباديا، فكيف كانت ردود الفعل، وكيف آل الأمر في فلسطين؟

1 ـ عمر راسم ومحاربة اليهود والصهيونية:

أ. التعريف بالصحفي عمر راسم:

ينتمي عمر راسم إلى عائلة ذات أصول تركية، واسم "راسم" يوجد في تراجم الخطاطين الأتراك، وكان والده (علي راسم المتوفى سنة 1917) من كبار الرسامين والخطاطين. وهو أصيل مدينة بجاية، ويعجبه الانتساب إلى صنهاجة.

ولد عمر راسم سنة 1883 أو 1884، ولما شب على الطوق أدخله والده الكتّاب في وقت مبكر، فحفظ القرآن، وهو ابن سبع سنين، وعمل حزابا في المسجد، كما تلقى دروسا في النحو على الشيخ محمد بن مصطفى خوجة. ودخل إلى مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية " الثعالبية فيما بعد"، وبعد سنة واحدة أُخرج منها في ظروف غامضة، ولكنه صمم على تكوين ذاته، وكان تكوينه عصاميا. ولما زار محمد عبده الجزائر سنة 1903، بلغ عمره العشرين، فتأثر بدعوته، واتخذ الصحافة ميدانا لنشر أفكاره[1]، ومعارضة الاستعمار.

ولج عمر باب الصحافة من بابه الواسع، فوجد متنفسه في الصحافة التونسية، وكانت أول مشاركة له في جريدة "التقدم" بتاريخ 26 ديسمبر 1907، وهي رسالة جريئة وجهها للسلطات العليا في فرنسا والجزائر، ضد السياسة الفرنسية، ففتح الباب للكتابة في الصحف التونسية.[2] فكتب في جريدة مرشد الأمة، والمرشد.[3] وحينئذ تشجع على إصدار جريدة "الإصلاح"، ولكن الظروف المادية حالت دون ذلك، ونجحت المحاولة الثانية بإصدار جريدة " الجزائر" بالعاصمة في 27 أكتوبر 1908، ولكنها اختفت بعد عددين فقط[4].

كما توجه لمصر عام 1912. وأصدر مع عمر بن قدور جريدة الفاروق سنة 1913.[5] وأصدر لوحده جريدة " ذو الفقار" سنة 1913، ولكنها توقفت عند اندلاع الحرب العالمية الأولى[6].

ونظرا لحسن خطه دعته "المبشر" للعمل فيها فعمل مدة، ولكن سرعان ما زج به في السجن في 13 غشت 1915، لأنه اتهم بالعمل مع العدو، وهو الدولة العثمانية، فحكم

عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة في " نوفمبر 1915" ولم يفرج عنه إلا سنة 1921.[7]

أما عن تراثه، فلم يترك سوى مقالات في الصحف، وبعض اللوحات الفنية التي وظفت الخط العربي، ومخطوط حول تراجم علماء مدينة الجزائر، وتوفي عن عمر ناهز 75 سنة، عام 1959.[8]

ب . عمر راسم واليهود: يعتبر من أشد الكتاب الجزائريين اهتماما بملاحقة الكيد اليهودي ضد المسلمين في الجزائر. فقد تفطن مبكرا لخطر الصهيونية على المسلمين في فلسطين، واستغل الأحداث التي وقعت في الجزائر واليهود في عام 1898، وكتب عدة مقالات في جريدتي "المرشد" و "مرشد الأمة" التونسيتين، عن خطر اليهود، وأفصح عن موقفه منهم[9].

كما خاض معركة الوعي في جريدته "ذو الفقار" بكشف مخاطر اليهود في محاربة القيم في نفوس الشباب الجزائري، ونشر الفسوق والخمور في أوساطهم، فنجده يشير إلى ذلك في مقاله: " ... واليهود وحدهم هم الذين أخذوا يسعون في تشتيت شملنا ونهب أرزاقنا، بواسطة وباء الخمر، وقد نالوا الآن مبتغاهم وصرنا لهم أسارى وعبيداً".[10]

والملفت للنظر أن عمر راسم أول جزائري عربي، ينتبه إلى الخطر الصهيوني في فلسطين، ويتخذ قلمه سلاحا ماضيا، وقام منبها للعرب والمسلمين.[11]

2 . مقال رشيد رضا في مجلة المناروموضوعه عن الدولة اليهودية:

كانت فلسطين تابعة للدولة العثمانية، وإحدى جوانب المسألة الشرقية، وتعددت المواقف والآراء السياسية الدولية والعربية، بالفعل أو بالقول حول الحلول التي تنهي الصراع الفلسطيني الصهيوني، واتفقت الدول الكبرى قبيل قيام الحرب العلمية الأولى بشهور قليلة - سنة 1914 - على جعل فلسطين منطقة دولية، بعد عزلها عن الدولة العثمانية، وبموافقة الشريف حسين، فاستغل اليهود الاتفاق، وطمعوا في إرضاء الدول بتأسيس مملكتهم في فلسطين، ويمكنهم إرضاء جمعية الاتحاد والترقي[12]. وكان هذا بعد إزاحة وعزل السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم. وتفاعلت الصحف، وتكلم العلماء ورجال الفكر، والصحافة العربية في الموضوع، ومما ورد يومها مقال محمد رشيد رضا في مجلة المنار في العدد الرابع ليوم 27 مارس 1914، تحت عنوان "المسألتان الشرقية والصهيونية"، والذي يحلل فيه مسألة انفصال فلسطين عن الدولة العثمانية، ووقوعها

تحت السيطرة اليهودية، وتعرض في المقال إلى عدة جوانب، يمكن الوقوف عندها كما يلي:

أ ـ ذكر عددا من أجزاء الدولة العثمانية التي انفصلت، وكونت كيانات جديدة، ومما قال رشيد رضا: "... وإن تعجب من تكون ممالك البلغار واليونان والصرب والجبل الأسود والألبان من أملاك الدولة العثمانية في أوربة، وتغذي الدول الكبرى بأملاكها في إفريقية وفتح أفواههن لابتلاع أملاكها في آسيا".[13]

ب ـ الاستغراب والتعجب من سعي الجمعية اليهودية لتأسيس دولة في فلسطين، ومما أورده في المقال: "فأعجب من ذلك كله تصدي جمعية من يهود أوربة لتكوين دولة جديدة في البلاد المقدسة من هذه المملكة تتألف من مهاجرة فقراء اليهود الممزقين في جميع أطراف الأرض بمساعدة هذه الجمعية؟ فكيف تسمو همة جمعية أسسها رجل من اليهود إلى تكوين دولة من أوزاع المهاجرين الفقراء في بلاد تتنازع على شبر الأرض فيها أقوى الأمم والدول، وتسفل همة أصحاب هذه البلاد عن حفظها لأنفسهم..." [14]

ج ـ اقتراح الحل على العرب آنذاك، ومما قاله رشيد رضا: "يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين، إما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد إن أمكن -وهو ممكن قريب إذا دخلوا عليه من بابه، وطلبوه بأسبابه - وإما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة، وأولها تأليف الجمعيات والشركات، وآخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة ـ وهو ما تحدث به بعضهم على أن يكون أول ما يعمل، وإنما هو الكي، والكي آخر العلاج كما يقال" اهـ [15]

3 ـ رد عمر راسم على رشيد رضا:

يعتبر رد "عمر راسم" على مقال محمد رشيد رضا، ردا متميزا، والذي سبق به غيره ولا سيما في الجزائر، فتفطن مبكرا لخطر الصهيونية على العالم العربي وفلسطين، وعلق على المقال بعمق، وجرأة كبيرة، بعد ثلاثة أشهر من المقال الآنف الذكر، على صفحات جريدته "ذو الفقار"[16] في عددها الرابع والأخير من الجريدة والصادر بالجزائر بتاريخ 28 جوان 1914م، بإمضاء " أبو منصور الصنهاجي" وعنوان المقال: " المسألة الصهيونية".[17] ووجه انتقاده اللاذع لصاحب المنار، بلهجة شديدة الوطأة، لأنه يعتبر التساهل في القضية مآله خطير، ولا سيما إقامة كيان لليهود في فلسطين.

ويمكن تتبع أهم فقرات المقال وموقفه التاريخي الذي شرف الجزائر، ويمثل شامة في

جبين العزة والشجاعة والوفاء:

أ ـ موقف صاحب المنار خطأ فاحش: في نظر عمر راسم، وإرضاء للدخلاء الأدعياء من اليهود، ويقتضي ذلك التنازل لهم من أهل فلسطين ومعاملتهم على قدم المساواة، وكأنهم أصحاب الحق الشرعيين، وعباراته الشخصية: " ... هذا خطأ فاحش من صاحب "المنار" لأنه يريد أن يرضي الدخلاء بتنازل أهل البلاد إليهم حتى يعترفوا لهم بالمساواة".[18] وأخطر خطوة هي الاعتراف بالغازي للبلاد، فأراد قطع الطريق على هذا الفكر حتى لا يتسلل للصحافة الملتزمة، ويتخذه اليهود مهادا لمشروعهم الاستعماري.

ب ـ اعتبار الاتفاق بين الفلسطينيين العرب واليهود أمر مستحيل: لأن العرب أهل الحق، وسكان البلد الأصليين، الذين ملكوا فلسطين منذ قرون بعيدة، واشتروها بدمائهم، وبذلوا من أجلها جهودا يشهد عليها التاريخ المديد، ويكفي منذ حررت في عهد الفاروق، ومرورا بالحروب الصليبية، والجهود العثمانية، فالثمن المدفوع كبير، والمطلوب الاستمرار في الثبات على المبدأ، ومما قاله صراحة عمر راسم: " إن اتفاق زعماء العرب أبناء الفاتحين وأهل البلاد مع زعماء اليهود اليوم مستحيل، لأنه اعتراف بزعامة اليهود ورضى بمشاركة هؤلاء الأجانب في بلاد اشتراها آباؤهم بدمائهم الطاهرة".[19] وهو يشير إلى فتحها في زمن عمر بن الخطاب، وتحريرها في زمن صلاح الدين الأيوبي، ويومها سالت الدماء مدرارا، ورد كيد الصليبيين، ولا يعجز العرب على تحريرها مرة أخرى على نفس نهج أسلافهم.

ج ـ فلسطين أرض الإسلام ولا تجوز لغير أهله: إن محاولة اليهود امتلاك فلسطين، لا يجوز أن يتم بأي حال من الأحوال، لأنها بلاد رفرفت فوقها راية الإسلام خفاقة، ولا يجوز لأي راية أخرى أن تخفق فوقها، ما دام العرب أحياء وفي نفوسهم دم يجري، وفي أرواحهم الإسلام ينبض بالحياة، ويدعوهم إلى الصمود والثبات على المبادئ التي لا يمكنها أن تباع أو يتاجر بها، هذا شرح لكلمات عمر راسم منذ عشرات السنين وكأنما يلامس الجرح اليوم: " ... فلا يحق لغير العرب وهم أبناء إبراهيم الأصفياء الأزكياء الموعودون بتلك البقعة الطاهرة أن يملك تلك الأرض، ولا لغير راية الإسلام أن تخفق عليها ما دام في عروق العرب دم وفي أجسام المسلمين روح".[20]

د ـ تجزئة و انفصال أجزاء من الدولة العثمانية مقدمة لانفصال فلسطين: وعمر راسم سياسي محنك، انطلق مما هو واقع، وحاول الكشف عن خيوط المخطط الصهيوني، والذي ينفذ وفق مراحل، أولها قطع أجزاء من الدولة العثمانية، لإضعافها من

جهة، واتخاذها مثالا لتبرير ما يسعى نحوه اليهود ليكون حلا لمشكلتهم، وتمهيدا لحقهم في دولة في فلسطين، ولو كان جزءا منها. قال راسم : " ... وليعلموا أن انقسام الدولة العثمانية وانفصال "بلغاريا" و" وصربيا"، و"اليونان"، و" طرابلس"، وتنازعها الداخلي كل ذلك مقدمة لاستقلال فلسطين".[21] ويعني باستقلال فلسطين أي انفصالها، وليس تحررها.

هـ. التآمر الثنائي اليهودي الأوربي علي فلسطين: ويرى أن العمل والجهد الذي يقوم به اليهود، يلقى الدعم الكبير من أوربا، التي تدعمهم سياسيا، وفي المحافل الدولية، إضافة إلى دسائسهم الداخلية في فلسطين، وهي سياسة فرق تسد المعروفة، وبها يتحكم كل ظالم في الشعوب ويهضم حقها، ويوجهها كما يشاء، وما ورد في مقال راسم: " ويتجه أعمال اليهود بواسطة أوروبا من جهة ودسائسهم الداخلية من جهة أخرى".[23]

و. خطر اليهود على الدولة العثمانية، خطر على فلسطين: ذكر في المقال عددا من اليهود المتنفذين في مؤسسات الدولة، وهم ينخرون في كيانها، وبسقوطها يتم التهام فلسطين، ومن الذين ذكرهم عمر راسم:

وما ورد في مقاله: " ... وان استمر الحال على ما هو عليه وبقيت دولة الخلافة تحت سلطة "كارسو" وهو الذي خلع السلطان عبد الحميد، ورئيس حزب الاتحاد يهودي صهيوني وهو "جاويد" و "حقي" بائع طرابلس لأخيه "لوزاتي" ، فلا شك أن تقع الدولة في مخالب اليهود في يوم ما ولا يكفيها حينئذ لنجاتها لا الست (كذا) المدرن عات التي أوصت عليها ولا عشرون فيجب عليها الانتباه وعلى أبناء العرب العمل".[24]

ـ كارسو[25]: واعتبره المتحكم في الدولة وساهم في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ولعب دوراً هاماً في احتلال إيطاليا لليبيا نظير مبلغ من المال دفعته إليه إيطاليا. واضطر نتيجة لخيانته للدولة أن يهرب إلى إيطاليا ويحصل على حق المواطنة الإيطالية.[26]

ـ جاويد: وهو يهودي صهيوني ورئيس حزب الاتحاد والترقي، ووزير المالية في عهد الاتحاد والترقي، ماسوني بدرجة 33، لعب دوراً كبيراً في الثورة على الخليفة.[27]

ـ حقي: إبراهيم حقي باشا هو الصدر الأعظم، تركي وقانوني، تلقى العلم بمدرسة الإدارة بالأستانة، عين مترجما بقصر السلطان عبد الحميد، درس القانون وحصل على كرسي التاريخ بمدرسة الحقوق، ثم أضيف إليه كرسي القانون الدستوري. كان خطيبا مفوها وناقدا جريئا، شغل منصب المستشار القضائي في الباب العالي حتى 1908. توفي 1913 ببرلين.[28]

. الخاتمة:

يتضح لكل ذي بصيرة، أو من يملك أدنى نظرة للأمور بروية، أن مقال الشيخ محمد رشيد رضا، كان مقالا بسيطا، في التساهل، والتنازل عن السلوك الصارم مع اليهود، وفتح بابا تهب منه رياح التخاذل والذلة والاستكانة.

أما الرد الذي تولاه الصحفي "عمر راسم" فهو ينم عن شخصية ذات بعد استراتيجي، لأنه أدرك طبيعة الصراع، ونبه إلى سبل التصدي لهم، وقاوم الاستعمار والصهيونية في الجزائر وفلسطين، لأنهما وجهان لعملة واحدة، عدوهما الأول والأخير هو الإسلام ودولته الشرعية.

أدرك المستعمر- ومن ورائه اليهود في الجزائر- مكانة عمر راسم، فسجنوه، وضيقوا عليه، وأوقفوا جرائده، ولكنه بقي صامدا، وكان رده مفحما لصاحب المنار، ورغم انتمائه لنفس مدرسته الفكرية والدعوية، ولكنه لم يتوان عن قول الحق، وحمل راية التوضيح والتنبيه والتحذير، وكانت كلماته صرخة مدوية ومتقدمة في زمنها، وكل الذي حذر منه وقع فعلا.

فقد أكملت جمعية الاتحاد والترقي مخططها، بعد عزل السلطان عبد الحميد ونفيه، وتمكن معولها الصارم من إسقاط صرح الخلافة الإسلامية بعد عشر سنوات من تاريخ المقال، والذي أشار فيه عمر راسم إلى أقطاب الفساد من بني صهيون، الذين تغلغلوا في كيان الدولة العثمانية، ولما حققوا مخططهم، ذللت أمامهم كل الصعاب، وتمكنوا من التغلغل في فلسطين، وتمكنوا من احتلالها.

الهوامش والاحالات:

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998، ج 5، ص 283-.284

2- محمد الصالح الجابري، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص .152

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص .285

4- محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847-1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص .32

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص .286

6- محمد ناصر، المرجع السابق، ص 38-.42

7- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 286-.287

8- نفسه، ص 288-289.

9- محمد ناصر، المقالة **الصحفية الجزائرية، نشأتها تطورها أعلامها من 1903-1931**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، مج 1، ص 403.

10- أنظر: عبد الله الركيبي، **قضايا عربية في الشعر الجزائري الحديث**، ص 42.

11- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، المرجع السابق، ص 402.

12- أريج محمد القطلي، **فلسطين في مجلة المنار الصادرة في مصر 1898- 1940م**، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف الدكتور أكرم محمد عدوان، كلية الآداب، قسم التاريخ، بالجامعة الإسلامية بغزة، 2015 ، ص 86.

13- محمد رشيد رضا، " المسألتان الشرقية والصهيونية" . في . **مجلة المنار**، ج4، المجلد 17، 1914/03/27، مصر، ص 319.

14- محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ص ص -319-320.

15- نفسه، ص 320.

16- **ذو الفقار:** جريدة أسسها عمر راسم بالجزائر، وكان عددها الأول في 1913/10/15، وألف مادتها وحده، وكان يكتب باسم مستعار "أبو منصور الصنهاجي"، وجعل عنوانها اسم سيف الإمام علي بن أبي طالب، وعرفت بأسلوبها الشديد على الظلم، واليهود، وهي إصلاحية على خط محمد عبده كما صرح مؤسسها، أوقفها المستعمر في عددها الرابع بحجة اندلاع الحرب العالمية الأولى. انظر: محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847-1939**، ص ص 38-43.

17- محمد ناصر، المقالة **الصحفية الجزائرية، نشأتها تطورها أعلامها من 1903-1931**، المرجع السابق، ص 402.

18- أبو منصور الصنهاجي، "المسألة الصهيونية" . في . **جريدة ذو الفقار**، العدد 4، 28 جوان 1914، **نقلا عن:** محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية**، مج1، ص 403.

19- أبو منصور الصنهاجي، "المسألة الصهيونية"، المرجع السابق، ص 403.

20- نفسه، ص 403.

21- نفسه، ص 403.

22- نفسه، ص 403.

23- أبو منصور الصنهاجي، "المسألة الصهيونية"، المرجع السابق، ص 403.

24- نفسه، ص 403.

25- **كارسو:** هو امانويل قره صو، يهودي من السفارديم الأتراك، ولد بسالونيك سنة 1862، وكان عضوا هاما في محفلها الماسوني، ومن أوائل المشتركين في حزب حركة تركيا الفتاة، وكان محاميا، ومسؤولا في جمعية الاتحاد والترقي، وقام بتكليف منها بالتحريض ضد السلطان عبد الحميد الثاني، وصار عضوا في المجلس النيابي العثماني، وانتهى به الأمر بالفرار إلى إيطاليا، وتوفي في تريسنا سنة 1934. راجع : ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تم الاطلاع يوم 2020./02/07

26- راجع : ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تم الاطلاع يوم 2020./02/07

27- "يهود الدونمة معول هدم الخلافة العثمانية"، **مجلة الوعي**، العدد 146، السنة الثالثة عشرة، تموز 1999، الاطلاع يوم 2020./02/07

28- راجع : ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تم الاطلاع يوم 2020/03/01.

انتفاضة قسنطينة ضد اليهود 1934
وعلاقتها بالقضية الفلسطينية
بين رد الفعل العاطفي والتوجيه النخبوي

د/ عبد القادر كركار - جامعة الوادي

مقدمة

حمل الجزائريون القضية الفلسطينية في وجدانهم الجماعي أسوة بالقضية الوطنية، حيث كانت البلاد العربية تمر بمرحلة ضعف وخنوع للاستعمار الأجنبي، غير أن الثورات والانتفاضات كانت دائما تلقى الصدى في إحدى جوانب البلاد العربية إذا ما اندلعت في جانب آخر، فكانت انتفاضة الجزائريين في مدينة قسنطينة دفاعا عن حرمة دينهم ومكان عبادتهم (المسجد الأخضر) تشبه ثورة البراق التي اندلعت في القدس 1929 دفاعا عن مقدسات الأمة.

كما أن وصول النازية إلى السلطة في ألمانيا في 1933 وزيادة تدفق هجرة اليهود على فلسطين بدعم من بريطانيا أدى إلى اندلاع ثورة 1936 والتي تزامنت مع أول انتفاضة شعبية عربية ضد اليهود، لكن هذه المرة كانت في قسنطينة، وهو ما جعل البعض يلمح إلى دور الدعاية النازية في التحريض على أعمال العنف ضد اليهود، وحتى إلى دور حزب نجم شمال إفريقيا وجمعية العلماء من خلال مواقفهم من القضية الفلسطينية ما أدى إلى شحن المواقف.

إن الحديث عن العلاقات بين يهود الجزائر وبقية السكان المسلمين في الجزائر وتداعيات ما كان يحدث في أرض فلسطين من مؤامرة بريطانية صهيونية تعد من القضايا ذات البعد الوجداني لدى الجزائريين لما تحتله أرض فلسطين من مكانة في نفوس الجزائريين وبالمقابل ما تركه اليهود الجزاريين من ندوب في الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري المسلم .

وقد شهدت العلاقات بين اليهود والمسلمين الجزائريين طول التاريخ، استقرارا وتعايشا رغم بعض الاضطرابات التي كانت تقع، وقد كان أبرزها ثورة الشيخ المغيلي[1] عليهم في إقليم توات، والتي يصورها اليهود اليوم في مصاف الهولوكوست، وقد حدثت بعد أن

أصبحوا ذوي قوة ونفوذ لم يعرفه أهل ذمة في أي أرض إسلامية أخرى، وهذا بتمنطيط حتى أنهم كانوا يعتبرونها مملكة يهودية في الصحراء الجزائرية، كما حدثت ثورات معزولة خلال العهد العثماني كانت بدوافع اقتصادية سياسية موجهة بالأساس ضد السلطة الحاكمة المتحالفة مع أعيان اليهود الذين بالغو في استنزاف الخيرات وقد كانت تعرف كيف تحول الغضب الشعبي إلى حلفائها اليهود.

وخلال فترة الاحتلال بدأت الأوضاع تتغير من حيث الأوضاع القانونية دون المعنوية فقد كان اليهود في زمن ما مضطهدين من دول مسيحية كإيطاليا وإسبانيا والبرتغال وحتى فرنسا، فكانوا يجدون مأوى آمن لدى الشعوب المسلمة فقط، والمسلمون لا يحبونهم أكثر من اليوم لكن كانوا أكثر تسامحا وعدلا تجاههم[2]. ولكن انحيازهم للفرنسين منذ 1830 خلق فجوة كبيرة في علاقتهم مع المسلمين في البلاد، رغم أن هؤلاء لم يبدوا أي عداوة تجاههم فعداوتهم كانت مع المحتل، لكن اليهود وبعد ما نالوا التجنيس أصبحوا يتعالون على السكان المسلمين كالفرنسيين، وهم الذين كانوا بالأمس يعانون من التعالي الفرنسي عليهم.

فالأهالي المسلمون كان لهم شعور بالاحتقار والتفوق تجاه مواطنيهم من الملة اليهودية لكن يشعرون بأكثر قرب منهم (العادات واللغة المتكلمة) من الساكنة الأوربية، وهذا إلى اللحظة حيث فرنسة اليهود الأهالي الجزائريين أصبحت غير قابلة للمراجعة[3]، فنظرة السكان المسلمين لليهود لم تتغير حتى بحلول عنصر دخيل في العلاقة بينهما.

1-انتفاضة قسنطينة 1934 :

إن أبرز الأحداث التي وقعت بين المسلمين واليهود، الحدث الذي عرف في التاريخ بأحداث قسنطينة والتي كانت تعرف تواجدا كثيفا للطائفة اليهودية منذ حقب قديمة زادت أهميتها في العهد العثماني، حيث ونظرا لدورهم الاقتصادي فقد كانوا محل اهتمام من الحكام أين خصص صالح باي لهم المنطقة المحصورة بين القنطرة وحافة الهاوية التي كانت مهجورة ليبنوا فيها منازلهم ودكاكينهم[4]، ومنذ ذلك التاريخ تنسب إلى صالح باي تخصيص حافة الشارع التي قطعها لليهود، وكانت هذه المنطقة تسهل على إدارة البايلك مراقبتهم والتحكم في نشاطاتهم، وبذلك عاد النشاط إلى هذا الجزء من المدينة الذي كان شبه مهجور، وأصبحت هذه الجهة التي تعرف برحبة الصوف مركزا تجاريا مهماً بعد أن شرع اليهود في فتح دكاكينهم على الشارع الرئيسي الذي يصل باب الوادي بباب القنطرة[5].

وقد تعايش اليهود والمسلمون بسلام عبر السنين، غير أنه ومع حلول الاستعمار وما أحدثه من تغيير في السلم الاجتماعي لمختلف مكونات الساكنة المحلية أصبحت المنطقة على صفيح ساخن بداية بسلسلة المظاهرات 1933، 1934 ففي يوم 24 فيفري عند الصبح خرجت من المسجد مظاهرات ضد قرار الحاكم العام منع العلماء من الوعظ في المساجد،[6] ثم كانت الأحداث الكبرى في 1934 حيث عرفت المدينة سنة مضطربة وترت العلاقة بين المسلمين واليهود رغم تدخل كل من ابن باديس وابن جلول فقد اندلعت عراكات في 5 أوت ومات وجرح العديد، بينما تجاوزت الأحداث المنتخبين وأدانوا المتظاهرين.[7]

إن الروايات كثيرة في هذا الشأن فقد قيل أن جنديا يهوديا يدعى إيلي خليفة جرح شعور المسلمين عندما دخل الجامع الاخضر أثناء صلاة الجمعة الموافقة لـ 3 أغسطس - أوت 1934 وتلا ذلك اضطراب ومشادات لكن بدون ضحايا، وتدخل الجيش والشرطة لإعادة الأمن والنظام وانتهى ذلك اليوم بدون أحداث أخرى. وفي اليوم التالي توجه أعيان المسلمين واليهود إلى مقر الوالي الفرنسي وعبروا له عن أسفهم لما حدث، وتواصوا بضرورة حفظ النظام وتصفية الجو. وكان مقررا أن يعقد اجتماع يوم الأحد الخامس أغسطس، يخطب فيه الدكتور بن جلول، وانعقد الاجتماع فعلا، وانتظر الناس الدكتور ولكنه لم يحضر، وبدأت الاشاعات ومنها: أن اليهود قد قتلوه، وفي نفس الوقت قتل أحد الجزائريين في قلب المدينة برصاصة أطلقها عليه يهودي من منزله في حي اليهود. وهذه التطورات أدت إلى قيام المسلمين بمظاهرات شارك فيها أكثر من عشرة آلاف، واصطدموا فيها مع يهود المدينة فكانت النتيجة قتل 23 يهوديا، وأربعة جزائريين وأسر عدد كبير، بالإضافة إلى جرح العشرات من الطرفين وإتلاف عدة ملايين قدرها بعضهم بخمسين مليون فرنك[8].

ورغم تدخل القوات العسكرية الفرنسية فإن الحوادث قد انتشرت من قسنطينة إلى غيرها من المدن المجاورة مثل عين البيضاء وتبسة والحامة وغيرها، كما أرسلت الصحافة العالمية مراسليها لتغطية (الأحداث)، ولم تمض سوى بضعة أشهر حتى حدثت اضطرابات خطيرة في سطيف ومستغانم والجزائر ووهران وسيدي بلعباس. فحوادث سطيف كانت خطيرة تمرد الجنود وربطها بعضهم بحوادث قسنطينة من كونها كانت أيضا معادية لليهود [9].

ومهما يكن فإن ممثلي الرأي العام الجزائري في قسنطينة قد تدخلوا لوقف توجيه العداء وعبروا عن أسفهم لما حدث، ولا يوجد في خطبهم ولا في كتاباتهم الصحفية ما يدل

على أنهم كانوا يدعون إلى حركة انتقامية أو إلى إثارة مواطنيهم ضد اليهود الفرنسيين[10] ، فقضية الحركة الوطنية هي مع المغتصب الفرنسي وليس اليهودي الذي عاش في الجزائر منذ قرون.

ففي اجتماع عقد يوم 19 أغسطس في باريس حضره أكثر من 3500 شخص وخطب فيه زعماء النجم، صدرت لائحة استنكرت «تدخل الامبريالية الفرنسية التي دبرت مسرحية قسنطينة الدموية» وأعلنت اللائحة تضامنها مع«ضحايا الاضطهاد» وأشادت بموقف الجزائريين من هذا التدخل في مسجد إسلامي (إشارة إلى بَوْل اليهودي في الجامع)، «وإهانة المؤمنين ونبينا عليه الصلاة والسلام».

كما أشادت بالأبرياء الجزائريين الذين قدروا بالمئات والذين اعتقلتهم السلطة الفرنسية، وطالبت بإطلاق سراحهم حالا، وإزالة حالة الطوارئ من المدينة. أما جريدة (الامة) فقد استنكرت التمييز الذي خضع له الأهالي بهذه المناسبة، فاليهودي الذي كان السبب فيما حدث حكم عليه بيومين سجنا وستة عشر فرنك كغرامة، أما المسلمون الأبرياء فقد قالت أنهم سجنوا بدون محاكمة من سنتين إلى ست سنوات، واعتبرت الجريدة ذلك ظلما وحيفا وطالبت بتحرير «إخوتنا»[11]. ونقتطف جزء من الرسالة التي أرسلها زعماء الحركة الوطنية بقسنطينة والتي تعبر عن موقفهم «...نحن نعتقد أن ميدان القتال بين العرب واليهود هو فلسطين أما الجزائر وغيرها من بقية أقطار العروبة فهي ميادين شعور وعطف وأخوة وتضامن يشعر فيها العربي لمحنة أخيه في فلسطين، فيعطف عليه ويحمله العطف على مواساته بما استطاع مما يخفف محنته أو يعينه على ظالمه ويعتقد أن فلسطين وطن عربي كل الحق فيه للعرب فيرد دعوى المدعين ودعاية الداعين بالحجة والمنطق ويسمع كلمة الباطل في قومه فينقضها بكلمة الحق، ويرى مواطنه اليهودي يزود إخوانه في فلسطين أو يجهز مقاتلتهم فيفعل مثلما فعل، وكما أننا لا نلوم يهود العالم على إظهار عواطفهم نحو إخوانهم في فلسطين، لا نقبل اللوم من شخص أو من حكومة على إظهار عواطفنا تجاه ونحو إخواننا عرب فلسطين، ولا نقبل التحجير علينا فيما نستطيع إعانتهم به ولا نرضى أن يكون حراما علينا ما هو حلال لليهود، ومن أنصفنا أنصفناه وزدنا، ندعوكم ناصحين مخلصين إلى السكون والهدوء وضبط الأعصاب، فقد كانت حادثة 5 أوت 1934 وليدة تحريض أجنبي لم يرد به خيرا وكانت واقعة وجدة بالأمس نتيجة استفزاز من أجنبي لم يرد بكم خيرا، فقابلوا التحريض

بالرفض، قابلوا الاستفزاز بالصبر وإن العقل نعم السلاح وإن العاقبة للصابرين».

محمد البشير الابراهيمي، فرحات عباس، إبراهيم بيوض الطيب العقبي[12]

وانتقل الأمر إلى إقامة تجمعات في فرنسا من طرف نجم شمال إفريقيا ومنظمات أخرى شاركت بدورها بمناسبة أحداث قسنطينة، وكان المحرك الأساسي وراءها هو النجم، من ذلك الاجتماع الذي دعت إليه جمعية العمال الجزائرية بليون، من أجل التضامن الوطني بتأييد من رئيس نجم شمال إفريقيا المجيد، في يوم 26 أوت وكان هدف الاجتماع واضحا فهو للتضامن مع«إخوانكم بقسنطينة»، وقد لام المجتمعون الاستعمار الفرنسي (ومخابراته) على تشجيع الجنود اليهود على إهانة المسلمين أثناء أدائهم الصلاة بالبول في المسجد، وفي نفس اليوم أضرب التجار الجزائريون في ليون عن العمل فأغلقوا متاجرهم ومقاهيهم احتجاجا أيضا[13]، ثم انتقل الفعل إلى مبادرة أخرى فأرسل النجم كذلك لجنة دفاع وتحقيق إلى قسنطينة، من بين أعضائها المحامي لونغي وطالب بشير، وجرى أيضا اجتماع في باريس حضره ممثلون عرب ويهود انتهى بإرسال لجنة تحقيق ومساعدة [14].

وقد حرص النجم على إشراك اليهود في تشكيل هذه اللجنة لأنهم مهما يكن كانوا لا يزالون في أعين الحركة الوطنية جزائريون، برغم تجنيسهم واندماجهم الظاهري في المجتمع الفرنسي وهذا بالنظر إلى الرفض الذي كان يلاقيه اليهود من طرف المستوطنين الفرنسيين، مجنسين أو أوربيين فكان المسلمون لا يزالون يشعرون أن مصيرهم مع اليهود واحد، رغم كل شيء وهم الذين تعايشوا مع بعض منذ قرون خلت.

2-المو اقف والتفسيرات:

وقد رأى العديد في هذه الأحداث التراجيدية صدى لمشكل عام، مشكل جموع غارقة في البؤس ولا ترى من حل إلى Des sursauts . أما الشيوعيون فقد ركزوا على القدرات الثورية (الموحى بها) وفي هذا فنجم شمال إفريقيا أقر تضامنه مع المحاربين الأمجاد الذين أجابوا على الخطاب المتطرف للمسجد واستفزازات الإمبريالية[15]Profanation

في حين حمل بعض الكتاب الجزائريين المسلمين المسؤولية عما حدث، واتهمهم بالوحشية ويعود ذلك في نظره إلى التنافس القديم بين المسلمين واليهود، وإلى السخط من الوضع الاقتصادي، كما يعود إلى حسد المسلمين لليهود على قدراتهم التجارية (التايمز

1934 /8/8 ص15).

وأعلنت الاتحادية الإسرائيلية في المغرب ...الحادثة. « قد نظمت مسبقا تنظيما دقيقا» وأكد كاتب آخر الإعداد المسبق للحادثة فقال: إن الجزائريين المسلمين كانوا قد احتلوا الطرق ونشروا فيما بينهم «كلمة السر»، وروجوا أخبار خيالية في المدن المجاورة حتى وصلت المغرب الأقصى وأنهم أعلنوا الجهاد، وأضاف هذا الكاتب أن السيد زناتي مدير جريدة (صوت الأهالي) قد أشرف على اجتماع في (نادي الاتحاد الإسلامي) بقسنطينة قبل الاجتماع العام الذي كان مقررا يوم الأحد 5 أغسطس، وقد دعا السيد زناتي عندئذ إلى تحرير الجزائر الكامل. أما السيد ديبارمي فقد حمل الحركة الإصلاحية مسؤولية ما حدث فقد قال: أن العلماء وأتباعهم كانوا مسؤولين عن هذه النكبة وأنهم كانوا قد أعدو لها منذ سنتين سابقتين واستدل على ذلك بأن «النكبة» كما يسميها قد حدثت في مدينة قسنطينة بالذات مبعث الحركة الإصلاحية.

وهناك كاتب أخر حمل النخبة الوطنية والنواب والأعيان الجزائريين ما حدث في قسنطينة لأنهم منذ مدة طويلة كانوا ينازعون السلطات المحلية حق تمثيل الجزائريين في المجالس النيابية وأنهم يستغلون جهل الفلاحين وإثارتهم ضد الفرنسيين [16].

والملاحظ أن الجانب الفرنسي، وإن أشار إلى ما كان يحدث في المشرق من تدفق اليهود على أرض فلسطين - بعد وصول الحزب النازي بزعامة ادولف هتلر إلى السلطة في ألمانيا - فقد حاول اتهام الدعاية النازية باستثارة الجانب المسلم من الشعب، وشحنه ضد اليهود، متجاهلا التضامن الإسلامي مع سكان فلسطين، وما كان يحاك ضدهم حيث تفاقمت الأوضاع وهو ما أدى بعد سنتين، إلى قيام ثورة عز الدين القسام.

لقد كانت انتفاضة سكان قسنطينة نسخة جزائرية لانتفاضة أو ما سمي بثورة البراق، بعد أن امتدت يد اليهود الدنسة إلى وضع ستار على حائط البراق والادعاء أنه جزء من هيكل سليمان المزعوم وبالتالي بداية مسلسل الاعتداء على الأماكن المقدسة للمسلمين في فلسطين، ومثلما ثار سكان الأراضي المقدسة انتقاما لحرمة دينهم في القدس فقد ثاروا أيضا في قسنطينة المدينة العريقة نصرة للجامع الأخضر مع ما يحمله من دلالات تاريخية ومكانة في نفوس القسنطينيين.

مثلما كان الأمر في فلسطين، حيث كان الطرف الثالث المستعمر البريطاني منحازا مع

الادعاء بالحياد فقد كان الأمر كذلك في الجزائر مع المحتل الفرنسي غير أن الفرق، أن الفرنسيين أرادوا توجيه ثورة المسلمين ضد اليهود واستعمالهم، وهو ما تفطنت إليه النخبة السياسة المسلمة بزعامة ابن باديس وابن جلول، ورفضوا أن يستعمل السكان المسلمين لخدمة مصالح المتطرفين الفرنسيين المعادين لليهود، والتورط في لعبة سياسية قذرة فنبهوا إلى ذلك ودعوا إلى التعقل.

وهكذا فقد بدأت انتفاضة قسنطينة عفوية كرد فعل على انتهاك حرمة المقدسات، وانتهت بتأطير من النخبة السياسية التي احتوت الوضع، وحقنت دماء سكان المدينة مسلمين كانوا أم يهودا.

الهوامش والاحالات:

1- نزل اليهود بتمنطيط، تيطاف، تخفيف، تاسفاوت... زكت أموالهم بتمنطيط، وسيطروا على التجارة والأسواق. ففي تمنطيط كان هناك أكثر من 360 سائغ يهودي، وبعد الازدهار والاحتكار الذي مارسه اليهود كانت حادثة اليهودي المسلماني في مسجد قصر عمرو يوسف بتمنطيط، والذي كان يرش المصلين بالبول في صلاة الفجر، وكشفه وقتله وأمر الشيخ المغيلي بإجلاء اليهود ودمر كنائسهم. الذين احتموا بالشيوخ الذين كانوا يهادونهم ،وهؤلاء لجئوا إلى قاضي الجماعة الشيخ سيدي عبد الله بن أبي بكر العصنوني الدي عارض المغيلي وحمى اليهود على أنهم أهل دمة فقال المغيلي فيهم أشعار هجاء. ولمن حماهم واختلف العلماء في الافتاء ونادى الشيخ المغيلي : من قتل يهوديا فله على سبع مثاقيل فانزعج اليهود لذلك وتفرقوا، حتى قيل أنه أجلى منهم 363 يهوديا البعض قصد طرابلس وجلهم قصدوا أرض سجلماسة. وكانت بأيديهم الضوابط والقوانين التي هي قواعد البلاد ففرو بها . ثم أن الشيخ المغيلي لما أجلى اليهود من بلدة تمنطيط تعطلت الكثير من الصنائع لأنهم كانوا أهل تجارة وصياغة وصنائع كثيرة. لكن خروج اليهود من توات أدى إلى ضعف اقتصاديات المنطقة، وحيث أشيع عن توات بأنها بلاد غير أمنة وكنتيجة لذاك رغب عنها التجار فأصبح الناس في ضيق وضنك معيشة. انظر: عبد الحميد بكري، **النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، طبعة ثانية، 2007 ص ص 22،39.

2- Louis Regis ,**Constantine et sa Région voyages et séjours 1879**. Préface Kamel Filali .Constantine : publication de lershmm, 2004, p111.

3- Kamel ,Kateb ; **européens ((indigénes)) et juifs en Algérie 1830 1962** ,p192

4- محمد الصالح، بن العنتري، **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**. مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991 ص .65

5- محمد الهادي، العروق، **مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران**. الجزائر: ديوان المطبوعات

الجامعية، 1984 ص 8 .

6- Mahfoud kaddache) , **L Algérie des Algériens de la préhistoire a1954**. Éditions méditerranée, Paris Alger, EDIF 2003 p724

7- ibid, p725.

8 -أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1930 . 1945** ، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، منقحة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 ، ص 47.

9 – نفسه، ص51 .

10- نفسه، ص51 .

11- نفسه، ص 128 .

12- **آثار الامام محمد البشير الابراهيمي**، الجزء الثاني، 1940 . 1952، جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة أولى، ص1997ص204 ،205 ،206 .

13- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1930 . 1945 ص 130 .

14- نفسه، هامش، ص129 .

15- Mahfoud kaddache, op,cit p725.

16- أبو القاسم سعد الله، ص48.

مشاركة الجزائريين في حرب 1948.

ط.د/ أيوب شرقي - جامعة البليدة 2

مقدمة

تعتبر قضية فلسطين قضية محورية بالنسبة للأمة العربية بصفة عامة والجزائريين بصفة خاصة، ولا يختلف اثنان على اهتمام الجزائريين بالقضية الفلسطينية وشعبها منذ أن كانوا تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، وإن اهتمامهم كان من كل طوائف المجتمع الجزائري ورجال الدين الذين كان لهم الفضل الكبير في توعية المجتمع والشعب بالقضية الفلسطينية، وما إن حلت النكبة بالشعب الفلسطيني سنة 1948م حتى سارع العديد من الجزائريين للتطوع والجهاد لنصرة إخوانهم في فلسطين، متحدين كل الظروف العصيبة التي اكتنفت طريقهم ،ومنه نطرح الإشكال التالي : ما هو دور الجزائريين في حرب 1948م؟ ومن هم الرجال الأبطال الذين شاركوا في الجهاد ضد المغتصبين اليهود؟

1 – دو افع مشاركة الجز ائريين في حرب فلسطين وخطوط سيرهم:

أ – دو افع الجز ائريين في حرب فلسطين:

-السعي لنيل الشاهدة في سبيل الله على الأرض المقدسة .

-النشاط الكبير الذي قامت به الهيئة العربية العليا لإنقاذ فلسطين بالجزائر التي يرأسها الشيخ محمد البشير الابراهيمي .

-الصحف والمطبوعات الداعية لنجدة فلسطين، والتي جلبها الحجاج معهم، والتي كان يوزعها الشيخ الأمين الحسيني ورفقائه على الحجاج المسلمين بالحجاز .

-تحالف الاستعمار مع الصهيونية والذي يعتبر تتمة لسياسة الأولى.

-صد الاعتداء الأجنبي على أمتنا العربية وقتال العدو المشترك المتمثل في الصهيونية التي هي امتداد للاستعمار الأوروبي في المنطقة العربية.

-الشعور الديني الذي كان الجزائريون يحملونه والذي وجد له صدى فيما كانوا يحفظونه من آيات قرانية تبارك المسجد الأقصى. [1]

ب – خطوط سير المشاركين الجز ائرين نحو فلسطين:

شكل قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1947م

صدمة كبيرة للعرب وللجزائريين، لتبدأ ذيوع الفتوى من قبل العلماء الجزائريين حيث أسست جمعية العلماء المسلمين برئاسة الشيخ البشير الإبراهيمي "الهيئة العليا لإعانة فلسطين" في 14 جوان 1948م، حيث أرسلت برقية احتجاج إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية، وأخرى إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة، تؤكد تضامن المسلمين الجزائريين مع الشعب الفلسطيني في حربه مع الصهيونية، والامبريالية الاستعمارية . حيث قامت الهيئة بتجنيد حوالي 100 متطوع للجهاد في فلسطين.[2]

كما انتشرت الدعوة بين شباب الشمال الإفريقي منذ نهاية 1947م، من أجل الجهاد في فلسطين ضد الصهاينة . لتتكاثر تسجيلات المتطوعين حيث بدأت التجمعات في مدينة قفصة التونسية للشباب التونسي الجزائري الذين كانوا يزاولون دراستهم بالزاوية العزوزية والعاملين في المناجم. وقد سجلت التقارير الفرنسية أن الشباب بدأوا يغادرون المعامل والمدارس متجهين نحو ليبيا في طريقهم إلى فلسطين وقد بلغت أعمارهم ما بين 19 إلى 20 سنة.

وأشارت كل الدلائل إلى الظروف السيئة للسفر الطويل، بالإضافة إلى الحراسة المشددة على الحدود، والطرق التي فرضتها السلطات الاستعمارية الفرنسية والبريطانية في الجزائر وتونس وليبيا لمنع المتطوعين المغاربة من العبور إلى المشرق للجهاد، حيث اتخذ الجزائريون خطوط سير جد صعبة وخطيرة لتجنب عيون الشرطة والمخابرات الفرنسية والعملاء، فاتخذوا الطرق الجبلية الوعرة للعبور إلى تونس، كما اعتمد المتطوعون في خط سيرهم من تونس إلى ليبيا بالسير على الأقدام أو امتطاء ظهور الدواب، وكانت هذه المرحلة هي أصعب مرحلة لما تحويه المنطقة من سبخات ملحية وأراضٍ جافة وما تشهده من زوابع رملية، وفي طريق آخر اختاره المتطوعون هو طريق البحر من صفاقس إلى طرابلس الغرب إلى الإسكندرية ثم إلى فلسطين.[3]

وكان تنظيم المتطوعين وتمويلهم وتسجيلهم يقع تحت توجيه بعض الشخصيات من أصول جزائرية متخفية بأسماء تونسية خوفا من اكتشافهم من قبل السلطات الاستعمارية، ومن بين هؤلاء محمد فتى تاجر القماش وأحمد الشريف، وعند وصولهم إلى طرابلس وهي المرحلة الثانية تم نقلهم في شاحنات باتجاه مصر، وعند وصولهم تستقبلهم لجنة "مكتب المغرب العربي" من الجامعة العربية في القاهرة. فقد ذكر المتطوعون أنه بوصولهم إلى مصر تم وضعهم في معسكرات "مرسى مطروح" أو القاهرة حيث الإعداد

والتدريب على السلاح ثم نقلهم إلى الجهاد المحدد للالتحاق بجبهات القتال.

وبعد غلق معسكر التدريب "لمرسى مطروح" في وجه المتطوعين بعد شجار بين المصريين والمتطوعين اللبيين، وطرد المتطوعين المقدر عددهم بالآلاف، لذلك تقرر نقل المتطوعين إلى الجبهة السورية مرورا بلبنان بناء على طلب من الجامعة العربية، وموافقة السلطة السورية حيث هيكلوا ضمن الفوج التاسع من جيش الإنقاذ.[4]

فكان رد فعل السلطات الاستعمارية على التطوع للجهاد في فلسطين جد سيئ، حيث لجأت للتضيق على وسائل الإعلام العربية من صحف ومجلات، والتشديد وعدم السماح بدخول الكتب والمطبوعات القادمة من المشرق، كما منعت إصدار تصاريح السفر لمن شكت في وطنيته ومنع تصاريح الذهاب إلى الحج، وتشديد الحراسة على الحدود الشرقية الجزائرية والحدود التونسية.[5]

2 – مشاركة الجزائريين في جبهات الحرب:

أ – جيش الإنقاذ العربي:

عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا بحضور رؤساء الحكومات لبحث القضية الفلسطينية على ضوء قرار هيئة الأمم المتحدة، والقاضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وقرروا عدم الاعتراف بهذا القرار الظالم وعزموا على تشكيل جيش الإنقاذ بقيادة صفوت باشا من العراق يساعده المفيد محمد الهندي من سوريا.[6]

ولم تكن لهذا الجيش مهمة واضحة أو محددة ربما لأن ذلك كان نابعا من العمومية التي تتصف بها المهمة الموكلة إلى اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية، وقد حدد فوزي القوقاجي الغاية من دخول جيش الإنقاذ إلى فلسطين بقوله: "هدفنا واحد وهو إلغاء قرار هيئة الأمم المتحدة بالتقسيم ودك معالم الصهيونية وتصفيتها نهائيا وتنفيذ قرار الجامعة وتثبيت عروبة فلسطين"، لكن قائد قطاعات جيش الإنقاذ في منطقة الجليل المقدم أديب الشيشكلي كان له مفهوم آخر، أي أنه كان مجرد طليعة للجيوش العربية ومهمته لا تتعدى الاستطلاع بالقتال لاختبار قوة العدو ومساعدة الصديق على الصمود حتى تحين الساعة المناسبة.

وكان أول ما قامت به اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية أن نادت بتطوع الشباب العربي للانخراط بجيش التحرير، حيث بدأ التجنيد في صفوف جيش الإنقاذ من

جافني 1948م، وانخرطت في صفوفه فئات مختلفة من المتطوعين للجهاد من ضباط وجنود سابقين وطلاب وموظفين وعمال وفلاحين.

ولقد توزعت مساهمة المتطوعين الجزائريين للقتال في فلسطين على مساحة كبيرة من جبهات القتال، ففي الوقت الذي شارك قسم منهم على الجبهة الشمالية من فلسطين ضمن الفوج التاسع السوري نجد قسما آخر شارك في القتال على الجبهة الجنوبية من فلسطين ضمن القوات المصرية.[7]

ب – المشاركون الجزائريون في الجبهة السورية اللبنانية:

قاتل المتطوعون الجزائريين ضمن الفوج التاسع في جيش الإنقاذ العربي والذي يسمى فوج المغاربة الذي أسسه الملازم "مداح الجزائري" و "عز الدين عزوز التونسي" و "الأمير رشيد بن محمد بن عبد الكريم الخطابي" ، وكان الفوج على مجموعتين، الأولى ضمت المئات من المتطوعين المغاربة القادمين من كتيبة (المغاربة لتحرير فلسطين)، وضمت الثانية متطوعي بلاد المغرب العربي والكثير منهم من الجزائريين الذين تدربوا في معسكر مرسى مطروح.

ج – المشاركون الجزائريون في الجبهة المصرية والمقدسية:

وصلت كتيبة من الجزائريين والليبيين والتونسيين في شهر مارس 1948م إلى معسكر "الهاكستيب" بعد أن تم تدريبهم في معسكر مرسى مطروح في صحراء مصر الغربية، لينجح أعضاء الكتيبة في الهجوم على مستعمرة كفر داروم وسط قطاع غزة في ماي 1948م، وقد استشهد فيها تسعة مجاهدين منهم 5 جزائريين.[8]

كما استقرت مجموعة المغاربة في "العصلوج" وقرية "العوجة" قرب بئر السبع أين قامت بأدوار بطولية في ضرب القوات الصهيونية، حيث كان للمهاجرين الجزائريين بفلسطين دور مهم في الدفاع عن الأرض المقدسة في حربهم ضد الصهاينة، وقد بلغ عدد الجزائريين المتطوعين في حرب فلسطين سنة 1948م ما بين 220 و 260 مجاهدا، ضمتهم الكتائب المشاركة في الحرب أهمها الكتيبة المغاربية الأولى وكتيبة الفوج التاسع تحت قيادة الجيش السوري والكتيبة الثالثة في شمال قطاع غزة وبعض المتطوعين بجيش الجهاد المقدس الفلسطيني، ولا يدخل في هذا الإحصاء المجاهدين الجزائريين القاطنين بفلسطين وسوريا والمقدر عددهم بالمئات.[9]

3 – نماذج للجزائريين المشاركين في حرب 1948م:

أ – محمود عيساوي:

ولد محمود بن علي بن أحمد عيساوي بمدينة تبسة سنة 1927م، وتعلم كسائر أبناء جيله في الكتاب فحفظ شيئا من القران الكريم ومبادئ اللغة العربية والدين الإسلامي، ولكنه لم يلبث أن انقطع عن الدراسة بسبب عام الشر 1942م، وذهب للعمل وحمل الأثقال للجيش الأمريكي مقابل لقمة عيشه.[10]

فلما اندلعت الحرب الغادرة في فلسطين سنة 1948م، لتنطلق الأصوات الجزائرية الحرة من قادة ومناضلي حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في المجالس الشعبية، والمساجد، والصحف، بضرورة مؤازرة إخواننا العرب المستضعفين في فلسطين، حتى أبلغه رفيقه عبد الحفيظ قصري التبسي (صادق) بفتوى علماء البلاد الحاثة لشباب الأمة على التطوع للجهاد في سبيل الله على الأرض المقدسة، فانطلقوا في ليلة 17-05-1948م إلى فلسطين سيرا على الأقدام، وعند وصولهم إلى فلسطين التحقوا بجيش الإنقاذ وسلحوا ببنادق ورشاشات قديمة ليتم بعد ذلك توزيعهم في الجبهة الشمالية لفلسطين، وخاضوا ضد عصابات الهاغانا معارك شرسة أصيب فيها المجاهد محمود عيساوي بجروح، وقد جاء على لسان محمود عيساوي: أنهم كانوا يهاجمون اليهود في مستوطناتهم وحصونهم ليلا. وقد روى السيد محمود عيساوي لابنه إنهم قضوا ما تبقى من صيف 1948م وعام 1949م بين شمال وشرق فلسطين في سهل الحولة.

وعند نهاية الحرب سنة 1949م، بتوقيع سوريا معاهدة رودس مع إسرائيل فضل محمود عيساوي البقاء في سوريا والانضمام إلى الجيش العربي السوري، وهناك تزوج امرأة سورية، ليعود بعدها إلى أرض الوطن مع ابنائه بعد أن تقاعد من الجيش العربي سنة 1963م، فالتحق بالجيش الجزائري إلى سنة 1969م، وشارك في انقلاب بومدين سنة 1965م، ثم استقال وعاد إلى دمشق وعمل في السفارة الجزائرية بدمشق، ثم عاد الى الجزائر إلى أن وافته المنية في 15-03-2000.[11]

ب – هواري محفوظ :

ولد هواري محفوظ في 11 فيفري 1925م بالبليدة، حفظ ما تيسر من القرآن الكريم واللغة العربية بمسجد الحي كما زاول دراسته بالمدرسة النظامية الفرنسية، وتحصل على

الابتدائية سنة 1944م ، ودخل السجن وأطلق سراحه في 8 ماي 1945م، ولما بلغته فتوى الجهاد في فلسطين التي أصدرها علماء الجزائر حول نجدة إخوانهم في فلسطين سارع رفقة الشهيد علي بن قربان للتوجه نحو فلسطين سيرا عن الأقدام وصولا إلى معسكر مرسى مطروح بمصر،أين تلقوا تدريبات عسكرية ثم نقلوا إلى جبهة القتال بمنطقة الجليل الأعلى شمال فلسطين حيث أبلوا بلاء حسنا، وخاضوا العديد من المعارك والاشتباكات ضد العصابات اليهودية، مثل معركتي سمخ والحولة، وبعد انتهاء الحرب عاد الشهيد إلى الجزائر وكان ضمن المشاركين في اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954م، ليستشهد في معركة ضارية خاضها في غابة الفرنان في ماي 1955م.[12]

ج – الشيخ أحمد الصديق:

هو أحمد الصديق العيساوي من مواليد الثامن جانفي 1893م في ولاية باتنة بالشرق الجزائري، تلقى دراسته الأولية بزاوية مسقط رأسه حيث حفظ القران الكريم، ومع بداية التجنيد الإجباري للشباب الجزائري في الصفوف الفرنسية للحرب العالمية الأولى، هاجر الشيخ إلى فلسطين فرارا من التجنيد رفقة مجموعة من العائلات، وسكنوا قرية "هوشة"بقضاء حيفا وتولى الشيخ أحمد الصديق إمامة مسجد القرية وكان يجوب قرى المنطقة محرضا على الثورة والجهاد ضد الاستعمار البريطاني والاستيطان الصهيوني، وأثناء قيام الحرب في فلسطين سنة 1948م، لجأ الشيخ للمقاومة عن القرية متبعا في ذلك طريقة الأمير عبد القادر في القتال داخل المدن والقرى حيث ألحقوا الخسائر بالعصابات الصهيونية، وقد وافته المنية في 24 – 06 – 1964م.[13]

-الخاتمة:

بعد هذه الدراسة التي تناولت مشاركة الجزائريين في حرب 1948م، توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات كان أهمها ما يلي :

أولا: وجود روابط تاريخية متينة تربط الجزائر بفلسطين شعبا وأرضا، فكانت مشاركة الجزائريين وحضورهم في الدفاع عن فلسطين ومقدساتها منذ الحروب الصليبية حول بيت المقدس، إلى غاية التهديد الصهيوني لفلسطين.

ثانيا: رغم الأوضاع التي كانت تعيشها شعوب البلدان العربية وخاصة الجزائر في تلك الفترة إلا أن أهلها حاولوا جاهدين الدفاع عن أرض فلسطين ومقدساتها.

ثالثا: سارع الجزائريون إلى فلسطين سيرا على الأقدام متحدين كل العقبات والمخاطر التي واجهتهم لتحرير الأرض المقدسة من الاحتلال الصهيوني شأنهم شأن العديد من أبناء المغرب العربي.

رابعا: لعب المهاجرون الجزائريون في فلسطين دورا كبيرا حين كافحوا من أجل منع اليهود من الاستيلاء على الأراضي المقدسة.

الهوامش والاحالات:

1-عبد الغني بن إبراهيم بلقيروس : **صفحات من جهاد الجزائريين بفلسطين 1948-،1949** دار الخلدونية، الجزائر، ط ،1 2010م – 1438هـ ، ص ص 70-.72

2-مولود عويمر: **المفتي محمد أمين الحسيني وصلته بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، رابطة أدباء الشام ،11-02-2012، تاريخ الاطلاع 18 -02-.2020

3-عبد الغني بن إبراهيم بلقيروس :المرجع السابق ، ص121.

4-نفسة ، ص 85.

5-عبد الغني بن إبراهيم بلقيروس : المرجع السابق ، ص-ص 85 – 88.

6-هاني عبد الغني : **التقويم الفلسطيني (محطات من تاريخ القضية)** ، عمان ، ط 1، 1997، ص 211.

7-أحمد زكريا محمد فرج وآخرون : **حرب 1948 ونكبتها**، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ط 1، 1431هـ/ 2010م ، ص 109.

8-أحمد شفيق أبو جزر: **العلاقات الفلسطينية الجزائرية في ظل الاحتلال الفرنسي (مواقف وأسرار)**، دار هومة، الجزائر، ص – ص 260/259.

9-أحمد الشنتي : الجزائر والقضية الفلسطينية صفحات من جهاد المشترك، **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، ع 13، جانفي 2015م، ص 117.

10-عبد الغني بن إبراهيم بلقيرس : المرجع السابق، ص 139.

11-أحمد عيساوي : **مدينة تبسة وأعلامها (بوابة الشرق ورئة العروبة وأريج الحضارات)** ، مؤسسة البلاغ ، (د-ر- ط) ، (د-س)، ص 134.

12-عبد الغني بن إبراهيم بلقيرس : المرجع السابق، ص 125.

13-نفسه، ص 126.

محمود الأطرش أو المغربي
مناضل فلسطيني يساري، مقدسي المولد، جزائري الأصل

د/ الطاهر سبقاق – جامعة الوادي

مقدمة

كثيرة هي الشخصيات الجزائرية التي ارتبط ذكرها ببلاد الشام عامة وفلسطين بوجه خاص، وقضايا المشرق العربي بشكل أعم، مثل أبي مدين شعيب التلمساني، وأحمد شهاب الدين المقري، ويحي الشاوي، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والفضيل الورتيلاني، ومحمد الخضر حسين، والشيخ طاهر الجزائري وغيرهم . ولعل من أبرز الشخصيات التي خطفت نظري في حقل النضال السياسي هو محمود الأطرش أو محمود المغربي. فمن هو محمود الأطرش؟ وما هي أبرز محطات نضاله من أجل القضية الفلسطينية؟

سأحاول جمع ما يمكن من شذرات المعرفة لتسليط الضوء على هذه الشخصية المثيرة للاهتمام، وما تكبّدته من معاناة وتشرد وسجون في سبيل نصرة القضية الفلسطينية، ومواجهة خصومها في الداخل والخارج. وقد اعتمدت في هذه الورقة الموجزة على عدد قليل من المراجع والمواقع الإلكترونية، وكان جلّ تركيزي على مذكراته الشخصية التي أعدّ وقدّم لنا نصفها الأول (1903-1939) الباحث الفلسطيني المقيم في دمشق الأستاذ ماهر الشريف، ومع الأسف لا زال جزؤها الثاني (1939-1978) مخطوطا ومخبأ في الأدراج، هذه الفترة الثانية لا تقل أهمية عن الأولى بل ربما أكثر أهمية لأنها تزامنت مع حرب 48، والعدوان الثلاثي، وحرب 67، ومجازر أيلول الأسود 1970، وحرب 73، والحرب الأهلية 1975، وجبهة الصمود والتصدّي عام 1978. ولقد شجّعني البروفيسور علي غنابزية مشكورا على الإسهام بهذه الورقة على قلة دسامتها.

1-الولادة والنشأة : محمود الأطرش أو المغربي شخصية شيوعية بارزة في فلسطين والمشرق العربي والكومنترن[1] (الأممية الشيوعية) في موسكو في عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته، وفي الجزائر في أربعينياته وخمسينياته وستينياته. عُرف محمود الأطرش، واسمهُ عند ولادته (محمود الحاج رابح)، باسم محمود المغربي (نسبة إلى أصله الجزائري أوّلا وإلى حارة المغاربة[2] التي وُلد بها وسكنها مع عائلته)[3]. ولد محمود في ديسمبر عام 1903 من أبوين عاملين هاجرا من الجزائر في أواخر القرن 19 هروبا من مضايقات المستعمر، يعرّف محمود عن

نفسه: (.. ولدتُ في مدينة القدس قرب شارع البراق (حائط المبكى) في حيّ المغاربة لأبوين عاملين: الأب يدعى الحاج رابح بن علي، وهو عاملٌ بنّاء وفلاّح من قرية بيت الدّيس – أولاد سيدي إبراهيم الغول- بالقرب من مدينة بوسعادة في الجزائر، وكان يعمل في آخر حياته حارسا في مطحنة (برغم) في مدينة القدس، والأمّ تدعى حليمة بنت أحمد خليفة من قرية بني خليفة قرب مدينة تيزي وزّو في الجزائر أيضا، وتدعى أمّها قطينة، وكانت تعمل في النسيج اليدويّ في دار أبيها لحساب بعض التجّار في دمشق، ثمّ انتقلت مع والديها إلى قرية جبليّة، يسكنها عدد كبير من مهاجري القبائل الجزائريّين، تدعى دَيْشُوم[4] وتقع شمال فلسطين بالقرب من الحدود اللبنانية، حيث اقترنت هناك بوالدي وذهبت معه إلى مدينة القدس)[5]. ويقول عن نفسه أيضا: (حفظت القرآن بينما كان عمري لا يتجاوز عشرة أعوام، وكنت أتلو الآيات القرآنية التي كان يأمرنا الشيخ بحفظها، في كل مكان: في الطريق وفي الدار، وعند المنام، كما أتممت العمليات الحسابية الأربع الأولى، وحفظت جدول الضرب وشيئا من التجويد والفقه، وكنت بدوري أكتب في كل صباح مع الشيخ، للأولاد الصغار، دروسهم القرآنية على ألواح من الزنك لحفظها، وأقرأها لهم)[6].

توفي والد محمود بعد ستة أشهر من مولده وبعد عام من وفاة الوالد انتقلت العائلة من القدس إلى يافا أين أتم دراسته الابتدائية لكنه سرعان ما انقطع عن دراسة المستوى الإعدادي لانشغاله بالعمل في مجالات عديدة كالفلاحة والنقل(الحمالة) والبناء وغيرها، ومن هناك بدأ مشواره النقابي والسياسي ضمن التيار اليساري.

2-**نضاله ضمن التيار الشيوعي:** عاصر المناضل محمود الأطرش في شبابه أحداث في غاية الأهمية عالميا، مثل الثورة الاشتراكية (البلشفية) عام ،1917 وانتفاضة القدس عام 1920، وفي نفس السنة مؤتمر الشعوب الإسلامية في باكو[7]، وحسب مذكراته التي قدمها الباحث الفلسطيني ماهر الشريف[8]، سعى محمود الأطرش لما كان في يافا - بالتعاون مع عدد من رفاقه - من أجل تأسيس نقابة للعمال العرب في حي المنشية المختلط العربي - اليهودي بمدينة يافا، وهنا تعرّف إلى الشيوعيين اليهود ومن خلالهم انتسب إلى صفوف الحزب الشيوعي الفلسطيني في أواخر عام 1925. بدأت تتكشّف ميوله النضالية على إثر احتكاكه بالشيوعيين اليهود وانخراطه معهم في منظمة الشبيبة الشيوعية، وفي عام 1926 تم انتخابه أمينا لفرعها في مدينة يافا.

أوفدته قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني إلى موسكو سنة 1927 للدراسة في "جامعة

كادحي شعوب الشرق"[9] حيث أمضى ثلاث سنوات، عاد بعدها إلى فلسطين ليساهم، في إطار خطة "التعريب" في قيادة الحزب أي إسناد القيادة للشيوعيين الفلسطينيين العرب، والذين لم يكن عددهم في منتصف العشرينات سوى سبعة أعضاء، آنذاك انتخبه المؤتمر السابع للحزب الذي انعقد نهاية ديسمبر 1930 عضواً في أمانة لجنته المركزية. في عام 1935 تم تعيينه عضواً في اللجنة التنفيذية لـ"الكومنترن" وهو في السجن ممثلاً للأحزاب الشيوعية العربية. والتحق بمنصبه في موسكو وبقي فيها ما بين 1936 و1938. شارك في تأسيس ودعم الكثير من الأحزاب الشيوعية العربية، على غرار الحزب الشيوعي الفلسطيني، والحزب الشيوعي السوري- اللبناني، والحزب الشيوعي العراقي، وساهم في إعادة بناء الحزب الشيوعي المصري، وعمل في الحزب الشيوعي الجزائري منذ 1939 بتعليمات وتوصيات من الكومنترن.

اعتقلته سلطات الانتداب البريطاني في مطلع فيفري 1931، وحُكم عليه بالسجن لمدة سنتين، ثم وضع بعد إطلاق سراحه تحت المراقبة البوليسية. أوفد في أفريل 1933 إلى سوريا ولبنان، حيث شارك في قيادة الحزب الشيوعي السوري- اللبناني حتى سنة 1936، اعتُقل في دمشق، في ماي 1935، واقتيد إلى فلسطين، حيث أمضى ستة أشهر في السجن في القدس، وقد تعاطف معه السجناء السياسيون بأن نظّموا إضراباً عن الطعام استمر 19 يوماً، احتجاجاً على المعاملة القاسية التي لقيها من جلاديه[10]. انتقل بعد إطلاق سراحه إلى لبنان لكنه اعتُقل من جديد في بيروت في ربيع العام 1936، وصدر قرار بمنعه من الإقامة في سوريا ولبنان، واقتيد إلى الحدود مع فلسطين مرة أخرى، وأمضى في السجن هناك فترة وجيزة.

طبقا لتعليمات الكومنترن تم إرساله إلى فرنسا تمهيدا للذهاب إلى الجزائر وذلك في ربيع 1938، وبعد طول انتظار للتنسيق مع كوادر الحزب الشيوعي الفرنسي في ترتيب أمور سفره إلى الجزائر إلا أن الشرطة الفرنسية قادته إلى سجن "لاسانتي"[11] بتهمة أنه "إرهابي فلسطيني" يخطط لاغتيال ملك إنجلترا آنذاك جورج السادس[12] الذي كان سيقوم في تلك السنة بزيارة رسمية للعاصمة الفرنسية. أطلق سراحه فيما بعد واستدعي للتحقيق في العديد من المرات، بقي حوالي سنة ونصف في فرنسا بين باريس ومارسيليا ولم يدخل إلى الجزائر إلا في صائفة 1939. ولقد زار عائلته ببوسعادة لكن سرعان ما تم القبض عليه من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية وأودع في سجن "بربروس" في نفس السنة التي دخل فيها بصفته عضوا

في الحزب الشيوعي الجزائري. انتخب عضو قياديا في نقابة عمال البناء في الجزائر بين 1943-1946، كما اشتغل محررا لصحيفة الحزب الشيوعي الجزائري "الجزائر الجديدة" بين 1946-1955، انتقل إلى العمل السرّي خلال الثورة التحريرية بين 1954-1962 وكان يعرف باسمه الحركي: "ايزيدور"[13]، وفي عام 1959 ألقي عليه القبض وزُجّ به في معتقلي بني مسوس والدويرة بسبب نضاله بحي القصبة في دعم جبهة التحرير الوطني.

ساهم محمود الأطرش في "جزأرة" الحزب الشيوعي الجزائري[14]، وفي تأطير بعض مناضليه المشهورين أمثال المناضل بشير حاج علي[15]، خاصة بعد زواجه من شقيقته دهبوشة. ومن أواخر1963 حتى 19 جوان 1965، كان محرراً في صحيفة "الجزائر الجمهورية" رفقة عبد الحميد بن الزين[16]. اعتُقل في سبتمبر 1965 على يد النظام الجديد بتهمة المشاركة في تأسيس منظمة المقاومة الشعبية، ولم يفرج عنه إلا بعد إضرابه عن الطعام لمدة 21 يوما في أوت 1966.

اشتغل بين 1967-1968 محرراً لصحيفة "الثورة والعمل" لسان حال الاتحاد العام للعمال الجزائريين. وفي مارس 1968 غادر الجزائر إلى ألمانيا الديمقراطية، حيث كتب في برلين مذكراته، ثم عاد إلى الجزائر في 1976 للحضور الى مراسم دفن زوجته دهبوشة حاج علي، أما عن مكان وتاريخ وفاته فهناك من يقول بوفاته في برلين عام 1978 ، وآخرين يشيرون إلى وفاته بالجزائر في فيفري عام 1981، وحسب هؤلاء الأخيرين أن أهمية الشخصية وبعدها العالمي تجلّت خلال جنازته في الجزائر بمقبرة القطار بباب الواد بالعاصمة، حيث تفاجأت السلطات الحاكمة آنذاك بالعدد الهائل من السفراء وممثلي الدول الاشتراكية، والأحزاب التقدمية والحركات التحررية التي حضرت تشييع جثمانه لمثواه الأخير.

3-كتاباته الصحفية والدراسات التاريخية والسياسية:

حرر عددا كبيرا من التقارير، وشارك في تحرير كل من جريدة "الصاعقة" 1928-1930، وهي جريدة حائطية للطلاب العرب في الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق في موسكو؛ و"إلى الأمام" 1930 وهي مجلة الحزب الشيوعي الفلسطيني السرّية؛ "نضال الشعب" 1934-1936 وهي صحيفة الحزب الشيوعي السوري-اللبناني السرّية؛ و"مجلة الشرق العربي" التي كانت تصدر في باريس. كما ساهم في تحرير عدد من الصحف والمجلات الصادرة عن الكومنترن، مثل: المراسلات الصحفية الأممية 1936-1937؛ الأممية الشيوعية عام 1937. وكتب سلسلة دراسات بعنوان: فلسطين من الأمس إلى اليوم، كما

سلّم دراسة عن الوحدة العربية إلى دار المنشورات الوطنية قبل تغير النظام في الجزائر، وحضر دراسة أخرى عن السودان عام 1965. وكان آخر ما كتبه هو مذكراته في برلين والتي قاربت 700 صفحة.

الخاتمة

من المؤسف حقا أن ننسى أو نهمل ونتغافل عن تدوين مسارات شخصيات الجزائر عبر التاريخ ولا نتذكرهم أو نعرف قيمتهم إلا حين نفقدهم، فنضع باقات الورد على قبورهم أمواتا، ولم ينالوا منا وردة واحدة وهم على قيد الحياة، حتى أصبح التكريم هاجسا مقلقا للبعض؛ لأنه مؤشر على قرب الرحيل أو الإدراج في خانة النسيان. كما يؤلمني أيضا أننا لا نهتم برجالات ونساء بلادي في مختلف الحقول إلا حين يزكّيهم المشرق العربي أو تعترف بهم الدوائر الغربية آنذاك، فقط نهرول للتبجح والافتخار بأنهم ينتمون إلى الجزائر. ولعلني في هذه الورقة حاولت نفض الغبار عن هذه الشخصية المميزة في حقل الكفاح التحرري في فلسطين والمشرق العربي.

الهوامش والاحالات:

1- أسست الأممية الشيوعية (الثالثة)، المعروفة باسم الكومنترن، في موسكو في مارس 1919 لتكون إطارا تنظيميا يجمع الأحزاب الشيوعية التي انشقت عن الأممية الاشتراكية(الثانية)، وأيدت ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا بزعامة لينين. وقد برزت بصفتها حزبا شيوعيا عالميا يقوده مركز في موسكو وتمثله اللجنة التنفيذية. وصدر القرار بحلها، خلال الحرب العالمية الثانية، في ماي1943 .

2- ماهر الشريف، **طريق الكفاح في فلسطين والمشرق العربي، مذكرات القائد الشيوعي محمود الأطرش**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2015، ص 20 .

3- تواجه الباحث، هنا، مشكلة كبيرة تمثّل في صعوبة تحديد أصول الوافدين العرب على بلاد الشام، فالمؤرخين القدامى المهتمين بتاريخ الشام، أمثال ابن خلّكان، وابن عساكر، والأنطاكي، والمقريزي، وخاصة الذهبي وابن سعيد المغربي يطلقون تسمية المغاربة على كل القادمين من الغرب ابتداء من مصر حتى مراكش بل والى الأندلس أحيانا. انظر: الطاهر سبقاق، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، جامعة غرداية، العدد11، جوان 2011 ص 165، وأيضا في الحاشية : صلاح الدين المنجّد، المشرق في نظر المغاربة، ص.23

4- وهي واحدة من القرى الكثيرة التي استقر بها المهاجرون الجزائريون مثل ديشوم، عالما، عموقة، الحسينية وتليل، ماروس، صفد، ومعذر، كفر سبت، وسمخ للمزيد انظر: فؤاد عبد النور، **قرية ديشوم الجليلية**، https://arabvoice.com/87509/.

5- ماهر الشريف، المرجع السابق، ص 20 .

6- نفس المرجع، ص.24

7- في المؤتمر الثاني للكومنترن الذي عقد في موسكو بين 19 جويلية و7 اوت 1920 تقرر عقد المؤتمر الأول لشعوب الشرق في مدينة باكو عاصمة اذربيجان، حضر المؤتمر(1891) عضوا ينتمون الى (37 قومية) من بينهم (1273) شيوعيا والوفود كانت تركية وفارسية وارمنية وروسية وجورجية وطاجيكية وقرغيزية ويهودية

وخزرية وتركمانية وهندية وصينية وابخازية واواكرانية وبشكيرية وكردية وليتوانية وكرواتية وهنغارية وخزرية وكورية واوزبكية وانفوشية وغيرها . مثل العرب (3) أعضاء ومثل الاكراد (8) أعضاء ومثل الأتراك (235) عضوا ومثل الفرس (192) ومثل الأرمن (157) عضوا . وثمة من يقول أن هناك (266) لم يحددوا قوميتهم. وكان عدد الحضور من النساء (55) إمراه . ومن الاهداف المعلنة للمؤتمر المعلنة :" الدفاع عن شعوب الشرق " في وجه المطامع الاستعمارية والامبريالية" للمزيد انظر: ابراهيم خليل العلاف، "مؤتمر شعوب الشرق في باكو 1920"، **مجلة الحوار المتمدن**، العدد5134، 2016، ص17-49. انظر أيضا: علي محافظة، **العرب و العالم المعاصر**، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن ،2009، ص 184-186 .

8- **ماهر الشريف:** مؤرخ ومثقف يساري، ولد في دمشق 1950، لأب فلسطيني وأم سورية. من آثاره: «رهانات النهضة في الفكر العربي» «عن بعض مظاهر الماركسية: مراجعة نقدية» «الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين 1919 - 1948»، «فلسطين في الأرشيف السري للكومنترن»، «حى الميدان في العصر العثمانى»، «تطور مفهوم الجهاد في الفكر الإسلامي»، «طريق الكفاح في فلسطين والمشرق العربي، مذكرات القائد الشيوعي محمود الأطرش».

9- جامعة كادحي شعوب الشرق أو الجامعة الشيوعية لشعوب الشرق أو مدرسة ستالين، تأسست عام 1920 بموسكو تحت اشراف الكومنترن بهدف تكوين كوادر الأحزاب الشيوعية في العالم فكريا وسياسيا، وإعدادهم لاستلام زمام الأمور في بلدانهم، التحق بها الكثير من العرب أمثال نجاتي صدقي ومحمود المغربي وأخيه طاهر من الحزب الشيوعي الفلسطيني، وخالد بكداش من الحزب الشيوعي السوري، وناظم حكمت من الحزب الشيوعي التركي وغيرهم.

10- عبد العزيز بوباكير، **محمود الأطرش...مقدسي من الجزائر اتهم بمحاولة اغتيال ملك انجلترا**: انظر الموقع:http://www.elwatandz.com/watanarabi/26091.html تاريخ الزيارة:2020/02/02 الساعة: 19:00.

11- سجن لاسانتي(La Santé): من السجون القديمة في قلب العاصمة الفرنسية باريس والتي تم بناؤها بين 1863-1868، ومن مميزات هذا السجن أنه مقسّم إلى 5 أجنحة: الجناحA للنزلاء ذوي الأصول الأوروبية الغربية، الجناحB للنزلاء من إفريقيا السوداء، الجناحC مخصص للقادمين من المغرب العربي، الجناح D للنزلاء من باقي العالم. انظر الموقع أدناه:https://fr.wikipedia.org/wiki/Prison_de_la_Sant تاريخ الزيارة:2020/02/02.

12- عبد العزيز بوباكير، المرجع الالكتروني السابق.

13- ولقد استعمل محمود الأطرش أسماء حركية عديدة، مثل: مارات آو مراد خلال إقامته الأولى بموسكو؛ ومسعود لما عاد إلى فلسطين؛ أبو داود في لبنان؛ سليم عبود في سورية وخلال عمله لدى الكومنترن في موسكو؛ للمزيد انظر: ماهر الشريف، المرجع السابق، ص363 .

14- جعفر بن صالح، حوار مع الباحث بومدين لشلاش، القائد الشيوعي وليد القدس ودفين مقبرة القطّار المتهم باغتيال ملك إنجلترا، جريد الخبر 2015/10/23 .

15- **بشير حاج على (1920-1991):** مناضل شيوعي جزائري بارز انضم للحزب الشيوعي الجزائري عام 1945 وأصبح بعد خمس سنوات أمينه العام، واصل نضاله بعد الاستقلال وتعرض للسجن عديد المرات انظر: جريدة الشروق الجزائرية الصادرة يوم 2008/11/16 .

16- **عبد الحميد بن الزين(1926-2003)** : مناضل شيوعي جزائري قبل وبعد الاستقلال وهو أيضا إعلامي بارز اشرف على تحرير جريدة "الجزائر الجمهورية".

موقف النخبة الجزائرية من أعلام الإصلاح حول مشروع التقسيم وقيام دولة إسرائيل (1931-1948)

ط.د/ حنكة حواء - جامعة الوادي

مقدمة

كان اهتمام الجزائر بالقضية الفلسطينية منذ أيامها الأولى، على الرغم أن الجزائر كانت ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي، ورغم التضييق الاستعماري، بيد أن الحركة الوطنية بمختلف تياراتها، استطاعت أن تعبر عن رأيها في الأوضاع الداخلية والخارجية، بل وتكون عنصرا فاعلا ومحركا للأحداث في كثير من المواقف، خصوصا ما حدث في فلسطين من انتهاكات وظلم. إن فلسطين بلد العروبة ومسرى الرسول الكريم وموطن بيت المقدس، التي عرفت أخطر وأخبث مؤامرة حاكها اليهود ونفذتها القوى الاستعمارية الكبرى في العالم، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية.

أما الارتباط العقدي، كان المحرك الأساسي للجماهير العربية والجزائرية عموما، وللنخبة خصوصا من أعلام الإصلاح، المدافعين عن الهوية الإسلامية ومبادئ العروبة، وقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تخصص صحفها للدفاع عن القضية الفلسطينية، والاحتجاج ضد الدول الغربية الداعمة للحركة الصهيونية، رافضة مشاريع التقسيم وقيام دولة إسرائيل، منددين بأعمال العنف والشغب التي تمارس ضد الشعب الفلسطيني.

وهذا يجعلنا نطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى استطاعت النخبة الجزائرية من أعلام الإصلاح طرح القضية الفلسطينية في الصحافة؟ وكيف دافعوا عن القضية وعبروا عن رفضهم للتقسيم وقيام دولة اسرائيل عام 1948م؟ والهدف من هاته الورقة البحثية هو إظهار مواقف النخبة الجزائرية من أعلام الاصلاح في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وإبراز دورهم في الدفاع عن القضية الفلسطينية والوسائل التي استخدموها لذلك، وكذا آرائهم حول الأحداث بفلسطين في فترة الثلاثينيات وحتى أواخر الأربعينيات من القرن العشرين، أما المنهج المتبع في الدراسة فقد اخترنا المنهج التاريخي التحليلي لتبيان الأوضاع المحيطة بالقضية الفلسطينية، والعوامل والأسباب التي دفعت بالنخبة الجزائرية التي تعيش نير الاستعمار، إلى مواكبة الأحداث الخارجية بل ومحاولة إصلاح

الأوضاع من خلال استخدام شتى الوسائل الممكنة.

1-النخبة الجزائرية:

أ-لغة: جاء مصطلح النخبة في "لسان العرب"، نخب، انتخب الشيء: أي اختاره، ونُخبة القوم خيارهم، والنخبة: المنتخبون من الناس والمنتقون[1]. أما في "القاموس المحيط" للفيروز آبادي: النخبة بالضم أي انتخبه واختاره[2].

ب-اصطلاحا: النخب(ة) بصيغة المفرد يقابلها "النخبة الحاكمة" أو "النخبة الموجهة" وحسب استعمالاته فإنه يشير إلى الفضاءات الحكومية، والإدارات العليا والطبقة السياسية، أو بصفة عامة كل من يشاركون بصفة علنية أو سرية في القرارات الهامة. أما مفهوم النخب(ة) بصيغة الجمع فهي تمثل مجموعة الأقلية التي تحتل المكانة العالية في المجتمع، وانتحلت حق تسوية الأمور المشتركة بإمكانيات مختلفة، وهكذا فإننا نحيل في الغالب إلى الأشخاص الموجودين في موضع أو مركز رفيع في مختلف النشاطات.[3] وعلى اعتبار أن المثقفين لا يمثلون طبقة فهم يمثلون النخبة، كما عرفهم كل من توماس بوتومور عام 1964م، وسيسلزنك عام 1977م[4].

وتعرف النخب(ة) أيضا على أنها الأفراد المتميزون والمؤثرون في مجتمعاتهم، وهي فئة لها القدرة على التأثير في الرأي العام وقيادته واتخاذ القرارات والمواقف، وتتعدد النخب لتشمل النخب السياسية والاقتصادية والفكرية، أية طائفة تتوفر فيها صفات ذات قيمة كالقدرة الفكرية والسلطة الأدبية والنفوذ الواسع[5].

أما النخبة الجزائرية فيعرفها علي مراد "أنها الجماعة التي تحسن اللغة العربية والفرنسية وتنتمي للطبقة المثقفة". يؤيده في ذلك المستعرب الفرنسي جورج مارسي قائلا: "أولئك الجزائريين الذين جمعوا بين اللغة العربية والفرنسية" [6].

2-واقع فلسطين في الفترة ما بين(1914- 1948):

ارتبط المغاربة بفلسطين منذ الفتح الإسلامي، وبعده غدا المشرق الإسلامي قبلة لهم، إذ كانوا يعتبرون مَنْ حَجَّ ولم يُصَلّ بالمسجد الاقصى حجّه ناقص، ولا زال باب المغاربة شاهدا على انتشار المغاربة في فلسطين وتصاهرهم.

وقد مثلت القضية الفلسطينية في الفترة الممتدة ما بين 1914-1948م جوهر الصراع العربي الإسرائيلي، وذلك راجع إلى وعد بلفور عام 1917م، الذي دعا إلى إنشاء وطن قومي

لليهود بفلسطين، وساهمت بريطانيا إلى جانب عدد كبير من الدول من أجل تنفيذ مشروع الاستيطان، بانتهاز سياسات إدارية وعسكرية، وراحت تتقاسم تركات الدولة العثمانية مع الدولة المنتصرة عقب الحرب العالية الأولى، لتتوج بالانتداب البريطاني على فلسطين عام 1920م، كذلك لرعاية إقامة الوطن القومي لليهود تحت ستار ودعم دولي واضح، وكان لبريطانيا الدور الحاسم في تبلور المشروع الصهيوني بفلسطين، وقد ارتكز التحالف الصهيوني على ركائز أولها اتفاقية سايكس بيكو لاقتسام البلاد العربية ثم وعد بلفور كركيزة لتنفيذ اتفاقية لمنح اليهود جزءا من الأراضي العربية، وحمايتها بموجب صك الانتداب الذي منحته عصبة الأمم.

بعد الحرب العالمية الثانية، كان الفلسطينيون يترقبون تطور الأوضاع دون أن يكون لهم أي تأثير بسبب التشتت والضعف الذي كانت تعاني منه الدول العربية، إضافة إلى غياب قيادة فلسطينية موحدة، ولقد سعى اليهود من أجل الوصول لهذا الهدف، فضاعفوا من نشاطهم المسلح داخل فلسطين، وشرعوا في تنفيذ عمليات إرهابية ضد الفلسطينيين للتخلي عن أرضهم[7]، ولإيجاد حل للصراع العربي الاسرائيلي، شكلت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 23 سبتمبر1947م، لجنة مكونة من عدة دول، حيث أقامت اللجنة بطرح مشروعين لحل القضية الفلسطينية، واختارت اللجنة المشروع الأول وأحالته للتصويت في 29 نوفمبر 1947م[8] ، وبموجبه قسمت فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية، وعينت القدس منطقة دولية، وأعلنت بريطانيا يوم 14 ماي 1948م عن انتهاء الانتداب وجلاء قواتها، وقام الصهاينة بعد هذا الانسحاب بإعلان دولتهم يوم 15 ماي 1948م.[9]

3-جهود أعلام الاصلاح في الدفاع عن القضية الفلسطينية:

ظلت المسألة الفلسطينية خلال الثلاثينات والأربعينات محور اهتمام النخبة الجزائرية عامة وأعلام الحركة الوطنية خاصة، وقد كان لأعلام الاصلاح دور ريادي في الدفاع عن القضية خصوصا بعد انعقاد المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين يوم 5 ماي 1931م، وردود فعلها إنما تتماشى مع أهدافها التأسيسية، فالجمعية إنما تأسست حفاظا على الهوية الجزائرية وتنقية المجتمع من جميع الضلالات التي التصقت به، وعلى الرغم أن الجمعية لم تدخل المعترك السياسي إلا عام 1936م في المؤتمر الإسلامي، إلا أن مؤسسيها والمنضوين تحت لوائها كانت لهم أراؤهم الشخصية ومقالاتهم الصحفية المنددة

برفض الوضع الفلسطيني[10]، على اعتبار أن فلسطين وقف إسلامي لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فارتباط المسلمين بفلسطين ارتباط عقدي، كونها تحوي بين جنباتها المدينة المقدسة التي تحتضن أولى القبلتين وثالث الحرمين: المسجد الأقصى المبارك، لهذا نجد الصحافة التي كانت تصدر باسم الجمعية تخصص حيزا لفلسطين، كما كان هدف الجمعية الحفاظ على الهوية الإسلامية وإعادة ربط الجزائر بالأمة العربية حضاريا ولغويا. فالشيخ عبد الحميد ابن باديس **لم** يعايش كل أطوار القضية الفلسطينية وتداعياتها، إلا أنه كان من أوائل العلماء المسلمين الذين تنبهوا لخطورة وأطماع اليهود في فلسطين، كتب عنه توفيق محمد مقبل قائلا: (ولعل أهم القضايا التي شغلت بال ابن باديس بعد القضية الجزائرية كانت فلسطين، على الرغم من وفاته قبل تأسيس الكيان الصهيوني الباطل بثمان سنوات).[11]

وقد كتب ابن باديس في جريدة الشهاب سنة 1938م، مقالا تحت عنوان: **"فلسطين الشهيدة** : (رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة، وقد قال سبحانه تعالى في سورة الإسراء: ﴿**المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾ ، ليعرفنا بفضل تلك الرحاب، فكل ما هو واقع بها كأنه واقع برحاب المسجد الحرام ومسجد طيبة، وكل مسلم مسؤول عند الله تعالى على كل ما يجري في فلسطين).[12] وقد كان ابن باديس يدعو كل العرب للجهاد في فلسطين ضد الانجليز والصهيونية العالمية، ومذ بدأ يكتب وهو يهاجم الاستعمار بكل أشكاله ويعتبر الجهاد في فلسطين واجبا على كل العرب المسلمين.[13] كتب في مجلة الشهاب: (تزاوج الاستعمار الانجليزي الغاشم بالصهيونية الشرهة فأنتجا لقسم كبير من اليهود الطمع الأعمى، الذي أنساهم كل ذلك الجميل، فقذف بهم على فلسطين الآمنة والرحاب المقدسة، فأحالوها جحيما لا يطاق، وجرحوا قلب الإسلام والعرب جرحا لا يندمل)[14].

أما في حديثه عن فلسطين وابتلائها بالصهاينة وشرهم، ينصح بوجوب مناصرة الأمة الإسلامية قاطبة للقضية الفلسطينية قائلا: (كل مسلم مسؤول، أعظم المسؤولية، على كل ما يجري هناك من أرواح تزهق، وصغار تيتم، ونساء ترمل، وأموال تهلك، وديار تخرب، وحرمات تنتهك، كما لو كان واقعا بمكة أو المدينة، إن لم يعمل لرفع ذلك الظلم الفظيع بما استطاع).[15]

وقد سار خلفاؤه على نهجه، فقد كانت الجمعية تدعو على لسان البشير الإبراهيمي

للجهاد من أجل فلسطين بكل الوسائل. وقد كان الإبراهيمي نصيرا للقضية، وكانت خطبه ومحاضراته تشتمل دائما على الدعوة إلى المحافظة على أرض فلسطين :(إن فلسطين وديعة النبي محمد عندنا، وأمانة عمر في ذممنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة، إنا لخاسرون)[16]. ولم تقتصر جهود الإبراهيمي على الصحافة والخطب التي يلقيها، بل وضع مكتبته تحت تصرف اللجنة التي شكلت امتدادا لفلسطين وقال : (أما أنا فوالذي روحي بيده لو كنت أملك ما يملكه غيري، لخرجت من ذلك كله في سبيل عروبة فلسطين، ولكني أملك مكتبة متواضعة أضع خزانتها تحت تصرف اللجنة التي تشكل الإمداد لفلسطين).[17]

والطيب العقبي أيضا اهتم بالقضية ولم يكتف بالنشاط الصحفي بل أسس لجنة الدفاع عن فلسطين عام 1947م قائلا: (أنه حان الأوان لإظهار الاتحاد العملي والتضامن الفعلي، وسأحمل راية الجهاد بنفسي تاركا الأهل والأولاد)، وجاء أيضا في جريدة البصائر عام 1937م حيث تحدث في مقال قائلا:

(لبيك فلسطين فما أنت لأهلك ولكنك للعرب كلهم والمسلمين أجمعين). بين في هذا المقال حسرته تجاه مسار القضية الفلسطينية، وعبر عن المحبة التي يكنها للشعب الفلسطيني المشرد في أرضه، واستعرض أمجاد الفلسطينيين وتاريخها الحافل بالبطولات. كما قام بإرسال برقية إلى عزام باشا الأمين العام للجمعية العربية، ومحمد أمين الحسيني مفتي القدس، ورئيس الهيئة العربية العليا فوزي الفاوقجي قائد جيش الإنقاذ الممثلين للجمعية العربية في بيروت عام 1947م، وأهم ما جاء في برقيته:(أن الشعب المسلم الجزائري، يؤكد لكم إخلاصه العميق، وارتباطه المتين قلبا وقالبا).[18]

أما الشيخ الفضيل الورتلاني فكان له دور كبير في مساندة القضية الفلسطينية، فقد فتح باب التطوع والتدريب على السلاح لمن يريد المساهمة في الكفاح، وناضل من أجل القضية، ولعل أبرز ما قام به هو تأسيس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بمصر سنة 1946م، احتج فيها على قرارات اللجنة الأمريكية البريطانية من خلال مذكرة أرسلها إلى جميع الدول العربية محتجا على التوصيات التي خرجت بها لجنة التحقيق إلى عواقب تطبيقها حيث قال: (إن ثلاثين مليونا من أخلص العرب في إفريقيا الشمالية يعدون فلسطين جزء من وطنهم العربي الكبير ويعدونها بمثابة القلب من سائر الجوارح).

4-ردود فعل النخبة الإصلاحيين من مشروع التقسيم:

تم قبول قرار التقسيم في 29 نوفمبر1947م، وحينها عبرت جمعية العلماء عن رأيها فيه من خلال التصريحات وكتابات زعمائها في صحفها، والتبرع بالمال، وكان – قبل ذلك - زعيمها الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي حرص على الدفاع عن القضية الفلسطينية حيث كتب مقالا بجريدة البصائر محتجا على التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل[19] عام 1937م: (إن فلسطين بلد عربي ماضيه وحاضره، وقد صممت الأمة العربية على أن يبقى عربيا في مستقبله والحل العملي العادل لقضيته لا يكون باغتصاب قطعة منه وإعطائها لعنصر دخيل، ليس في الوطن العربي أقسام للمنح، من أراد فليمنح من ملكه الخاص).[20]

أما البشير الابراهيمي فيقول ردا عن قرار التقسيم: (وتكشف اللبس الذي تم عشرات السنين عن الحقيقة البيضاء، أن حق الشرق لا ولي له في الغرب ولا نصير، وجاء في هذا المجلس الذي يسمونه زورا مجلس الأمم المتحدة، ترائ الحق والباطل في ذلك المجلس). كما وصف بأنه قرار ظالم وتحديا صارخا للعرب والمسلمين في حقهم ودينهم ، إذ يقول: (أسفر الانتخاب عن تقسيم فلسطين تحديا للعرب والمسلمين ودينهم، فكان حظ اليهود منها بغير انتخاب ولا قرعة الجهات الخصبة، وكان حظ العرب منها الجهات الرملية والقاحلة والجبلية الجرداء، وكان حظ بيت المقدس إرثا لأحفاد الصليبيين).[21]

أما الشيخ الطيب العقبي وفي إطار الجهات المناهضة لمشروع التقسيم المقترح من قبل اللجنة الأممية منذ 31 فيفري1947م، وبهدف تدويل القضية الفلسطينية، وقرار الجامعة العربية بجعل يوم الجمعة الموافق لـ:31 أكتوبر1947م يوم فلسطين العالمي.[22] نادى بضرورة تقديم الدعم المادي لفلسطين والإسراع به حتى تحافظ على عروبتها وإسلامها، وأن الوسائل الأدبية لم تعد تجدي نفعا حيث أشار في جريدته النجاح قائلا: (إن مرحلة الخطب الحماسية والجمل المثيرة أصبحت غير مجدية، وأنه حان الأوان لحركة الجهاد، وبذل النفس والنفيس لتخليص فلسطين من محنتها حتى تبقى عربية مسلمة).[23]

أما الشيخ أحمد توفيق المدني فقد اعتبر مشروع التقسيم استهانة بالعرب، كما انتقد مجلس الأمن الذي بات وسيلة في يد الدول الاستعمارية، وذلك في مقال نشره في جريدة البصائر في ديسمبر1947م.[24]

أما الشيخ محمد العيد آل خليفة، فكانت له عدة مواقف في مختلف المحطات التاريخية البارزة في القضية الفلسطينية، فعلى إثر ثورة الفلسطينيين ضد الانتداب البريطاني عام 1936م، ألقى محمد العيد آل خليفة قصيدته "بني التاميز" ، التي نشرت في مجلة الشهاب في نفس السنة، حيث كادت هاته الثورة أن تقضي على النفوذ البريطاني والتواجد الصهيوني، الذي أدى ببريطانيا إلى استخدام الدبابات والطائرات لقمع الثورة والتنكيل بأبناء فلسطين فكتب:

بني التاميز قد جرتم كثيرا * فهل لكم عن الجور ازدجار
أفي أسواقكم نصبا وغصبا * تسوم (القبلة) الأولى التجار
إخال (القبلة) انسجرت دماء * كما للبحر باللجج انسجار

وحول تقسيم فلسطين، كتب قصيدة بنفس العنوان ونشرت في جريدة البصائر عام 1937م.

يا قسمة القدس أنت ضيزى * لم يعدل القاسمون فيك
مضوا على الحيف لم يبالوا * بما جرى من دم سفيك[25]

أما الشاعر أحمد سحنون فندد بالتقسيم ورفضه قائلا:

أمواطئ أقدام النبيين والرسل * وموطن نسل الوحي بورك من نسل
فداك العدى لا تقبلي قسمة العدى * وللموت سيري لا تبيتي على دخل[26]

5- ردود فعل النخبة الإصلاحية حول قيام دولة إسرائيل:

استمر أعلام الاصلاح بالاهتمام ومتابعة تطورات القضية الفلسطينية، فلم يكتفوا برفض مشروع التقسيم؛ فبعد إعلان قيام الكيان الصهيوني في 15 ماي 1948، أعلنوا تعاونهم الكامل مع الشعب الفلسطيني ماديا ومعنويا وسياسيا وإعلاميا، كما واصلت صحف الجمعية دورها الريادي في التوعية بمخاطر مرحلة قيام دولة اسرائيل[27]، فقد تحدثت جريدة البصائر في أفريل عام 1948م، قبل تأسيس دولة اسرائيل: (ونعرج إلى عرب الشمال الإفريقي ... إن عليهم حقا لا تسقطه الأعذار ولا تقف في طريقه القوانين، هذا الحق هو إمداد بالمال فمن أعان بالمال فقد قام بالواجب بأثقل شطريه، لا نستطيع إمداد فلسطين بالرجال لأنه ليس لنا ما لليهود من تسهيلات ... وإن من أوجب واجب علينا نحن العرب الذين ابتلينا بالاستعمار، أن نلوذ في قضية فلسطين بالفعل).

كانت معظم كتابات البشير الابراهيمي تدعو العرب لتجهيز جيش وتزويده بالسلاح

لمواجهة الجيش الصهيوني حيث يقول: (تعالوا يا أصحاب الضمائر المنفصلة إلى كلمة سواء بيننا وبين اليهود، تعالوا نقامركم مقامرة لا يقترحها إلا عربي ولا يقدم عليها إلا حوبي).[28] في جريدة البصائر ومجلة القوة الإسلامية العراقية، وكتاب فلسطين الذي أصدره مركز الإعلام العربي بالقاهرة، حيث أعطى للقضية الفلسطينية بعدا تاريخيا متطرقا إلى جوانبها السياسية والتاريخية والدينية، مبرزا أهميتها ومكانتها لدى العرب والمسلمين، وضرورة مواجهة المشروع الصهيوني في فلسطين، وفي عهده لرئاسة الجمعية تأسست الهيئة العليا لإعانة فلسطين في 14 جوان 1948م، برئاسة وعضوية الشيخ الطيب العقبي والشيخ إبراهيم بيوض، ثم تكونت لجنة تنفيذية للهيئة من أهل العلم والجاه، من أعمالها إرسال برقية إلى الحكومة تندد فيها باعتراف المجلس الوطني الفرنسي بالكيان الصهيوني، واعتبرت ذلك عملا عدائيا ضد العالم الإسلامي، واستفزازا لمشاعر مسلمي المغرب العربي، كما أرسلت الهيئة برقية مماثلة إلى جامعة الدول العربية تبرز فيها تضامنها لمكافحة الصهيونية متهمة الأمم المتحدة بالتواطؤ مع الحركة الصهيونية.

أما الشيخ العربي التبسي، الذي أفتى بوجوب الجهاد في فلسطين ونصرة أهلها، لما اندلعت حرب 1948، وقد لاقت صدى كبيرا في أوساط الشباب خصوصا من شباب تبسة، الذين اجتمعوا ليلة 27 ماي 1948م، بعدها شاركوا في الحرب ضمن المتطوعين المغاربة الذين بلغ عددهم حوالي 200 عنصر[29].

الخاتمة

كان للشعب الجزائري موقف واضح وصريح تجاه القضية الفلسطينية، وقد مثلته صفوة المجتمع من النخبة رغم اختلاف تياراتها وتوجهاتها، والتي لعبت دورا في تعبئة الجماهير، وتغذية الشعور الوطني والقومي، ومساندة القضية ماديا ومعنويا وروحيا وفكريا، من خلال الإعانات المالية أو إرسال الوفود والمتطوعين أو من خلال الكتابات في الصحف الوطنية أو الخارجية.

أما أعلام التيار الاصلاحي المنضوين تحت لواء جمعية العلماء المسلمين، فكان أثرهم كبير ودورهم ريادي في الدفاع عن القضية الفلسطينية، بدءًا من المؤسس الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبد الحميد بن باديس مرورا بمن خلفوه، وقد كانت لهم آراؤهم الواضحة منذ الثلاثينيات من القرن العشرين الرافضة لمشاريع التقسيم، معربة أن فلسطين بلد عربي، وهي لكل العرب والمسلمين، ولعل ما كتبه الإبراهيمي في البصائر

شامل ومعبر لهذا المفهوم حين قال: (وان اعتدوا عليها ونحن عصبة، إنا لخاسرون). كما وقفوا ضد بريطانيا والصهاينة، وعبروا عن رفضهم الشديد لقيام دولة إسرائيل، معبرين عن ذلك بالتعبئة الجماهيرية للجهاد، وبإرسال البرقيات تنديدا بالأفعال الشنيعة التي ترتكب في حق الفلسطينيين، وأن فلسطين واحدة لا تتجزأ، وأن فلسطين للفلسطينيين.

الهوامش والاحالات:

1-جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، دار الغرب للنشر، بيروت، 1970م، ص75.

2- الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005م، ص136 .

3- فضيل حضري، **تشكل النخبة الدينية في الجزائر- دراسة ميدانية بمنطقة تلمسان**، رسالة دكتوراة في علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة ابو بكر بلقايد، تلمسان، 2013م، ص 16 .

4- معن خليل العمر، **علم اجتماع المثقفين**، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م، ص 358 .

5- وليدة حدادي، **النخبة المثقفة وإشكالية المفهوم**، آفاق فكرية، ع10، سطيف، ماي 2019، ص ص 279-280 .

6- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار الغرب الإسلامي، د. ر. ط، ج2، بيروت، 1978م، ص 221 .

7- كامل محمود خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني**، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا، 1982م، ص596 .

8- أحمد عبد الرحيم مصطفى، **بريطانيا وفلسطين**، دار الشروق، مصر، 1986م، ص104 .

9- إسماعيل أحمد ياغي، **الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية**، دار المريخ للنشر، د. ر. ط، السعودية، 2007م، ص ص 126-127 .

10- رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 18 .

11- يوسف جمعة سلامة، **الإمام ابن باديس والقضايا الإسلامية (القضية الفلسطينية أنموذجا)**، المكتبة الرقمية، 2012/05/08م، 12:58، https://binbadis.net/archives/503.

12- مسعود فلوسي، **الإمام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده**، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م، ص ص 39-40 .

13- سميرة بن صفا، **جمعية العلماء المسلمين والقضية الفلسطينية 1931-1954م**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، المسيلة، 2014م، ص34 .

14- يوسف جمعة سلامة، مرجع سابق.

15- **البصائر**، ع:91، 2002/04/08م، الجزائر.

16- **البصائر**، ع: 22، 09 فيفري 1948م.

17- أحمد شني، الجزائر والقضية الفلسطينية- صفحات من الجهاد المشترك، **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، ع:13، جانفي2015، ص117 .

18- أحمد مريوش، **محاضرات في تاريخ الجزائري في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص242.

19- عام 1936م أوفدت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق برئاسة اللورد بيل، وأصدرت تقريرا توصي فيه بتقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق، منطقة عربية، منطقة يهودية، على أن تبقى الأماكن المقدسة وممر يافا تحت الانتداب البريطاني، للمزيد ينظر: فريد بلعاني، وداد عباس، **موقف النخبة المغاربية من القضية الفلسطينية (الجزائر أنموذجا)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي ص63 .

20- جريدة البصائر، ع:112، 06ماي 1948م، ص7 .

21- أحمد طالب الإبراهيمي، **آثار الامام البشير الابراهيمي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج3، بيروت، 1997، ص440 .

22- بلخامسة أميرة، مضوي غادة، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والقضية الفلسطينية (1931-1954)م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، كلية العلوم الانسانية الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة، 2016، ص67 .

23- أحمد مريوش، **الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية**، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص413 .

24- بلخامسة أميرة، مضوي غادة، مرجع سابق، ص67 .

25- مريم بلعاني، وداد عباس، مرجع سابق، ص64 .

26- أحمد سحنون، **الديوان**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص128 .

27- أحمد شني، الجزائر والقضية الفلسطينية- صفحات من الجهاد المشترك، **الأكاديمية للدراسات الانسانية والاجتماعية**، ع:13، جانفي2015، ص117 .

28- محمد البشير الإبراهيمي، **البصائر**، ع:30، 1948م، ص1 .

29- محمد ناصر بلخيري، جمعية العلماء المسلمين والقضية الفلسطينية، **جريدة الوسط المغاربي**، 2022/04/11م، الرابط:http://www.wassitmag.dz/%D8%AC.

القسم الثاني

مواقف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية حول قضية فلسطين

موقف حركة انتصار الحريات الديمقراطية
من تقسيم فلسطين 1947 - موقف مصالي الحاج أنموذجا

ط . د/ العاشوري موسى – جامعة سوسة .تونس

مقدمة

تمثل القضية الفلسطينية منذ نشوئها بالنسبة للعالم العربي والإسلامي قضية هوية وانتماء، فالتاريخ الإنساني على مرّ عصوره يشهد بأنّها أرض عربية إسلامية، وإن تخللته بعض فترات اغتصاب لها، إلاّ أنّ هذا لم يخرجها من حقيقتها الأصيلة، هذا ما دفع بالجزائر ممثلة في أجهزتها الرّسمية أو المجتمعية أن تجعلها قضيتها المركزية، ومن بينها رواد الحركة الوطنية ممثلة في نخبها وعبر أقلام علمائها، الذين جندوا أنفسهم للدّفاع عنها، بكل الطرق والوسائل المتاحة لذلك، ومن بين من تحمس للقضية الفلسطينية الزعيم مصالي الحاج، والذي أخذت قضية فلسطين حيزا كبيرا في مواقفه وبياناته، وبعض ما عثر عليه في أوراقه الشخصية، حيث تناول القضيّة من مختلف جوانبها السياسية، والدينية، والتاريخية، وأبرز أهميتها ومكانتها لدى العرب والمسلمين، وضرورة مواجهة المشروع الصّهيوني في فلسطين، حيث وصفها بأنّها قضية أمة بأسرها، وأقل ما يقال عنها أنّها مأساة إنسانية، تعددت أبعادها وضاقت حلولها، وتجلت القضية الفلسطينية أنّها تشبه القضية الجزائرية، في صراعها مع الاحتلال للتمسك بالأرض والهوية والدين.

1- قرار تقسيم فلسطين:

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر 1947 قرارا يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين، عربية ويهودية، وذلك بموافقة 23 دولة ورفض 13، وامتناع عشر دول عن التصويت. حمل رقم 181.

-مع القرار: أستراليا، بلجيكا، بوليفيا، البرازيل، بيلاروسيا (روسيا البيضاء)، كندا، كوستاريكا، تشيكوسلوفاكيا الدنمارك، جمهورية الدومينيكان، إكوادور، فرنسا، غواتيمالا، هاييتي، إيسلندا، ليبيريا، لوكسمبورغ، هولندا، نيوزيلندا، نيكاراغوا، النرويج، بنما، باراغواي، بيرو، الفلبين، بولندا، السويد، أوكرانيا، جنوب أفريقيا، الاتحاد السوفياتي، الولايات المتحدة الأميركية، أورغواي، فنزويلا.[1]

-**ضد القرار:** أفغانستان، كوبا، مصر، اليونان، الهند، إيران، العراق، لبنان، باكستان، المملكة العربية السعودية، سوريا، تركيا، اليمن.

-امتناع: الأرجنتين، الشيلي، الصين، كولومبيا، السلفادور، الحبشة، هندوراس، المكسيك، المملكة المتحدة، يوغسلافيا.

تبادرت فكرة تقسيم فلسطين إلى دولتين، دولة عربية، ودولة يهودية، مع تحديد منطقة دولية حول القدس، في تقرير لجنة پيل 1937م، وتقرير لجنة وودهيد 1938م، وصدر هذان التقريران عن لجنتين تم تعيينهما على يد الحكومة البريطانية لبحث قضية فلسطين إثر الثورة الفلسطينية الكبرى التي دارت بين السنوات 1936م و 1939م.[2]

وبعد الحرب العالمية الثانية وإقامة هيئة الأمم المتحدة بدلاً لعصبة الأمم، طالبت الأمم المتحدة إعادة النظر في صكوك الانتداب التي منحتها عصبة الأمم للإمبراطوريات الأوروبية، واعتبرت حالة الانتداب البريطاني على فلسطين من أكثر القضايا تعقيدًا وأهمية. حيث أعطى قرار التقسيم 55% من أرض فلسطين للدولة اليهودية، وشملت حصّة اليهود من أرض فلسطين على وسط الشريط البحري "من أسدود إلى حيفا تقريبا، ما عدا مدينة يافا"، وأغلبية مساحة صحراء النّقب "ما عدا مدينة بئر السبع وشريط على الحدود المصرية". ولم تكن صحراء النّقب في ذاك الوقت صالحة للزراعة ولا للتطوير المدني، واستند مشروع تقسيم الأرض الفلسطينية على أماكن تواجد التّكتّلات اليهودية بحيث تبقى تلك التكتّلات داخل حدود الدولة اليهودية.[3]

2-الحركة الوطنية الجزائرية والقضية الفلسطينية:

اصطدم نشاط الحركة الصهيونية ببلدان المغرب، بدعاية مضادة من قبل الحركات القومية العربية الموجودة في البلاد الأوروبية (فرنسا، سويسرا، ألمانيا وإيطاليا)، التي قامت بدور فعال لرفض المشروع الصهيوني، المبني على أساس أحلام الماضي والتبريرات الدينية، لإقامة وطن قومي لليهود بتدعيم من القوى الاستعمارية التقليدية (بريطانية وفرنسا) والجديدة (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي)، وشنت حملة مضادة للمشروع الصهيوني لمصلحة القضية الفلسطينية، وكان ذلك استجابة لاستغاثة الفلسطينيين، التي أُرسلت إلى البلدان الإسلامية من خلال ما ورد في تقارير عديدة لجهاز الاستعلامات الفرنسي، الذي حصل على نسخ منها عند بعض الوطنيين الجزائريين المقبوض عليهم، ورد

فيها: (لقد حاولت السلطة البريطانية أكثر من مرة أن تتدخل في أحوال المسلمين الشخصية وإدارة شؤونهم الدينية، فكان المسلمون يقفون منها موقف الشدة والحزم).[4]

لقد وقفت الحركة الوطنية في الجزائر بمختلف تياراتها مع الفلسطينيين، حيث كانت القضية الفلسطينية ماثلة ضمن برامجها الحزبية وخلال تجمعاتها، حيث اعتبر نجم شمال أفريقيا وحزب الشعب الجزائري فيما بعد، الانتماء للأمة العربية والإسلامية، ومؤازرة الشعب الفلسطيني ورفض الاستيطان اليهودي فريضة قومية، ورفضت أيضاً التأييد الدولي والبريطاني للمشروع اليهودي القاضي بالاستيطان بفلسطين والضغط على الفلسطينيين وتسليح المنظمات اليهودية.

ونتيجة لهذه التطورات الحاصلة بفلسطين، قامت الأحزاب والجمعيات الوطنية بدور بارز في تقديم المساعدات والتنديد بالجرائم، حيث اتصلت بهيئات الحكومة الفرنسية وبممثلي الدول، لإيصال رسائل احتجاجاتها ضد بريطانيا والحركة الصهيونية، والتضامن مع الفلسطينيين من خلال تقديم المساعدات المالية، وتنظيم تظاهرات ضد السياسة البريطانية، استجابة لنداء مصالي الحاج ضد مشروع التقسيم الذي طرح في بداية الأمر سنة 1930م عندما أصدرت بريطانيا كتابها الأبيض الأول السابق ذكره. في المقابل أنشأ المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، بعدما جمع الحركات السياسية والجمعيات الوطنية في الجزائر – باستثناء حركة النجم – بإنشاء الشبيبة الإسلامية التي قامت بدور بارز في توعية الجزائريين بشرعية مطالب الفلسطينيين.[5]

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، جمّدت فرنسا نشاط الأحزاب الوطنية. وعندما هدأت الأوضاع بعد مأساة الثامن من ماي1945 ، وصدور قانون العفو في مارس 1946، أُطلق سراح القيادات الحزبية والشخصيات الوطنية الجزائرية، التي تحركت من جديد لتعبر عن مواقفها المؤيدة للفلسطينيين والرافضة لنشاط الحركة الصهيونية. وخوفا من هذا النشاط المتجدد للحركة الوطنية الجزائرية، أبلغت مصالح الحكومة العامة في الجزائر[6] ولاة عمالاتها الثلاثة، ومسؤول التراب الجنوبي في 7 ماي 1946، بخطورة قيام التيارات السياسية الجزائرية، وبخاصة العلماء بتنظيم تجمعات منددِة بالصهيونية بتاريخ 10 ماي 1946 بنادي الترقي، حيث قامت هذه الأخيرة، بإرسال برقيات احتجاج إلى الحكومة العامة في الجزائر وكذا الحكومة الفرنسية بباريس، وفي هذا السياق، وضحت إرسالية أخرى من الحاكم العام إلى وزير الداخلية الفرنسي بتاريخ 2 نوفمبر 1946،

المواقف المعادية للحركة الصهيونية وأنشطتها في الجزائر من قبل الشيخ العقبي بعد انتهاء أحداث ماي 1945 في الجزائر المندد بمشروع تقسيم فلسطين.[7]

ومن هذا المنطلق كانت مواقف الحركة الوطنية الجزائرية رافضة لتقسيم فلسطين حسب ما ورد في التقارير الاستخباراتية الفرنسية حول هذا الموضوع. وغداة موافقة الأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين وقيام دولة إسرائيل في 15 ماي 1948، اضطربت الأوضاع ببلدان الشمال الأفريقي وشهدت المدن والأرياف تظاهرات واحتجاجات ومصادمات بين المسلمين واليهود، من خلال ما ذكره الحاكم العام للجزائر في مراسلة له، لوزير الداخلية الفرنسي، عن مواقف بعض النواب المسلمين الجزائريين، أمثال مزغنة وقاضي عبد القادر، اللذين تدخلا لديه، حول هذا النشاط المعادي لمشاعر المسلمين من جانب الحركة الصهيونية في الجزائر. وأضاف الحاكم العام في مراسلته، أنه حاول القيام بصلح ما بين اليهود والمسلمين بسطيف، من خلال تكريم السيد ليفي (Lévy) المحترم بينهم، وهو أحد المستشارين السابقين بالمجلس العام (عمالة قسنطينة)، من أجل وأْد الفتنة بينهما، بسبب حرب فلسطين والمجازر المرتكبة في حق العرب.

ولكن تسارع الأحداث في فلسطين، خلال عرض مسألة تقسيم فلسطين على الأمم المتحدة، أثّر بقوة في السكان المسلمين بمنطقة الشمال الأفريقي، بسبب تأييد فرنسا للتقسيم والسماح بدخول العناصر الصهيونية المغربية والتونسية إلى الجزائر، حيث احتجّ على ذلك السادة النواب بن شنتوف وآخرون، ضد الحكومة العامة، ومن جهته عبر الشيخ العقبي عن موقفه الرافض للسياسة الاستعمارية، عندما يتعلق الأمر بقضية مصيرية للمسلمين وذلك خلال صلاة الجمعة من شهر ماي 1948، رافضاً قيام دولة إسرائيل وداعياً إلى اجتماع جميع القوى الوطنية الجزائرية، للتعبير عن مواقفهم الرافضة لسياسة فرنسا المؤيدة لليهود، حيث تخوَّف الحاكم العام من حصول اضطرابات تعم الجزائر، في حركة مضادة للسامية.[8]

3-موقف مصالي الحاج من قرار التقسيم :

لا يكاد يقوم خطيب من رجال الحركة الوطنية يخطب في الناس إلا واهتم لفلسطين مثلما يهتم للجزائر المنكوبة بالاستعمار، ومثلما اهتم الاستقلاليون وحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالتطورات التي حدثت في مسار القضية الفلسطينية قبل الحرب العالمية الثانية ، فقد واصلوا اهتمامهم بها بعدها، ولم يتأثر دعمهم لها بتغيير التسميات

الحزبية من النجم إلى قيام ثورة 1954م.[9]

فعند عودة مصالي الحاج من منفاه في برازافيل بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وتحديدا في 12 اكتوبر 1946م إلى الجزائر، أين قام بمعية الأمين دباغين وحسين لحول وأحمد مزغنة ومحمد خيضر بحركة جديدة أخذت تسمية حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ومن مطالبها إلغاء النظام الاستعماري وإقامة جمهورية ديمقراطية مستقلة، ومن هذا المنبر كانت تحاليل مصالي الحاج للوضع في فلسطين أكثر لذاعة، وأصبحت أكثر صرامة عن قبل؛ لأن الوضع في فلسطين كما في الجزائر أصبح جد صعب، فقد شهدت أحداث 1948م تأكيد المخاوف العربية الكبرى وقرار تقسيم فلسطين الأممي في 15ماي 1947م، والذي أثار غضب كل الجزائريين، نجد أن مصالي في هاته الأثناء يقوم بإرسال مذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة يحتج فيها على قرار التقسيم وقيام دولة يهودية في فلسطين.[10]

كما أرسل نسخة إلى عزام باشا أمين عام الجامعة العربية، وذلك بواسطة الشاذلي المكي مندوب الحزب بالقاهرة. وكان رد عزام باشا مصحوبا بالشكر له ولإخوانه بالجزائر على اهتمامهم وجهادهم في سبيل القضية المشتركة. وعند الاختلاف بين الاحزاب والهيئات الوطنية على رئاسة الهيئة العليا لإعانة فلسطين والتي قرر مصالي عدم المشاركة فيها، مما جعل حركة انتصار الحريات تواصل دعمها منفردة لمؤازرة القضية الفلسطينية كما جاء في جريدة (المغرب العربي) لسان حال الحزب في مقال صدر في 5 نوفمبر 1948م، أين أبرق سماحة مفتي فلسطين إلى النائب أحمد مزغنة والذي تزعم النشاط التضامني للحزب مع فلسطين شاكرا إياه على جهوده المبذولة.[11]

كما قام مصالي بإنشاء الهيئة الجزائرية لمساعدة فلسطين العربية، مع تكثيف النشاط داخل الجزائر لدعم القضية الفلسطينية. وكذلك كانت له اتصالات خارجية مباشرة مع الفلسطينيين استكمالا لجولاته التي كان قد ابتدأها من أكتوبر 1931م ، وفي إطار مسعى مصالي الدبلوماسي بعد صدور قرار التقسيم وباسم حزب انتصار الحريات، يستنكر قرار التقسيم ويحتج عليه بإرسال برقية إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة «تريكيفلي» جاء فيها: (أن النواب الوطنيين الذين يمثلون الشعب الجزائري يبلغونكم باسم الشعب الجزائري عن غضبهم الشديد على قرار التقسيم ويعتبرون هذا الموقف الذي اتخذته أغلبية أعضاء هيئة الأمم تحدٍّ واستفزازٍ ضد الأمن والسلم الدوليين).

وعندما باشر يهود الجزائر حملات دعم مالي لصالح الصهيونية وتدريب شبان يهود على السلاح تمهيدا لتهريبهم إلى فلسطين وبمساعدة الفرنسيين، احتج وفد برلماني من حركة الانتصار للحريات يقوده الدكتور لمين دباغين والأستاذ بوقادوم لدى الوالي العام الفرنسي بالجزائر على ما اعتبروه الإجرام الصهيوني بالجزائر،[12] والمتمثل في النشاط المكثف لليهود لجمع التبرعات الضخمة وإقامة الميادين الكبرى لتدريب الشبان على ممارسة الأعمال العسكرية ضد العرب بفلسطين. ولكن فرنسا لم تعط للأمر أهمية. فتحداها الجزائريون بالتطوع للمشاركة في تحرير فلسطين فراحوا يتسللون إليها كلما سنحت لهم الفرصة، لكن فرنسا وقفت لهم على حدود ليبيا تصرفهم عن وجهتهم وتردهم على أعقابهم بعد أن تذيقهم السجن والاعتقال.[13]

أما أكثر الأعمال المميزة للحزب جراء قرار التقسيم، والأكثر استفزازا للسلطات الفرنسية، فقد قام النائب أحمد مزغنة باستجواب تاريخي لوزير الخارجية الفرنسي في المجلس الفرنسي المنعقد في 27 فيفري 1948م في قضية فلسطين، وقد بين بوثائق تاريخية عروبة فلسطين، ولم تكن بأي وقت يهودية ، كما انتقد بشدة قرار الأمم المتحدة القاضي بالتقسيم مع انتقاد السياسة الفرنسية الداعمة لليهود.[14]

الخاتمة

بعد استعراض النشاط السياسي للحركة الوطنية الجزائرية، يمكن استخلاص ما يلي:

- التكوين الثقافي، ووحدة المنظومة الحضارية التي يتحرك مصالي الحاج في مجالها كانت عاملا أساسيا في توجهه العربي، وإيمانه بأهمية دعم الأقطار العربية، والانخراط في الدفاع عن قضاياه المصيرية.

- تمسك مصالي الحاج بالهوية العربية الإسلامية في الجزائر، أمر مرتبط برفض ومقاومة السياسة الثقافية الفرنسية التي تبنتها الإدارة الاستعمارية منذ الاحتلال، والتي ترتكز على مبدأ استئصال الهوية الحضارية للشعب الجزائري من خلال الفرنسة، والتجنيس، والتنصَير، والاندماج.

- لم تتأسس العروبة التي كان يؤمن بها مصالي الحاج على التفوق العرقي، وتهميش باقي مكونات المجتمع الجزائري الأخرى، ولكن ارتكز على ضرورة وأهمية التضامن والدعم

للوقوف في وجه الاستعمار أينما كان وأينما حلّ بما في ذلك مواقفه من فلسطين منذ النية المبيتة من وعد بلفور المشؤوم.

- لم يكن تأثير شكيب أرسلان في فكر مصالي الحاج العامل الحاسم في توجهاته القومية فقط ،كما يذهب إليه بعض الباحثين، بل كان الشعور بمحاولات الاقتلاع الثقافي، والمسخ الحضاري، والإلغاء التاريخي عاملا مهما في ارتباطه بالوطن العربي والإسلامي.

-الهوامش والاحالات:

1- مصطفى أحمد عبد الرحيم، **بريطانيا وفلسطين 1945_1947**، دار الشروق، القاهرة ،1986 ، ص 141 .

2- فاطمة حدد وآخرون، **القضية الفلسطينية في الصحافة الجزائرية فيما بين 1947/1949،جريدة البصائر أنموذجا**، رسالة ليسانس، جامعة الوادي، 2010-2011، ص48.

3- عبد القادر ياسين، **كفاح الشعب الفلسطيني حتى 1948**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1981، ص 106.

4- أحمد شنتي، الجزائر والقضية الفلسطينة صفحات من الجهاد المشترك، **مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، عدد13 ،2015، ص115.

5- عمار رخيلة، **8ماي 1945المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1985، ص90.

6- جمال فيصل محمد، موقف الجزائر من التضامن العربي المشترك تجاه القضية الفلسطينية ، **مجلة الاستاذ**، عدد224 ،2018، ص 223.

7- ياقوت كلاخي، موقف رجال الحركة الوطنية من الكيان الصهيوني بفلسطين، 1936 - 1948، **مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تيارت**، العدد 7 ، 2014، ص 160.

8- عبد الله عبد الدائم، **نكبة فلسطين عام1948**، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1998، ص4.

9- محمد بليل، **نشاط الحركة الصهيونية في شمال أفريقيا (1917 – 1950): قراءة في وثائق أرشيفية**، انظر الرابط org.lb/ar/A .

10- حمودي ابرير، **موقف الجزائريين من القضية الفلسطينية 1945-1973**، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2014-2015، ص81.

11- مصالي الحاج، **مذكرات مصالي الحاج** ،ترجمة محمد المعراجي، منشوراتANEP، الجزائر،2007، ص226.

12- أحمد سميح حسن، **الاستيطان اليهودي في الجزائر1919-1962**، دار الكتاب العربي للطباعة، الجزائر،2009، ص279.

13- تقارير أخرى لأجهزة الاستعلامات الفرنسية حول تأثير أرسلان على الوطنيين الجزائريين: Anom, B, no. 29 H/35,GGA, rapports sur les activités du mouvement sioniste en Algérie.

14- Benjamin stora , **Messali lehadj** ,editions l'harmattant, paris,1982 ,p222

جمعية العلماء وقضية فلسطين

د/ الطاهر فرحات – جامعة الوادي

مقدمة

تعد قضية فلسطين قضية العرب والمسلمين الأولى، حيث يتم تداولها في أدبياتها الفكرية والسياسية بأنها القضية المركزية وأنها أولوية الأولويات.

فما موقع القضية من ضمير النخبة الجزائرية عموما ؟ ونخبة الإصلاح خصوصا؟

الحقيقة أن الشعب الجزائري لم يكن استثناء على غرار كل الشعوب العربية والإسلامية في الموقف من القضية الفلسطينية، وهو ما تشهد عليه مواقفه وما عبرت عنه مشاعره. أما نخبة الإصلاح وهو ما يعبر عنه بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكانت رائدة في مجال التفاعل مع القضية؛ انطلاقا من المبدأ الذي تؤمن به وهو الإسلام الذي يتجاوز بالمسلم الحدود القطرية الضيقة إلى التفاعل مع كل قضايا الإسلام والمسلمين.

وسوف نتقصى من خلال هذه الصفحات مظاهر دعم جمعية العلماء للقضية الفلسطينية.

1- نظرة جمعية العلماء إلى فلسطين:

تحظى فلسطين بمكانة خاصة في قلوب المسلمين، فهي في حسهم أرض مقدسة مباركة بنص القرآن الكريم، قال الله تعالى: «**أدخلوا الأرض المقدسة**» [سورة المائدة، الآية 21]. وهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم، ومثوى الأنبياء والصالحين من عباده.

ولهذا لا نعجب أن يرتبط المسلمون الجزائريون عامة وجمعية العلماء خاصة ارتباطا عقديا وروحيا عميقا بفلسطين، فهي مهوى أفئدتهم وإليها تهوى نفوسهم .

ولهذا فرغم انشغال جمعية العلماء بالمسألة الوطنية والإصلاح داخل الجزائر، إلا أن ذلك لم ينسها واجبها نحو القضية، فقد كانت متفاعلة مع كل حدث من أحداثها، وكانت حاضرة في وجدان شيوخها وهو ما تمليه عليها الدوافع التالية:

- واجب نصرة المسلمين والتضامن معهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن للمؤمن كالبيان المرصوص**»[1].

- واجب الدفاع على أرض المسلمين خاصة فلسطين.

2- مظاهر الدعم : وقفت الجمعية إلى جانب القضية أدبيا وماديا:

أ – الدعم الأدبي: كانت المسألة الفلسطينية خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، كشغل نال اهتماما واسعا من طرف جمعية العلماء المسلمين، فلم تصرفها القضية الوطنية والحصار المفروض عليها من طرف الاستعمار الفرنسي، أن تتحمل مسؤولياتها تجاه فلسطين؛ فكان لها دور كبير في نصرتها والتضامن مع شعبها وتجسد من خلال الوسائل التالية :

- **دور الصحافة**: فقد خصصت الجمعية جزءا هاما من صفحات جرائدها "الشهاب" و"البصائر"، بتدبيج المقالات الصحفية التي تنقل أخبار العنف والاضطهادات التي كانت تحدث ضد أبناء الشعب الفلسطيني، وتشن حربا إعلامية ضد اليهود والإنجليز وعصبة الأمم، لما يقترفونه من جرائم ومظالم، فقد خصصت جريدة "الشهاب" ركنا لفلسطين، فصدر عنها مجموعة من المقالات من بينها مقال للشيخ "ابن باديس" تحت عنوان: "فلسطين الشهيدة"،[2] كما كتب علماء آخرون، منها مقال تحت عنوان: "نكبة فلسطين"،[3] أدان فيها الاضطهاد الإنجليزي ضد العرب العزل. ومقال آخر تحت عنوان: "المشكل الفلسطيني".[4] أدان في تلك المقالات المواقف المتخاذلة للعرب. ولم تكتف صحافتها بنقل ما يكتبه شيوخها من مقالات أو ما ينشرونه من بيانات، بل كثيرا ما تنقل ما جادت به قرائح شعرائها عن فلسطين، وهو ما يعبر عن هموم النخبة الإصلاحية وتفاعلها مع القضية الفلسطينية، وللدور البالغ التي كانت تقوم به مجلة "الشهاب" لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد أشادت بها مجلة "الشهاب" المصرية التي أسسها الشيخ "حسن البنا"، إذ جاء في افتتاحيتها ما يلي: « كما قامت مجلة الشهاب الجزائرية التي كان يصدرها الشيخ ابن باديس رحمه الله في الجزائر بقسط كبير من هذا الجهاد مستمدة من هدي القرآن الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن نرجوا أن تقف الشهاب المصرية الناشئة أثرها وتجدد شبابها وتعيد في الناس سيرتها في خدمة القرآن وتجلية فضائل الإسلام ».[5]

وعلى غرار جريدة "الشهاب" خصصت "البصائر" مقالات لكثير من شيوخها في الحديث عن نكبة فلسطين ومعاناة شعبها، منها مقال للشيخ البشير الإبراهيمي تحت عنوان: "فجيعة فلسطين"،[6] ومقال للشيخ عبد الرحمن شيبان: "ماذا ننتظر لإمداد فلسطين".[7] ويقول الشيخ البشير الإبراهيمي عن دور صحيفة البصائر: « كانت هذه الجريدة كتبت فصولا متتابعة عن قضية فلسطين فشرحت فيها كثيرا من الخفايا

وكشفت عن كثير من الخبايا وقامت عن الجزائر بالحق الأدبي عن فلسطين كاملة وحق لهذه الصحيفة أن تفخر بأنها شاركت أخواتها العربيات في الشرق بجهد لا يقل عن جهودهن وجهاد لا يقصر عن جهادهن ».[8] ولم يقف الأمر عند كتابة المقالات الصحفية، حيث تبارى الكثير من شعرائها في الرثاء لحال فلسطين ودعوا إلى نصرتها من بينهم الشاعر محمد العيد آل خليفة، والشاعر أحمد سحنون، وهو ما نقلته الجرائد السابقة.

- **الاحتجاجات والبيانات:** فقد صدر عن جمعية العلماء مجموعة من البيانات والاحتجاجات التي أرسلتها إلى الهيئات الدولية والعربية منها : برقية الشيخ ابن باديس إلى وزير خارجية فرنسا يحتج فيها عن قرار التقسيم الذي أوصت به لجنة "بيل"، فاعتبر هذا المشروع ظالما كما أرسل برقية إلى المؤتمر البرلماني العام الذي عقدته اللجنة البرلمانية المصرية للدفاع عن فلسطين في القاهرة في 17 أكتوبر 1938 .

كما أرسل الشيخ الطيب العقبي رسالة إلى رئيس الجامعة العربية عبد الرحمن عزام جاء فيها ما يلي: "إني شخصيا قد عزمت عزما أكيدا على رفع راية الجهاد". كما أصدر الفضيل الورثيلاني عدة بيانات ورسائل أرسلها إلى هيئات دولية وعربية احتجاجا لما يتعرض له الشعب الفلسطيني من انتهاكات.

ب - الدعم المادي:

- مع اندلاع الثورة الكبرى بفلسطين (36-39) نظمت جمعية العلماء حملات تعبئة ومساندة وحملات اكتتاب لجمع الأموال لدعم الثوار الفلسطينيين، أشرف عليها الشيخ "ابن باديس" و"الشيخ العقبي" والشيخ سعيد أبو يعلى".[9]

- وفي أواخر 1947 أسس الشيخ "الطيب العقبي" بنادي الترقي بالعاصمة لجنة الدفاع عن فلسطين، والتي أحيت في 3 أكتوبر من نفس العام خطابا تعبويا حيث ألقى فيه مجموعة من الشيوخ كلمات من بينها كلمة للشيخ أبو بكر جابر الجزائري.[10]

- في عام 1948 عند اندلاع الحرب أسست جمعية العلماء الهيئة العليا لإعانة فلسطين، وكانت تتشكل من الشخصيات التالية: الشيخ البشير الإبراهيمي: رئيسا للهيئة

عباس فرحات: كاتبا عاما للهيئة، الطيب العقبي: أمينا ماليا للهيئة، إبراهيم بيوض: نائبا لأمين مال الهيئة[11]

وتتلخص مهمة الهيئة في : - جمع الأموال والتبرع لفلسطين - الحث على جهاد وتجهيز المجاهدين - إرسال البرقيات والوفود لدعم فلسطين.

وقد أخذت الهيئة في تنفيذ برنامجها بتجهيز قرابة 100 مجاهد وأرسلتهم إلى ميدان

الجهاد المقدس بفلسطين، كما جمعت اللجنة ما مقداره 9 ملايين فرنك فرنسي وسلمتها لسفير مصر بباريس.

- تزامنا مع قيام الإخوان المسلمين في مصر بإنشاء مراكز للتطوع والجهاد في فلسطين سارع الفضيل الورثيلاني بمكاتبة المسلمين في المغرب العربي والمهاجرين بفرنسا يدعوهم للتطوع والمشاركة في الجهاد لإنقاذ فلسطين.

- كما قام أساتذة معهد عبد الحميد بن باديس وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمن شيبان بتحريض الطلبة على التطوع للجهاد.[12]

كما ضرب الشيخ البشير الإبراهيمي المثل من نفسه حيث خصص مبيعات مكتبته كلها لفلسطين.[13]

الخاتمة

إن اهتمام جمعية العلماء بقضية فلسطين والذي يبرز من خلالها أدبياتها ومواقفها التي تعرضنا إليها هو جزء من برنامج الجمعية التي تعنى بقيم الإسلام ومبادئه، فالدفاع عن فلسطين كان ينبع من التزام عقدي للجمعية، وهو واجب الدفاع عن ديار الإسلام ونصرة المسلمين أينما كانوا، ولهذا لم تحجب القضية الوطنية جمعية العلماء ورجالها في الدفاع عن قضايا المسلمين وفي مقدمتها قضية فلسطين .

الهوامش والاحالات:

1- حديث رواه الإمام البخاري.

2- عمار طالبي، **عبد الحميد ابن باديس و أثاره**، الجزء الثالث، ص 416.

3- مجلة الشهاب، الجزء الثاني، مجلد 13.

4- مجلة الشهاب، الجزء السادس، المجلد 13.

5- الأستاذ عبد القادر بوعقادة : **محاضرة بعنوان اهتمامات الجمعية الخارجية وتعاطها مع قضايا العالم الإسلامي**، أشغال الملتقى الوطني الرابع للفكر الإصلاحي في الجزائر.

6- البصائر ، السلسة الثانية، العدد 5، الصادر في 5 سبتمبر 1947.

7- البصائر، العدد 37 ، في 21 ماي 19.

8- أثار الشيخ البشير الإبراهيمي، الجزء الثالث، ص 76.

9- عبد الغني إبراهيم بلقيروس، **صفحات من جهاد الجزائريين بفلسطين**، دار الخلدونية، ط1، 2010، الجزائر، ص 50.

10- نفس المرجع ، ص 52.

11- نذير بومعالي: **محاضرة فلسطين وشمولية المكان**، الملتقى الوطني الرابع للفكر الإصلاحي في الجزائر – تبسة.

12- عبد الغني إبراهيم بلقيروس، مرجع سابق، ص ص 53 -54.

13- عبد الرحمان شيبان، **حقائق و أباطيل**، ط 2، مطبوعات ثالة، ص 41.

اهتمامات النخبة الإصلاحية الجزائرية بالقضية الفلسطينية (1930-1954)

د/ محمد الطيب رزوق - المدرسة العليا للأساتذة- سطيف

مقدمة

إن القضية الفلسطينية منذ جذورها الأولى هي محط اهتمام مختلف الفعاليات السياسية والدينية والثقافية على امتداد الوطن العربي، خصوصا بعد تأكد الأطماع الصهيونية والتواطؤ الغربي معها، بدءا بالمؤتمرات الصهيونية وانتهاء بوعد بلفور المشؤوم، الذي فتح الباب أمام الهجرات اليهودية وبداية الاستيطان في الأراضي الفلسطينية.

ولأن الوطن العربي بشقيه الشرقي والغربي كان يرزأ تحت نير الاستعمار، فقد أخذت قضية الوعي بخطورة المشروع الصهيوني وقتا قبل أن تتبلور لدى النخب العربية باختلاف مشاربها واتجاهاتها، ولوطننا الجزائر ونخبته المثقفة آنذاك نصيب من الاهتمام بالقضية وتداعياتها، وإن كان هذا الاهتمام في بدايته عبارة عن مواقف فردية، عبر عنها كل من عمر راسم والزاهري وغيرهما، ومع اكتمال النضج السياسي لدى الجزائريين بإنشاء الجمعيات والأحزاب ازداد هذا الوعي، وأخذ صورته الإيجابية مع التيار الإصلاحي خاصة، وتجلى ذلك في اهتمامات جمعية العلماء المسلمين، التي أخذت على عاتقها فضح المخططات الصهيونية في فلسطين ودعم نضال الفلسطينيين معنويا وإعلاميا وماديا منذ تأسيسها.

وهو الموضوع الذي أردت من خلاله تسليط الضوء على جوانبه المختلفة انطلاقا من الإشكالية التالية: التيار الإصلاحي في الحركة الوطنية ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومدى اهتمامه بالقضية الفلسطينية وتطوراتها في الفترة الممتدة بين (1930-1954)، وأشكال هذا الاهتمام وتجلياته.

حيث كانت هذه المداخلة تجيب عن هذه الإشكالية وفق ثلاثة عناصر أساسية وهي:

1- اهتمام الجزائريين بالقضية الفلسطينية قبل إنشاء جمعية العلماء.
2- اهتمام جمعية العلماء الجزائريين بالقضية قبل الحرب العالمية الثانية.

3- اهتمام الجمعية بالقضية الفلسطينية بعد الحرب العالمية الثانية وتطوره.

ويتم استخلاص أهم نتائج اهتمام النخبة الجزائرية بالقضية الفلسطينية في بناء وعي قومي وديني حول أهمية هذه القضية لدى الجزائريين عموما.

1 -اهتمام الجزائريين بالقضية الفلسطينية قبل إنشاء جمعية العلماء:

كان الوضع في الجزائر طوال القرن التاسع عشر وحتى العقدين الأولين من القرن العشرين وضعا غير مستقر، فقد قرر فيه الجزائريون مواجهة فرنسا بكل ما لديهم من قوة، ولم يستسلموا لسياستها في أي فترة من فترات الاحتلال، ومن الوسائل التي ساعدتهم في تنويع أساليب النضال ونشر الوعي، ظهور الصحافة في الجزائر منذ نهاية القرن التاسع عشر وطوال النصف الأول من القرن العشرين، خاصة وأن نخبة من العلماء والصحفيين الجزائريين سيشكلون أعمدة النضال على الجبهة الثقافية، مساهمين بذلك في توعية الشعب بقضيته الأولى وهي الاستقلال الوطني، وبقضايا العالم الإسلامي خاصة محاربة الاستعمار والصهيونية، وبذلك عرفت الجزائر نهضة وطنية وثقافية أعقبت فترة ركود[1].

ورغم أن الجرائد الوطنية في مجموعها خاصة في بداية القرن العشرين كانت مهتمة في صفحاتها ومقالاتها بنهضة البلاد الداخلية أكثر من اهتمامها بأي قضية أخرى، انشغالا بمأساة وطنها الصغير، إلا أن ذلك لم يكن يبعدها في الأصل عن آلام وطنها الكبير، فقد أولت تلك الصحف الاهتمام البالغ بقضايا الوطن العربي والإسلامي خصوصا السياسية منها، وقد تجلى ذلك في تتبعها الدقيق لأحداثها بصورة مستمرة رغم بعد الشقة وانعدام وسائل الاتصال، ورغم محاولات الاستعمار الفرنسي عزل المسلمين الجزائريين عن إخوانهم [2].

فكانت المشكلة الفلسطينية صاحبة الحض الأوفر من كل القضايا الأخرى، فقد عملت نخبة من كبار العلماء والصحفيين الجزائريين والشخصيات الوطنية عبر الجرائد التي أسستها على طرح أفكار تساند وتتجاوب مع الأحداث في المشرق، وخصوصا المشكلة الفلسطينية منذ السنوات الأولى لبروز عوارضها بكثير من الأصالة في المعالجة والمناقشة[3].

وقد كان "عمر راسم"[4] من أهم رواد الفكر الوطني الإسلامي الذي اعتنى بفضح أساليب اليهود في الجزائر، مبينا أخطار الصهيونية من خلال الجرائد منذ فترة مبكرة،

فقد كتب سنة 1913 مقالا في جريدة "الفاروق" يتحدث فيه عن سلوكيات هؤلاء قال فيه: (...أيا معشر المسلمين في مصائب التهلكة الحالية، بمساعي اليهود أعدائنا بصريح القرآن، لقد اختلسوا منا ثروتنا لأنهم يبغضوننا، ...وما من بلاء نزل في مشارق الأرض ومغاربها إلا من أولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وحكم عليهم بالشتات..)[5]

كما رد على آراء بعض العرب من القضية الفلسطينية، نافيا وجود حلول وسطى ترضي اليهود وتحفظ للفلسطينيين والعرب والمسلمين حقهم في فلسطين والقدس، وذلك من خلال جريدته "ذو الفقار" كالمقال الذي رد فيه على مقال لـ "رشيد رضا" في جريدة "المنار" الصادرة بالقاهرة إذ قال فيه: (إن اتفاق زعماء العرب الفاتحين وأهل البلاد مع زعماء اليهود مستحيل، لأنه اعتراف بزعامة اليهود، فلا يحق لغير العرب، وهم أبناء إبراهيم الأصفياء الموعودون بتلك البقعة المطهرة أن يملك تلك الأرض، ولا لغير راية الإسلام أن تخفق عليها، ما دام في عرق العرب دم، وفي أجسام المسلمين روح).[6]

كما حذر الشيخ "سعيد الزاهري"[7] من أخطار الصهيونية وخططها، وتألم من الدعم الذي تلقاه حتى من داخل الجزائر، فكتب مقالا في جريدة "البرق" مما جاء فيه قوله: (نحن الجزائريون يسوؤنا والله أن نرى أموال بلادنا وخيراتها ذاهبة إلى بلاد اغتصبها الصهاينة من يد إخواننا...يقول اليهود أن فلسطين ملك لهم بأمر من الرب؟... بل الحق الذي لا مراء فيه وأن استعمار فلسطين هو ظلم كسائر الاستعمار...وليعلموا أن فلسطين هي أرض عربية إسلامية، وأن أموالنا وأرواحنا التي أزهقت في الحرب الأخيرة لا تذهب وراء المرابيين." [8]

كما كتب ردا على نشاط الصهاينة داخل الجزائر بعد الزيارة التي قام بها محامي يدعى "ناطلان لابرن" إلى الجزائر يدعو من خلالها اليهود في الجزائر إلى إعانة معمري أرض الميعاد حسبه[9]، وبعد حوادث 1929 حول حائط البراق راح الزاهري يستنجد بالمسلمين الجزائريين لمساعدة إخوانهم في فلسطين، بجمع التبرعات وإمدادهم بالقوة المادية، فنشر مقالا في جريدة "الإصلاح" سنة 1929 تحت عنوان: "فظائع الصهيونية في فلسطين" مما جاء فيه قوله: (...أيها المسلمون الجزائريون هل سمعتم بأن الصهيونية وبلاشفة اليهود في فلسطين قد اغتصبوا البراق الشريف وردوه كنيسا لهم؟ واعتدوا على المسجد الأقصى في القدس الشريف وهم يحاولون أن يتخذوه كنيسا لهم؟...).[10]

أما الصحفي "أبو اليقظان"[11] فكتب حول حوادث 1929 في جريدته "ميزاب" سنة

1930 مقالا بعنوان: "مسألة فلسطين" مما جاء فيه قوله: (إن كل من يمعن النظر ويدقق البحث في قوادم المسألة وحوافها يجد أن المسألة ليست مسألة المبكى أو البراق وإنما حقيقة المسألة هي السرطان الصهيوني الناشب مخالبه في خناق العالم، الظاهرة عوارضه الراهنة في فردوس الإسلام وجنة الأرضين ومقر أنبياء الله فلسطين).[12]

من خلال هذا نرى أن "أبي اليقظان" كان ينظر إلى هذه الحوادث من زاويتها السياسية لا من زاويتها الدينية، كما نظر إليها الزاهري، كاشفا النقاب عن المجرم المسؤول، فاضحا الأيادي الخفية التي تتلاعب بالعرب، وقد ظهرت عنايته بالقضية الفلسطينية منذ أن اتضحت خيوط المؤامرة التي نسجتها يد بلفور الآثمة، ناشرا كل الأخبار التي تصدرها اللجنة الفلسطينية العربية برئاسة "محمد علي الطاهر" الذي كان من أصدقائه ومراسليه.[13]

لقد كانت القضية الفلسطينية عند "أبي اليقظان" بمثابة القلب من الجسد فلا صلاح للجسد دون صلاح القلب، كما عمل على استنهاض الأمة الإسلامية وتذكيرها بهول موقف كل فرد منها أمام الله، إن هي لم تقم بواجبها تجاه فلسطين إذ يقول: (...فالويل كل الويل من الفزع الأكبر، لكل أمة لم تقدر للمستقبل قيمته ولم تزنه بميزانه، فانقسمت طوائف وأحزاب وتفرقت قبائل وعشائر...).[14] كما صور الحال في فلسطين بعد توقف الثورة الكبرى في 1936، حيث كتب مقالا في جريدة "الأمة" قال فيه: (...خذلها أصحابها وجيرانها وأشقائها والعالم أجمع، وظاهر أعدائها كل قوة، وهب نحوكم كل ريح...)[15]

لقد نذر الشيخ "أبو اليقظان" حياته لخدمة قضايا المسلمين في الجزائر وفلسطين، وحتى بعد توقف صحفه سنة 1938 لم يركن إلى الراحة أو الصمت فراح يستبدل بمقالاته الصحفية بالقصائد الشعرية، منها قصيدة تجاوزت الثلاثمائة بيت عن فلسطين، وكذلك بالمشاركة الفعلية في لجنة إعانة فلسطين كعضو، المكونة سنة 1948 بالجزائر.

2-اهتمام جمعية العلماء الجزائريين بالقضية الفلسطينية قبل الحرب العالمية الثانية:

كانت المسألة الفلسطينية خلال الثلاثينيات والأربعينيات تشغل بال العلماء المصلحين في الجزائر وكانت الصحافة العربية التي تصدر باسم الجمعية أو باسم قادتها

تخصص حيزا هاما في صفحاتها للمقالات عن فلسطين، تنشر أخبار العنف والاضطهادات التي كانت تحدث ضد أبنائها العرب وتشيد ببطولة الشعب الفلسطيني بالدفاع عن وطنه وكيانه وتضحيته في سبيل ذلك بالنفس والنفيس.

كما كانت تدين موقف بريطانيا العنصرية المؤيدة للصهيونية، وتدعو الشعوب العربية للوقوف بجانب الشعب الفلسطيني من الغزو الصهيوني الذي كانت تدعمه الإمبريالية العالمية، وتطالب الحكومات المجاورة باتخاذ مواقف عملية حاسمة لردع المد الصهيوني الجارف الذي تمركز في قلب الأمة العربية بدعم من بريطانيا التي كانت ترى في غرس الكيان الصهيوني في هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم العربي ضمانا للمحافظة على مصالحها الاستعمارية[16].

في هذا عبرت جل جرائد الجمعية وشخصياتها بوضوح عن تلك المواقف، فكانت جرائد "الشهاب" التي أسسها "عبد الحميد بن باديس" في سنة 1925 و"صوت الشعب" الناطقة بالفرنسية التي تأسست سنة 1933 وجرائد أخرى "الدفاع" و"البصائر" التابعة للجمعية ورجالها تحمل مواقف الجمعية وروادها من القضية الفلسطينية، فقد شنت "الشهاب" منذ نهاية العشرينات وطوال الثلاثينيات وبلهجة شديدة حملة على مواقف الإنجليز وعصبة الأمم وبينت تواطأ الإنجليز، واتخاذهم مواقف متخاذلة إزاء العرب مقابل اهتمامهم بإقامة الكيان الصهيوني في عمق الوطن العربي[17].

كما اعتبرت حوادث اليهود سنة 1929 ما هي إلا ذريعة لبسط نفوذهم وفي ذلك نشرت أن:" التظاهر بادعاء حائط المبكى، ما هو إلا خطوة أولى للاستيلاء على أرض فلسطين جميعها"[18]، وفي هذه الأثناء كان الشيخ "أحمد توفيق المدني" يفضح ارتباط الإنجليز بالذهب اليهودي وبأموالهم، مقابل تحقيقهم لوعد بلفور، ويكشف التآمر بين الإمبريالية الإنجليزية والصهيونية العالمية عندما أكد أن: "...إن إنجلترا قد ارتبطت بالعهد البلفوري ارتباطا وثيقا، لحمته المصلحة، وسداده الذهب، واليهود ملوك الذهب، يقتادون الشعوب بأسرها إلى الطريق الذي يرونه ملائما لمصالحهم الخاصة، فلم تستطع إنجلترا أسيرة الذهب اليهودي أن تنفض يدها من تصريح بلفور..." [19].

كما وقفت جريدة صوت "الشعب" الموقف نفسه في مقال لها في نوفمبر 1933 وألقت بالمسؤولية ليس على الإنجليز واليهود، ولكن أيضا على المجتمع الدولي وعصبة الأمم، مبرزة عجزها على حفظ حقوق الضعفاء وداعية إلى سحب كل المشاريع الهادفة إلى اغتصاب

حقوق الفلسطينيين في بلادهم، فقالت: "...إن الإمبريالية الإنجليزية منذ سنة 1917 وهي تحت تحريض "بلفور" و"بارون شتاين"، وعائلته الدولية التي لا تضيع أي فرصة لأجل تأسيس وطن يهودي على أنقاض وطن عربي...إنه من المؤسف أن يوافق المجتمع الدولي على مطلب الأقلية الأوربية ويتغاضى عن مصالح الأغلبية المسلمة...إن الطغيان المدعم والمسلح من طرف البربرية التي تميز الإمبريالية البريطانية...يجعلنا نتابع بألم الظروف العصيبة للشعب الشرعي في فلسطين..." [20] ، وفي مقال آخر للجريدة نفسها في مارس 1934 اقترحت حل سلمي للقضية حيث قالت: "...لأجل الوصول إلى حل سلمي وعادل للمشكل الفلسطيني الدامي ليس في رأينا إلا إمكانية واحدة هي سحب المشاريع الكارثية التي تستهدف التقسيم، ووقف كلي للهجرة اليهودية، وترك فلسطين لأهلها"[21] .

والجدير بالذكر أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد أولت اهتماما كبيرا بالقضية الفلسطينية، فبالإضافة إلى فتح صحفها للكتاب بهدف الكتابة حول القضية، ووقفت موقف المؤيد للشعب الفلسطيني، واحتجت بشدة على مشروع التقسيم، ويظهر ذلك من خلال رئيسها ابن باديس الذي قام بإرسال برقية احتجاج إلى وزير خارجية فرنسا مما جاء فيها ما يلي: " باسم الأمة الإسلامية أرغب منكم أن تبلغوا جمعية الأمم احتجاجي الصادر ضد سياسة الخنق ضد إخواننا الفلسطينيين، وبالأخص ضد مشروع تقسيم وطنهم الإسلامي العربي منذ قرون عديدة، وبودي لو تنتهز فرنسا الفرصة السانحة لها بالتدخل لفائدة الشعب الفلسطيني المضطهد لتحفظ ناموسها وتقوي نفوذها الأبدي في العالم الإسلامي المتعطش للعدل والإنصاف، والذي يحسن الاعتراف بالجميل..." [22].

كما قامت جريدة البصائر بنشر بيان صدر عن "اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي" المنعقد في 29 أوت 1937، احتجت فيه على التقسيم، وأعلنت فيه: "باسم المؤتمر الإسلامي الجزائري، تضامن المسلمون الجزائريون بصفة متينة مع إخوانهم الذين يحاول الاستعمار الإنجليزي أن يخرجهم من بلادهم، ويحطم سلطانهم التاريخي الذي لا يمكن أن ينكره إنسان، وطالبت من وزير خارجية فرنسا بالتدخل في هذه القضية لدى الهيئات المسؤولة لجمعية الأمم بهدف الحفاظ على وحدة فلسطين"[23].

كما نشرت هذه الجريدة بيانا آخر تحت عنوان: "احتجاج شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري على تقسيم فلسطين" تضمن موقف شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري من مشروع التقسيم من خلال البرقية التي أرسلها إلى "الحاج أمين الحسيني" رئيس "اللجنة

العربية العليا لفلسطين"، والتي تضمنت القرارات التي أقرها مؤتمرهم المنعقد في 6 أوت 1937 لفائدة فلسطين حيث أكد فيها شباب المؤتمر استنكارهم مشروع التقسيم، وتأييدهم للشعب الفلسطيني في كفاحه لتحقيق مطلبه المشروع.

وفي افتتاحية مجلة الشهاب لشهر أوت 1938 نجد مقالا بعنوان: "فلسطين الشهيدة" لعبد الحميد ابن باديس أشار فيه إلى السلم الذي نعمت به فلسطين في عهد الإسلام، والسلام الذي ساد لا سيما بين المسلمين واليهود، إلا أن الوضع تغير وأصابها البلاء بخضوعها للاستعمار الإنجليزي الذي تزاوج بالصهيونية، وعمد على استئصال عرب فلسطين وتحويل أراضيهم إلى الصهيونيين الذين وصفهم بالمنبوذين من أمم العالم، إذ يقول: "...وعاش اليهود تلك القرون الطويلة يتمتعون برخاء العيش وحرية المعتقد...تزاوج الاستعمار بالصهيونية الشرهة فأنجبا لقسم كبير من اليهود الطمع الأعمى، وقذفا به على فلسطين الآمنة والرحاب المقدسة فحولوها جحيما لا يطاق...جاء الزوجان المشؤومان الصهيونية والاستعمار الإنجليزي فكان بلاء فلسطين..." [24].

كما كان لشاعر الجمعية "محمد العبد آل خليفة" اهتمام بالقضية الفلسطينية من خلال القصائد التي كتبها على فلسطين، في جميع مراحل كفاحها ضد الإنجليز والصهاينة، فلما قامت الثورة الفلسطينية عام 1936، وكادت أن تقضي على النفوذ البريطاني والوجود الصهيوني معا، وأخذت تنكل بالأحرار في فلسطين، أدرك الشاعر أن بريطانيا وراء كل مؤامرة في الخفاء والعلانية فنظم هذه القصيدة:

بني التايمز قد جرتم كثيرا * فهل لكم عن الجور ازدجار؟
أفي أسواقكم نصبا وغصبا * تسوم القبلة الأولى التجار
إخال القبلة انسجرت دماء * كما للبحر باللجج انسجار[25].

وعندما دعت لجنة "بيل" إلى تقسيم فلسطين سنة 1937، كحل وسط أحس الشاعر بالكارثة، وتألم من هذا المشروع، ونظم قصيدة ثانية يؤكد فيها حق العرب مما جاء فيها:

يا قسمة القدس أنت ضيزى * لم يعدل الحاكمون فيك
مضوا على الحيف لم يبالوا * بما جرى من دم سفيك
القدس للعرب من زمان * لم يقبلوا فيه من شريك[26].

ثم التفت الشاعر إلى الجزائر، رغم ما تعانيه من استعمار، يحثها أن تقف بجانب

فلسطين، فقال:

هلا أعنت القدس منك بلفتة * غيري على شعب هناك مروع

القبلة الأولى تضجع وتشتكي * من قسمة المستأثر المستنقع

ضمي احتجاجك لاحتجاج حماتها * واستنكاري تقسيمه واستقطعي[27]

3- تطور اهتمام الجمعية بالقضية الفلسطينية بعد الحرب العالمية الثانية:

لم تكتف جمعية العلماء المسلمين برفض مشروع تقسيم فلسطين، بل استمرت في الاهتمام ومتابعة تطورات القضية الفلسطينية خاصة بعد انسحاب بريطانيا من فلسطين وإعلان قيام الكيان الصهيوني في 15 ماي 1948، ثم دخول الجيوش العربية لمساندة الشعب الفلسطيني، فساندت الحرب العربية الإسرائيلية سنة 1948 ووقفت بجانب الشعب الفلسطيني ماديا ومعنويا وسياسيا وإعلاميا.

كما واصلت صحف الجمعية دورها الريادي في التوعية بمخاطر المرحلة التي دخلتها القضية الفلسطينية بقيام دولة إسرائيل، وفي مقدمتها جريدة البصائر التي دأبت على متابعتها لجميع الأحداث والتطورات المرتبطة بالقضية الفلسطينية من خلال العديد من المقالات التي كانت تنشر في قسم "منبر السياسة العالمية" من هذه الجريدة، والمحررة باسم الكاتب أبو محمد الذي عبر بأكثر من طريقة عن تأييده للحل العسكري الذي اتخذته الجامعة العربية لإنقاذ فلسطين من الغزو الصهيوني، فقد كتب يعبر عن ذلك بقوله: (إن الجيوش العربية المختلفة سوف تهب كالرجل الواحد من مختلف بلاد العروبة لنجدة فلسطين العربية الجريحة ونصرة أبنائها).[28].

وفي ذلك الوقت كان البشير الإبراهيمي ينشر مقالاته في جريدة "البصائر" لسان حال جمعية العلماء المسلمين، منها ما اعتبر فيها فلسطين جزءا من الوطن العربي الأكبر، كما في قوله: (إن الجزائر وطنكم الصغير، وإن إفريقيا الشمالية وطنكم الأكبر، وإن الرجل الصحيح الوطني هو الذي لا تلهيه الأحداث عن القيام بواجبات وطنه الأصغر والأكبر).[29]

وفي مقال آخر يقول : (تعالوا يا أصحاب الضمائر المنفصلة إلى كلمة سواء بيننا وبين اليهود، تعالوا نقامركم مقامرة لا يقترحها إلا عربي ولا يقدم عليها إلا حرّ أبيّ، ولكنها مقامرة تفض النزاع الذي أعياكم أمره وراع العالم شره ...أحشدوا إلى فلسطين جيشا لمقارعة الصهيونيين من منبت الشرق وأغرس الغرب).[30]

ولم تكتف جمعية العلماء المسلمين بدعم القضية الفلسطينية إعلاميا، بل تحركت ميدانيا عندما سعت إلى تشكيل "الهيئة العليا لإعانة فلسطين" بتنسيق مع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، والتي تم تأسيسها في 14جوان 1948 بالجزائر العاصمة تحت رئاسة الإبراهيمي وعباس فرحات كاتبا عاما لها، والطيب العقبي أمين المال، وإبراهيم بيوض نائبه.

ثم تألفت لجنة تنفيذية في العاصمة من رجال العلم والثقافة، ورجال الأعمال والاقتصاد والشباب، ووجهت اللجنة عدة برقيات، منها برقية إلى وزير خارجية فرنسا تعبر له فيها عن تألمها وتأثرها بتصويت المجلس الوطني الفرنسي على تعاطفه مع دولة إسرائيل، والاعتراف بها، واعتبرت اللجنة تلك الأعمال تحديا للعالم الإسلامي، وأنها تصطدم مع شعوب الشمال الإفريقي، وفي نفس الإطار اعتبرت هذه اللجنة قيام دولة إسرائيل فوق التراب الفلسطيني سابقة خطيرة في تاريخ العلاقات الدولية، وهو يتناقض مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة.

وهذا من خلال البرقية التي أرسلتها هذه اللجنة إلى هيئة الأمم المتحدة وما جاء فيها: (إن لجنة إعانة فلسطين تحتج على ما مس العالم الإسلامي من عدوان صريح قامت به الصهيونية، وهي تحاول إقامة دولة يهودية فوق أرض فلسطين، اللجنة تعتقد أن هذه المحاولة تناقض ميثاق هيئة الأمم المتحدة وتمثل تهديدا صريحا للسلام العالمي).[31]

كما أرسلت اللجنة ببرقية مماثلة إلى جامعة الدول العربية، تبرز فيها تضامنها معها لمواجهة الخطر الصهيوني، ومما جاء في البرقية: (إننا بلسان هذه اللجنة نؤكد لسعادتكم تضامن الشعب المسلم الجزائري مع كل الدول العربية المكافحة ضد الإمبريالية والصهيونية، ونأمل انتصار القضية العربية العادلة).[32]

ونظرا للدور الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين في دعم القضية الفلسطينية معنويا وماديا وإعلاميا، فقد أرسل مفتي فلسطين "محمد الأمين الحسيني" برسالة إلى البشير الإبراهيمي مشيدا فيها بدور الجزائر العظيم في نصرة عرب فلسطين على كل المستويات، وأشاد بالخصوص لتكوين اللجنة العليا لإعانة فلسطين ودور جمعية العلماء فيها.

كما أثنى مفتي فلسطين على رئيس الهيئة في خصوص جمع التبرعات التي قام بها الشعب الجزائري لدعم المناضلين، وإسعاف الجرحى والمنكوبين، وعلى تجنيد عدد كبير

من المتطوعين، وإرسالهم إلى ساحة القتال، لتحقيق النصر على الصهاينة الغزاة كما طلب إبلاغ شكر فلسطين الجزيل وتقديرها العميق لشقيقتها الجزائر؛ لمشاركتها الفعالة في حركة الجهاد المقدس، هذه المشاركة التي ستزيد من أواصر المودة بين الطرفين وتربطهما ارتباطا لا انفصام فيه).

ومما جاء في هذه الرسالة: (فباسم فلسطين المجاهدة نقدم إلى فضيلتكم وإلى أصحاب الفضيلة العلماء الأجلاء، أعضاء المؤتمر أخلص الشكر على هذه المقررات الحكيمة، التي دفعكم إيمانكم وصدق غيرتكم الإسلامية إلى إقرارها راجين أن يكون لها أثرها المنشود، وأن يكتب الله النجاح والتوفيق للجنة الإعانة فهب إخواننا الجزائريون الإكارم سراعا للاستجابة إلى ندائها، ولنجدة فلسطين الجريحة التي تقاسي الشدائد والمحن وتتعرض لمجازر بشرية دامية لم يعرف لها التاريخ مثيلا).[33]

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة التاريخية نصل إلى الاستنتاجات التالية:

أن التيار الإصلاحي في الجزائر سواء كان كأفراد أو ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قد اهتم بالقضية الفلسطينية عبر مراحلها المختلفة وذلك انطلاقا من المبادئ التي تشربها أفراد الحركة الاصلاحية، بوجوب إيلاء قضايا المشرق اهتماما يربطها بهموم المغرب بناء على وحدة مصير الأمة العربية ومستقبلها إزاء ما كان يحاك في الدوائر الغربية من مؤامرات تستهدف الوطن العربي الذي تحتل فلسطين فيه موقع القلب.

وقد أدرك الجزائريون ما يحاك ضد فلسطين منذ بداية المؤامرة عليها، هذا رغم ظروف الشعب الجزائري المشابهة إلى حد بعيد بمأساة فلسطين آنذاك، فلم يمنعهم ذلك من فضح الخطط الصهيونية في وقت مبكر، بواسطة أقلام أخذت على عاتقها هذه المهمة وازداد هذا الإيمان بالقضية تجذرا بعد تبلور الحركة الوطنية - خصوصا جمعية العلماء - التي فتحت المجال للأدباء والشعراء من خلال مجلاتها وجرائدها من أجل توعية الشعب الجزائري بمخاطر المرحلة التي تمر بها القضية الفلسطينية، بداية من وعد بلفور إلى مشروعي التقسيم سنة 1937وسنة 1947 وقيام دولة إسرائيل، والحرب العربية الإسرائيلية سنة 1948، والدعوة من خلال هذه المجلات والجرائد إلى الجهاد ضد الصهاينة والاستعمار البريطاني، ووجوب الدفاع عن قضية عربية دينية مقدسة.

ولم تكتف جمعية العلماء بالدعم المعنوي الذي تجسد في العديد من المقالات التي

كانت تكتب على صفحات الجرائد التابعة للجمعية، بل تعدى ذلك إلى الدعم المادي من خلال إنشاء لجنة لجمع التبرعات لصالح الشعب الفلسطيني وضحايا الصهيونية وهي "اللجنة العليا للدفاع عن فلسطين"، إضافة إلى الخطابة من طرف رجال الجمعية لتحسيس الشعب الجزائري بخطورة الوضع بفلسطين.

وهذا ما يثبت لدينا أن التيار الإصلاحي في الجزائر كان رافضا لتحالف الاستعمار والصهيونية على تهويد فلسطين، واعتبر أن فلسطين جزء لا يتجزأ من الجسد العربي الممتد من المحيط إلى الخليج.

الهوامش والاحالات:

1-صالح خرفي، **الجزائر والأصالة الثورية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص33.

2- محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931**، المجلد الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص381.

3- صالح خرفي، المرجع السابق، ص33.

4- **عمرراسم:** ولد بمدينة الجزائر سنة 1884، كون في بداية حياته فرق موسيقية ومسرحية وأحيا عدة سهرات فنية، وابتداء من سنة 1908 اتجه إلى النشاط الصحفي، فأنشأ أول جريدة تحمل اسم "الجزائر" وكتب في جريدة "المرشد التونسية" ، وفي 1912 التحق بجريدة "الحق" التي كانت تصدر بالفرنسية، وفي 1913 أصدر جريدة "ذو الفقار". وبعد عام 1923 وجه اهتمامه إلى النشاط الفني، توفي سنة 1956. للمزيد أنظر: زهير إحدادن، **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، جامعة الجزائر، 1995، ص231.

5- محمد ناصر، المرجع السابق، ص400.

6- صالح خرفي، المرجع السابق، ص35.

7- **سعيد الزاهري:** ولد ببسكرة سنة 1899، تعلم بمسقط رأسه ثم انتقل إلى قسنطينة لمواصلة دراسته، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس ورجع إلى مدينة الجزائر سنة 1925، وبدأ ينشط في الميدان الصحفي فأصدر جريدة باسم الجزائر في أواخر 1925، وفي سنة 1931 شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، واستمر ينشط داخلها إلى غاية1937 . وبعد 1945 أصدر جريدة "المغرب العربي". حكمت عليه جهة التحرير بالإعدام وكان ذلك في جانفي 1956 لمساندته المصاليين. للمزيد أنظر: زهير إحدادن، معجم مشاهير المغاربة، ص.245

8- محمد ناصر، المرجع السابق، ص.405

9- نفسه، ص406.

10- عبد الله الركيبي، **قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص45.

11- **أبو اليقظان:** ولد بالقرارة في الميزاب سنة 1888، وفي سنة 1910 سافر إلى المشرق. وفي سنة 1913 رجع إلى تونس ودرس بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية، وبدأ بنشر مقالاته في الصحف التونسية

والمصرية، ثم رجع إلى القرارة في سنة .1925 أسس عدة جرائد منها "ميزاب"، وفي سنة 1931 شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين وتوفي سنة 1973. للمزيد أنظر: زهير إحدادن، معجم مشاهير المغاربة ص.563

12- صالح خرفي، المرجع السابق، ص.36

13- محمد ناصر، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص.138

14- محمد ناصر ، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص.140

15- نفسه، ص.141

16- أبو الصفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1934-1945**، ط1، الشركة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر 1981، ص.357

17- أبو الصفصاف، المرجع السابق، ص.358

18- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، ص.407

19- نفسه، ص.412

-20Jean paul chagmallaud ,**maghrib et Palestine**, edition sind-bad, paris 1977, p62.

-21Ibid, p65.

22- **جريدة البصائر**، عدد115، السنة الثالثة، الجمعة 27 ماي 1938، ص6.

23- **جريدة البصائر**، اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي الجزائري ضد التقسيم، العدد80، السنة الثانية، الجمعة 3 سبتمبر 1937، ص2.

24- عبد الحميد ابن باديس، فلسطين الشهيدة، **مجلة الشهاب**، الجزء6، المجلد14، أوت 1938، ص1.

25- عبد الله الركيبي، المرجع السابق، ص.57

26- خرفي، الجزائر والأصالة الثورية، ص49.

27- عبد الله الركيبي، المرجع السابق، ص61.

28- أبو محمد. منبر السياسة العالمية، **جريدة البصائر**، عدد36، السنة الثانية، السلسلة الثانية، الاثنين:07 -05-1948 ،04

29- أحمد طالب الإبراهيمي، **آثار البشير الإبراهيمي**، ج3، عيون البصائر، ص.488

30- محمد البشير الإبراهيمي، **البصائر**، العدد30، السنة الثانية، السلسلة الثانية، 1948، ص01.

31- أحمد مريوش، "دور جمعية العلماء المسلمين في الحركة الوطنية الجزائرية بين (1931-1952)"، **مجلة الرؤية**، العدد2، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ماي /جوان 1996.ص253.

32- (ـــ ، ـــ)، **الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية**، دار هومة، الجزائر 2007، ص421.

33- **جريدة البصائر**، عدد52، السنة الثانية، السلسلة الثانية، الإثنين: 11-10-1948 ،ص02.

موقف الحركة الوطنية في الجزائر من الكيان الصهيوني

ـ قضية الكاتب قادة بوطارن أنموذجا ـ 1948م

ط . د / وردة عي - جامعة الوادي

مقدمة

لم يكن المثقفون الجزائريون خلال فترة الاستعمار الفرنسي يدافعون عن أنفسهم فحسب، بل كتبوا وعبروا عن مختلف القضايا، وكانت لهم آراء ونظريات وقراءات استشرافية لما هو آت، معتمدين على معطيات الحاضر. وكان من أوائل من تفطنوا لبداية الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي هم صحفيون جزائريون في بداية القرن العشرين، فحرروا مقالات حادة التعبير من بينهم عمر بن قدور، وعمر راسم، اللذان كتبا عن هذا الخطر قبل وقوعه.

كما كان لرجال الحركة الوطنية رأيهم حين دق ناقوس الخطر على أرض فلسطين فعبروا عن رأيهم الصريح الرافض للممارسات اللاإنسانية في حق الفلسطينيين، رغم أن الجزائريين أنفسهم هم تحت وطأة استعمار فرنسي لا يقل شراسة عن بريطانيا ومخططاتها في التخلص من اليهود بطريقة أو أخرى، وكانت سنة 1948 م سنة مؤلمة على العالم الإسلامي وقد وقعت ضجة في الوسط الجزائري حول مواقف النخبة آنذاك تجاه الكيان الصهيوني، ومن بينها قضية الكاتب بوطارن قادة عضو حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ومنه يمكننا طرح الاشكال الآتي: كيف كان موقف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من تصريحات قادة بوطارن حول الكيان الصهيوني؟ يجعلنا هذا نطرح عدة أسئلة: من هو الكاتب قادة بوطارن؟ وما هي علاقته بحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري؟ ما هو موقفه من الحركة الصهيونية؟ هل تساهلت الحركة مع التصريحات المنشورة باسم قادة بوطارن في الصحف؟ ما هو رد قادة بوطارن حول هذه الاتهامات؟

1. **قادة بوطارن والحركة الوطنية:**

أ- **التعريف بقادة بوطارن:**

وُلد الكاتب قادة بوطارن، بمدينة البيّض، في الجنوب الغربي الجزائري، سنة 1907، توفيّ والده، ولم يتجاوز السابعة من عمره. تابع دراسته الابتدائية في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى مدينة معسكر، لمواصلة دراسته، ولكنه لم يتمكن من استكمال تعليمه - لأسباب مادية - رغم تفوّقه في الدراسة - ورغبة منه في مساعده أسرته الفقيرة، انتقل

لإجراء تربص تكويني، بالتسجيل في مدرسة تكوين المعلمين ببوزريعة، أين حصل على شهادة التدريس كمعلم الطور الابتدائي سنة 1927. ليعود بعدها، إلى مسقط رأسه بالبيّض، أين زاول مهنته كمعلم.[1]

ب- النشاط السياسي لقادة بوطارن:

انضم قادة بوطارن مبكرا إلى النضال في صفوف الحركة الوطنية، ويعتبر من الأوائل المناضلين السياسيين في الجنوب الغربي الجزائري، من خلال انخراطه في صفوف حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري[2]: برئاسة فرحات عباس، وقد توّج مساره النضالي، بانتخابه سنة 1946، ضمن قائمة الحركة بعد أن قرر حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الاشتراك في انتخابات الجمعية التأسيسية الفرنسية الثانية يوم 2 جوان 1946م، وحقق فيها نجاحا باهرا فحصل على 11 مقعدا من 13 مقعدا مخصصة للجزائريين 33 ، من بينها قائمة عمالة وهران التي أحرزت لائحة الحزب على ثلاثة مقاعد، فاز بها: عبد القادر محداد "أستاذ ثانوي" بوهران، قادة بوتارن "أستاذ ثانوي" بتيارت، أحمد فرانسيس "طبيب" بغيليزان.[3]

فأصبح قادة بوطاون نائبا في الجمعية التأسيسية، ممثلا للشعب الجزائري. كما التحق بصفوف الثورة، بعد اندلاعها، ويتمّ تعيينه مسؤولا عن الإعلام في جبهة التحرير الوطني، ويشتغل محرّرًا في جريدة المجاهد، ثم وكالة الأنباء الجزائرية، في بداية تأسيسها سنة 1961.

2. اتهام قادة بوطارن بمساندة الصهيونية:

أ- موقف الجزائريين من الصهيونية عشية إعلان دولة إسرائيل:

كان الجزائريون يعيشون بؤسهم وقهرهم في حالة ترقب، وصدموا مما حدث لهم قبل ثلاث سنوات من مجازر، وقبل سنة من اغتصاب صهيوني لأرض عربية، فكان تعطشهم للأخبار عن فلسطين لا يرتوي رغم ما تنقله الصحف العربية والطلبة العائدين من المشرق، والصحف الوطنية، وما ينقله الإعلام الفرنسي من زاويته. ولقد ترجمت ردود أفعال الجزائريين من الصهاينة واعتداءاتهم - في بعض المناطق- ردودا عنيفة كما حصل في باتنة سنة 1948م، حين تمت مهاجمة دعاة الحركة الصهيونية من اليهود في الجزائر. وفي الحدود التونسية والحدود الليبية مع الجزائر كانت فرنسا في كل مرة تعتقل الجزائريين قبل وصولهم إلى فلسطين، في حين كانت تتغافل أو تسمح لليهود بمساعدة الصهاينة. ورغم كل هذه الممارسة، وصل الكثير من الجزائريين للمشاركة في الحرب، رغم بعد الطريق، والتعب النفسي

والجسدي، ليدخلوا في مرحلة أخرى من التدريب والتحضير للحرب.[4]

احتج مصالي الحاج بمذكرة أرسلها إلى هيئة الأمم المتحدة جاء فيها، استنكاره لما يحصل في فلسطين وقيام دولة يهودية وأعلن تضامنه مع إخوته العرب في فلسطين، وأرسل بنسخة من هذه المذكرة إلى عزام باشا[5] الذي سعد بموقف مصالي وأرسل له عبارات الامتنان مع الشاذلي المكي مندوب حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالقاهرة.[6]

لقد قام أحمد مزغنة في 27 فيفري 1948 باستجواب تاريخي لوزير الخارجية الفرنسي في المجلس الفرنسي عن القضية الفلسطينية العربية قائلا: (إن سياسة فرنسا القصيرة النظر قد فقدت البقية الباقية لها من عطف 400 مليون من المسلمين، وقد ضحّت بعواطف مسلمي شمال إفريقيا بموافقتها على قرار التقسيم...إن فرنسا مسؤولة عن الدماء التي تسيل في الأرض الفلسطينية نتيجة إعانتها وتشجيعها الفعّال للحركات الصهيونية التي اتخذت من فرنسا وشمال إفريقيا مراكز لمناوراتها... وتفتك بكل حركة إسلامية ترمي إلى إعانة فلسطين العربية ولو بالمال، وما حادثة التهريب لليهود من شاطئ سيدي فرج بالجزائر بعيدة عن الأذهان... وهناك يهود أغنياء مثل المسمى -دويب- وغيره من الذين حوَّلوا مزارعهم إلى قواعد صهيونية لإيواء العصابات اليهودية وتدريبها على قتل ومحاربة العرب ثم تهريبها إلى فلسطين"[7].

وما إن تم الإعلان عن قيام دولة (إسرائيل) في 15ماي1945، حتى أمطرت الصحف بالمقالات التي تدعو المسلمين لنصرة إخوانهم في فلسطين، وكتب في هذا الصدد محمد البشير الإبراهيمي[8]: (نرجعُ لعرب شمال إفريقيا... إنَّ عليهم لفلسطين حقا لا تُسقطُه المعاذير[9] ولا تقف في طريقه القوانين مهما جارت... هذا الحق هو الإمداد بالمال، ومن أعان بالمال فقد قام بالواجب بأثقل شطريه...، ولا نستطيع إمداد فلسطين بالرجال لأنه ليس لنا ما لليهود من تسهيلات، وليس لنا ما عندهم من اتصالات ومؤسسات... وإن من أوجب واجب علينا نحن العرب الذين ابتلينا بالاستعمار، ووضعنا منه في هذا الموضوع الشاذ، أن نلوذ في قضية فلسطين بالعقل".

كما قامت الجمعية بانتقاد فرنسا التي سمحت لليهود بالهجرة وسهلت لهم المغادرة. ولقد زاد تضامن الجزائريين تجاه القضية من خلال مقالات الجمعية وخصوصا ما يكتبه البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر من حسرة وألم على إخوته وما يتعرضون له. وبكل قوة وشجاعة في دعوة الجزائريين للمساندة والتضامن قال في هذا الصدد: (تتقاضانا فلسطين أن نحزن لمحنتها ونغتمّ، ونعني بقضيتها ونهتمّ، ويتقاضانا إخواننا المشردون في

الفيافي، أبدانهم للسوافي وأشلائهم للعوافي ألا ننعم حتى ينعموا، ولا نطعم حتى يطعموا). وقد عبَّر في مقال آخر أنه قد منح كل ما يملكه (للجنة إمداد فلسطين) وهي مكتبته، وقد توفي الإبراهيمي وقلبه ملؤه الحسرة على ما يقع في فلسطين وما وصفه بـ"الفجيعة" وحسرة على وضع الجزائر المتأزم.[10]

وعقب نكبة فلسطين أعلنت الجمعية عن تأسيس – اللجنة الجزائرية لدعم فلسطين- في جوان 1948 وبذلك بدأت في تكثيف عمليات التحسيس وجمع التبرعات وكتابة المقالات لرفع معنويات الفلسطينيين.[11]

ب- قضية اعتراف بوطارن قادة بالدولة اليهودية:

تم ذكر اسم قادة بوطاون في جريدة " Droit De Vivre " على أنه ينتمي إلى لجنة ضد العنصرية، وهي لجنة تساند اليهود في تأسيس دولتهم وتدعو إلى التعايش مع الآخر، وقد ورد اسم آخر في هذه اللجنة أيضا وهو السيد بومنجل، الأمر الذي أثار سخطا وسط الحركة الوطنية في الدائرة الضيقة لردود الأفعال، وقامت خلية انتصار الحريات الديمقراطية في 29 جويلية 1948م بعقد اجتماع كانت قد أشارت له الشرطة الخاصة بمنطقة تيارت، وقد خلصت الخلية إلى تكليف طيبي الطيب وولد إبراهيم السعيد بالتحقيق في القضية، وقد خلصا إلى عدم علاقة السيد قادة بوطارن بهذه اللجنة وأنه مجرد استغلال لاسمه لغاية خدمة فكرة التعايش ونبذ العنصرية التي تندد بها اللجنة.

ج-رد فعل قادة بوطارن على اتهامه بالانضمام إلى لجنة ضد العنصرية:

كان رد فعل بوطارن سريع سبق الاجتماع المنعقد في 29 جويلية لحركة انتصار للحريات الديمقراطية، حيث قام بعقد اجتماع مع أعضاء خلية حزب الاتحاد الديمقراطي بتاريخ 25 جويلية 1948م، نفى وكذّب ما يروج له في أوساط المسلمين من إشاعة خطيرة مفادها اعتراف قادة بوطارن بالدولة الاسرائيلية.

أرسل قادة بوطارن بيانا إلى مدير جريدة "Droit De Vivre " المنشورة باسم المفتش العام للشرطة مكتب تيارت في 31 جويلية 1948م والتي تضمنت ما يلي:

(سيدي المدير، لي الشرف أن أحيطكم علما بتفاجئي العميق بوجود اسمي في لجنة سمّت نفسها الصداقات الإسلامية والتي لم أكن أعلم حتى بوجودها وقد صدرها التنويه في جريدتكم الموقرة رقم 193 شهر جوان 1948، من دون إصدار حكم مسبق عن قيمة أو أهمية هذه اللجنة وأحيطكم علما أنني لم أطلب أبدا الانتماء إليها فما أقدم أبدا موافقتي لأي كان لا شفويا ولا كتابيا، وقد قامت بعض الأطراف باستعمال اسمي دون علمي أو إشعاري بذلك وهذا ما يؤسفني، كما أعلمكم بأنني أنتمي إلى حزب سياسي هو

الاتحاد الديمقراطي للبيان، وأنني من بين أعضاء لجنته المركزية؛ وعليه فإنه لا يمكنني أن أستخدم اسمي دون إشعار مسبق بهذا التنظيم في أي حال من الأحوال، لم يتم طلب مثل هذا الإشعار أو الحصول عليه، لذلك أطلب من سيادتكم أنا الذي أعرف رفعة تهذيبكم وحرصا على الحقيقة بنشر هذا التوضيح والتصحيح في عددكم القادم ومن ثم سحب اسمي من هذه اللجنة).

ومن خلال هذه الردود الجادة من عقد الاجتماعات وإرسال رسالة التكذيب فإنه يتجلى لنا حرص الشخصيات الوطنية على المحافظة على سمعتهم باختلاف تياراتهم تجاه القضية الفلسطينية، كما أن هذا الاتهام وما نتج عنه أدى إلى صراع بين حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بسبب انتماء قادة بوطارن للاتحاد الديمقراطي وأن الاختلاف الأيديولوجي لم يؤثر في حقيقة توجه الحركة الوطنية إلى الدعم المعنوي والمادي لفلسطين.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة نستنتج ما يلي:

-التعاطف الجزائري الواسع مع القضية الفلسطينية من مختلف الأحزاب والجماعات العاملة.

-تأثر المواقف الجزائرية على مجتمع اليهود في الجزائر، وعدم ترحيبهم بالصهيونية، لأن علاقة الجزائريين بالمشرق عامة وفلسطين خاصة، هي بمثابة قبلة الحج، والعلم الخاص بالمسلمين.

-موقف الحركة الوطنية واهتمامها البالغ بقضايا الأمة - رغم الاختلاف الأيديولوجي للتيارات - حرصا على كلمة واحدة هي مساندة فلسطين، والتجند بالسلاح والقلم من أجل نصرتها.

-استغلال فرنسا الوضع الحرج الذي بين اليهود والعرب خصوصا مع تأجج الأوضاع في مناطق عديدة بين العرب واليهود في الجزائر.

-موقف حركة انتصار للحريات الديمقراطية من انضمام جزائري إلى لجنة تعترف بدولة إسرائيل وترحب بها وتجنيد عضوين لمتابعة القضية.

-موقف بوطارن قادة واستغرابه من ولوج اسمه في قائمة لم يطلب الانتماء إليها، وتعبيره في رسالة غلبت فيها الدبلوماسية من خلال العبارات التي تأخذ مدير الجريدة بين المدح والتذكير بضرورة حذف اسمه من تلك اللجنة وتكذيب الخبر.

-تعتبر شخصية قادة بوطارن شخصية باهتة في كتابات المؤرخين رغم مكانتها فهو

كاتب وروائي صاحب ثلاثية سياسي وله موقف نبيل مشرف تجاه القضية العربية في فترة الاستعمار الفرنسي.

الهوامش والاحالات:

1- بوداود عمير، (2016-03-11)، **قادة بوطارن الوالي الذي أصبح روائيا**، استرجعت في 20 أفريل 2022 من الموقع: https://www.nafhamag.com .

2- **الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:** حزب سياسي جزائري أسسه فرحات عباس في أفريل 1946 عقب صدور قانون العفو العام في 16 مارس 1946م، وهو امتداد لأحباب البيان والحريّة التي تأسست أثناء الحرب العالمية الثانية في 14 مارس 1944.

3- Mohamed Teguia: **L'Algérie en guerre** ,OPU ,Alger: 1988, pp 78-79.

4- حمودي ابرير، **موقف الجزائريين من القضية الفلسطينية 1945-1973**، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، 2014-2015، ص120.

5- **عزام باشا: (1893.1976):** سياسي ومفكر مصري هو أول أمين عام لجامعة الدول العربية عام تقلد منصبه سنة 1945، كانت له علاقات ممتازة مع الحكام العرب وسمعة طيبة لدى الجماهير العربية، قدم استقالته من الجامعة سنة: 1952م ، أنظر: عبد الرحمن عزام: **الرسالة الخالدة**، ط1، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2011، ص 9.

6- وردة عي، **موقف الجزائر من حربي 1967 و1973 ومشاركة المجندون السوافة فيها**، مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر، جامعة الوادي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2019-2020، ص 18.

7- أبو جزر أحمد شفيق: **العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي "موقف وأسرار"** دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 200.

8- **محمد البشير الإبراهيمي (1889-1956م) :** هو عالم ومفكر جزائري إصلاحيّ، وكيل العلامة عبد الحميد بن باديس في جمعية العلماء المسلمين المؤسسة يوم 1931/05/05م، كتب العديد من المقالات وقدم العديد من المحاضرات في سبيل الدعوة إلى اصلاح المجتمع بمختلف قضاياه، تولى رئاسة تحرير جريدة البصائر بعد الحرب العالمية الثانية، قام ابنه د. أحمد طالب الإبراهيمي بجمع مقالات ورسائل ومحاضرات الشيخ الابراهيمي في كتاب بعنوان: «آثار الابراهيمي». أنظر: محمد حربي: **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، تر: نجيب عياد وصالح المثلوثي، دار موفم ، الجزائر ، 1994م، ص179.

9- **المعاذير:** جمع مَعذِرة وهي حُجَّةٌ يُتأسَّف بها لرفع اللَّوم والحرج والمؤاخذة لم يلتمسْ أيَّة معذرة. أنظر: محمد أديب عبد الواحد جمران: **معجم الفصيح من اللهجات العربية: وما وافق منها القراءات القرآنية**، ط1، مكتبة العبيكان، 2000، ص367.

10- وردة عي، المرجع السابق، ص 23.

11- المرجع نفسه، ص 24.

القسم الثالث

مواقف العلماء والدعاة في الجزائر
حول قضية فلسطين

موقف الشيخ محمد السعيد الزاهري
في بداية الثلاثينيات من الصهيونية
التي احتلت فلسطين واعتدت على اللغة العربية

أ.د/ علي غنابزية - جامعة الوادي

مقدمة

كانت الصحافة الجزائرية مواكبة للعمل المستمر للصهيونية العالمية، وكانت جمعية العلماء المسلمين بشيوخها تراقب عن كثب كل ما يصدر من اليهود داخل الجزائر، وفي البلاد الأوروبية، والبلاد العربية بالخصوص، وتركز بالدرجة الأولى على فلسطين والتي تعتبرها محتلة ولا سيما في ظل الانتداب البريطاني، الذي فسح لهم المجال فعاثوا فيها فسادا، وتوطنوا في أرضها، واحتلوا سهولها ومدنها، وحطموا قراها.

وكتب الشيخ محمد السعيد الزاهري، عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مقالا هاما في جريدة "السنة النبوية المحمدية" - لسان حال جمعية العلماء- بعنوان: (بين العرب واليهود: الصهيونيون يستعمرون لغتنا). وجعل العنوان التمهيدي، (بمناسبة اضطهاد اليهود في ألمانيا). وأصل المقال هو عبارة عن حوار جمع الزاهري بمجموعة من اليهود الجزائريين في مدينة وهران، خاضوا في حديثهم عن اليهود، ومعاملتهم في شتى الأنحاء، حتى وصلوا إلى الصهاينة، وحينها بين لهم موقفه الصريح، وأوضح لهم معاداتهم للبشرية، وخطرهم الداهم ضد الإنسانية. وخلال ذلك بين موقف الإسلام في رحمته بالناس، وحتى الجريدة في مقدمة المقال، بينت أن الزاهري وضح روح الإسلام، ومعاملته القيمة لأهل الذمة، ومعهم اليهود، ولم يعاقبهم – الإسلام - إلا بعد اعتدائهم السافر، كما هو معروف في السيرة النبوية، وما فعلوه في المدينة، وكان مصيرهم، حرمانهم من السكن فيها، لأن خطرهم فاق كل تصور.

1-التعريف بالكاتب: الأستاذ الشيخ محمد السعيد الزاهري، عضو المكتب الإداري لجمعية العلماء في السنوات الأولى من تأسيسها، وهو أديب، وشاعر، وعالم، وهو أصيل قرية "ليانة" قرب بسكرة، وبها ولد سنة 1899، وحفظ القرآن، وأخذ مبادئ العلوم عن علماء المنطقة، ثم انتقل إلى قسنطينة، وأتم دراسته المتوسطة على الشيخ عبد الحميد

ابن باديس. ثم انتقل لجامع الزيتونة، وحصل على شهادة التطويع سنة 1925.

عاد الزاهري للوطن، وأسس جريدته سنة 1925 وهي "الجزائر" وجعل شعارها "الجزائر للجزائريين"، فأوقفها الاستعمار، فأصدر جريدته الثانية "البرق" سنة 1927، فكان مصيرها الغلق. ولما تأسست جمعية العلماء، ساهم في الكتابة في جرائدها الأولى، متعاونا مع الشيخ الطيب العقبي، وهي (السنة والشريعة والصراط). وتعاون مع محمد الأمين العمودي في جريدته "الجحيم" التي أنشئت لمقاومة جريدة "المعيار" الطرقية المشرب والاتجاه.

ولم يكتف بما ينشره في الشهاب وجرائد الجمعية، بل نشر مقالات في تونس في جريدة النهضة، وجرائد المشرق كالرسالة، والمقتطف، والفتح. وصار علما لامعا في فضاء الصحافة، ووصفه شكيب أرسلان، بأحد أعمدتها في الجزائر فقال: (إن أركان الأدب العربي في الجزائر أربعة: الزاهري، وباديس، والعقبي، والميلي). ولكن وقع خلاف له مع أحد أعضاء الجمعية، ففضل مغادرها سنة 1935.

وقد عاد إلى الصحافة، وأصدر صحيفته الثالثة (الوفاق) سنة 1938، بث فيها أفكاره، ولكنها توقفت بسبب الحرب العالمية الثانية، ولكنه أصدر الرابعة (المغرب العربي) سنة 1948.[1]

ويعتبر الزاهري من الكتاب الجزائريين الأوائل الذين اهتموا بنشاط الصهيونية وتغلغلهم في فلسطين، وبين مبكراً موقفه منها قبل صدور وعد بلفور 1917، وهو لا يزال طالبا في الزيتونة، عندما استنكر تسامح باي تونس مع اليهود وهم يعلنون بين يديه عن أمانيهم في إقامة دولتهم بفلسطين. كما افتخر الزاهري بنفسه عندما كتب في جريدة البرق في عددها الثاني عام 1927، قائلا: (... إني والحمد لله أول مسلم كتب بحرية عن المسألة الصهيونية، ولم أخن ديني وضميري لأرضى على جماعة اللصوص وعار الإنسانية، اليهود، كيف أخون ديني وضميري أمام هؤلاء الذين تسببوا في كل أضرارنا... ولم يسبقني في هذه المسألة إلا الشيخ عمر راسم).[2] وقد أولت جريدته الوفاق، الأهمية الكبرى لقضية فلسطين، وتطور الأحداث بها، ولم تهتم جريدة جزائرية أخرى بمثلها، فلا يكاد يخلو عدد من أعدادها عن ذكر القضية والدعوة لمساندتها، وما يتعلق بها.[3]

وعندما تأججت أحداث 1929، كتب في جريدة " الإصلاح " مقالا بعنوان: (الاكتتاب

الاكتتاب ! الغوث الغوث ! أيها المسلمون). ومما ورد من صرخات استغاثة قوله: (فعلى الأمة إذاً أن تهب لنصرة "فلسطين" كما هبت بالأمس لنصرة "طرابلس" وعلى جميع طوائفها وطبقاتها أن تساند وتعمل في تحقيق هذه الغاية ليبيض بذلك وجه الجزائر ويرفع رأسها عالياً بعمل المروءة المحسنين. الجمعيات الخيرية الإسلامية المتنوعة هنا وهناك بمد يد البر والإعانة. ورجال النوادي بقيامهم بالحفلات الخيرية لجمع الإعانات، ورجال الصحافة الإسلامية بتصوير المحن والشدائد التي ذاقها المسلمون هنالك حتى يهيجوا في الأمة عواطف الرحمة والعطف على فلسطين الشهيدة، والصحف الإسلامية بفتح الاكتتاب وجمع الإعانات، والطرقيون بتبرعهم ببعض ما ينفقونه حول الأضرحة والقبور، والمسلمون جميعا بصومهم ثلاثة أيام من رجب واكتتاب نفقاتها لحراس البراق الشريف).[4]

2-وصف المقال:

إن المقال – محل هذه الدراسة – في أصله، عبارة عن لقاء جمع الزاهري بعدد من اليهود في مدينة وهران في صيف عام 1933، وكانت بداية الحوار حول مسألة "اضطهاد اليهود" وبيَّنَ الزاهري مدى اهتمام اليهود بهذا الشأن الذي صار أساسيا في حياتهم، واحتوى على العناصر التالية:

أ-أن الحديث عن الاضطهاد صار من شعائرهم الدينية: فقال: (فهم يحفظون جميع المصائب والنكبات التي حلت بهم وبآبائهم الأولين وهم يعرفون هذه المحن ويعرفون أيامها وتواريخها ويلقنونها أطفالهم الصغار).

ب- أن جميع أعياد اليهود ومواسمهم، كلها أيام حزن وحداد. وقال معبرا: (ويعجبني في هذا أن اليهود لا ينسون ما يحل بهم من رزء أو مصاب، ولا من يعاملهم بالشر والقسوة والأذى، ولعل هذا هو سبب احتفاظهم بكيانهم إلى الآن.) بخلاف العرب الذين ينسون ما حل بهم من نكبات عبر التاريخ.[5]

ج- أن اليهود أسرفوا في التظلم والشكوى فقال: حتى أنهم إذا سمعوا بأتفه حادث هاجوا وماجوا وقالوا إنها مذبحة يهودية. والعرب قد أسرفوا في الصبر والاحتمال حتى إنه لينزل بهم أعظم المصائب وأفدح الخطوب، ولا تسمع لهم شكاية ولا أنينا. وإذا اشتكوا وتظلموا فما هي إلا لمحة وتغيب).

د-اعترف له اليهود - في حواره لهم – أنه لولا حضن الإسلام لهم، وعطفه عليهم لما بقيت منهم باقية. واستغلوا عطف الأتراك عليهم باسم السامية التي جمعتهم فقال أحدهم: (إن الاتراك الذين عطفوا على اليهود في محنتهم وجلائهم من الأندلس، إنما فعلوا ذلك لأنهم "ساميون" يمتون إلى اليهود بصلة القربى. فنفيت أنا هذا التعليل، وقلت لهم إن الاتراك والعرب لو لم يكونوا مسلمين لما عطفوا على اليهود، فالإسلام هو الذي جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة).[6]

هـ- اضطهاد الغرب لليهود، لأنهم مسيحيون يريدون الانتقام منهم، لأنهم قتلوا المسيح عليه السلام. ويقول عن الفرنسيين المحتلين للجزائر: (واليهود اليوم في الجزائر يتمتعون بكل الحقوق السياسية التي يتمتع بها الفرنسيين والتي حرم منها العرب أهالي البلاد ولم ينالوا منها شيئا.) وبين لهم أن اليهود ليسوا بأحسن حال من عهدهم في حكومة الإسلام التي حكمت الجزائر – يعني الأتراك – الذين جعلوا لهم محاكمهم الخاصة، بينما الفرنسيون جعلوهم يتحاكمون للمحاكم الفرنسية، وهذه المحاكم اليهودية ما زالت باقية في تونس والمغرب الأقصى، وأورد شواهد تاريخية، بينت عدل المسلمين، عندما يقف اليهودي مع المسلم في محكمة المسلمين، يحكمون لليهودي ضد المسلم بدون حرج.[7]

و- مكانة اليهود في العهد العثماني بالجزائر: كانوا مقربين من الولاة، ولهم الكلمة المسموعة عندهم، وصار الأمر كله لليهود في عهد مصطفى باشا.[8]

كما كانت لهم الحرف والصنائع، لأن العرب فضلوا الفلاحة؛ والتجارة كلها من نصيب اليهود، لا ينافسهم فيها أحد، وحتى قوافلهم لا يمسها أحد بسوء، بينما تتعرض قوافل المسلمين للسطو من اللصوص.

ز- وخاضوا في الحديث عن اليهود في البلاد الإسلامية: فقال لهم: (إن اليهود في العربية السعيدة " اليمن" وفي العراق وفي الأفغان أو في غيرها من بلاد الإسلام هم على غاية ما يمكن أن يكونوا من العافية والاطمئنان، لا يخافون ظلما ولا هضما، على حين نسمع أن اليهود في المانيا وبولونيا وغيرها من بلاد أوروبا يكلفونهم رهقا وعسرا، ويسومونهم سوء العذاب...).[9]

3-الحركة الصهيونية وفلسطين:

لقد أفاض الزاهري في ذكر التسامح الذي وجده اليهود في الجزائر وبلاد الإسلام، ولم

ينالوا شيئا في بلاد الغرب التي يتحالفون معها، بل ذاقوا أنواعا من الاضطهاد والتعذيب.

ولكن يهوديا أراد استغفال الزاهري، وذكر له حادثة وقعت لليهود سنة 1929، وأن العرب ذبحوا اليهود في فلسطين. وهنا وصل النقاش إلى حقيقته، الأمر الذي جعل الزاهري ينبري لتوضيح الحقائق الساطعة التالية:

-أن الخصومة – في فلسطين – ليست بين العرب واليهود، بل بين العرب والصهاينة.

-بين حقيقة الصهيونية واخلاقها السيئة: (وهؤلاء الصهيونيون شذاذ ونفاية اكتسحوا فلسطين العربية الكريمة).

والصهيونية هي دين اليهود الجديد، وهم يتعاطفون معها، ويساندوها في كل مكان وجد فيه اليهود، ومنهم يهود الجزائر، ولعل في هذا الحوار ما يكشف عن ذلك ولو كان متسترا تحت الحقوق التي يطالب بها اليهود. وذكر القائد المسلم "عبد الله التال"، وهو من أعرف الكتاب بحقيقة الصهيونية: (ويظن الكثيرون أن الصهيونية تختلف كثيرا عن اليهودية، والحقيقة أنهما شيء واحد، فالصهيونية هي الجهاز التنفيذي لليهودية العالمية التي تسعى إلى تدمير العالم والتحكم في مصائره).

كما أن الظروف التي سبقت هذا المقال، وسجلت أحداثا ثابتة قبل هذا الحوار، هي الانتداب البريطاني على فلسطين، والذي سهل لليهود الهجرة والاستيطان، وحينها بدأوا يتحكمون في مصير البلاد، وحدثت اضطرابات القدس في 2 نوفمبر 1921، ويافا مارس 1924، واضطرابات أوت 1929، وعمت جميع أنحاء فلسطين وقتل فيها حوالي 300 يهودي أكثرهم في الخليل والقدس -ولعلها المقصودة في كلام اليهودي – وكان سببها اعتداء اليهود على حائط البراق الشريف، وحينها أرسلت بريطانيا لجان التحقيق التي تواصلت إلى سنة 1937. وكلها ألاعيب بريطانيا لتهدئة الوضع وتمكين اليهود أكثر.[10] وهي التي قامت في أوت 1929 بتسليح رعاياها اليهود بحجة الدفاع عن مستعمراتهم، وتعاونت بريطانيا مع الفرنسيين في تشديد قبضتها على حدود سوريا وفلسطين لمنع أي حركة تعين الفلسطينيين من خارجها، وكل معركة تنشب بين العرب واليهود إلا ويكون الجنود الإنكليز في مقدمتها.[11]

وأضاف عبد الله التل مفارقة تستر وراءها بعض اليهود، فقال: (ولا يوجد يهودي واحد يعارض الصهيونية وأهدافها التي ترمي إلى إعادة اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة يهودية خالصة).[12]

أ-موقف اليهود من الصهيونية، فقال: (وكثير من اليهود من لا يؤمنون بالصهيونية، ويرونها هزؤا ولعبا، بل يرونها داء وبيلا على اليهود أنفسهم).

ب-وشرح لهم نظرية العرب شرحا وافيا، وأخلاقهم في فلسطين، وقال للرجل الذي احتج قبل ذلك: (قبل هذه الصهيونية الوبيئة وقبل الاحتلال الإنكليزي لفلسطين وحينما كان الأمر للمسلمين فيها هل سمعت يوما أن العرب ذبحوا اليهود في فلسطين؟ قال: اللهم لا. قلت: فاشهد اذن أن الصهيونية لا تستند إلى حراب الاستعمار الإنكليزي هي سبب كل هذه الويلات.)

ج- **اليهود واللغة العربية:** كان أحد الحاضرين من اليهود المستعربين، قد أثار كيف استفاد الصهاينة من اللغة العربية، وهم يطورون بها لغتهم العبرية، واضطروا لتجديد العبرية البائدة، واقتبسوا الكثير من المعاني من اللغة العربية، من ضوابطها وتراكيبها وكلماتها وبدأوا في "عبرنتها" ومما قاله: (وندخلها في معجمنا الجديد، حتى أخذت العبرانية الجديدة تترعرع وتنمو، وهذا سهل ميسور علينا، فقد أخذنا مثلا كلمة " رسم " العربية و "عبرناها" فقلنا فيها "ربشيم" ، وهكذا...) .[13] وكان يظن أن فعلهم هذا شرف لهم، وخدمة للعربية، ولكن الزاهري رد عليه ردا مفحما، وقال: (وكان يحدثني بهذا الحديث وهو كأنه يمن علينا بعملهم هذا فقلت له: " وتلك نعمة تمنها علي؟ أليس معنى هذا أنكم تنشئون لغتكم أو توسعونها على حساب لغتنا؟ قال: نعم. قلت له: " ويحكم أيها الصهيونيون أما كفاكم أنكم استعمرتم بلادنا "فلسطين" وجعلتم لكم منها وطنا قوميا على حسابنا، حتى جئتم اليوم تستعمرون لغتنا) إهـ [14]

الخاتمة

إن فترة الثلاثينات، كانت فترة ساخنة في فلسطين، وقعت فيها ثورات كبيرة، ولكن وجود الانتداب البريطاني، مكن اليهود، وحينها تفطن العرب لحجم المعركة، وعلموا أن المخطط يستهدف إقامة الوطن القومي في بلادهم فلسطين، وحينها في بداية الثلاثينيات، كتب الزاهري هذا المقال، والذي كانت مناسبته مناقشة جرت بينه وبين اليهود في الجزائر، وكان حوارا هادئا، ولكنه وضع الأمور في نصابها، وتمكن الزاهري بوعيه وثقافته من إفحام المحاورين، وانتصر للإسلام والمسلمين، مما يجعل الجزائر تفتخر بأمثاله في تلك الظروف العصيبة التي كانت الجزائر – في حد ذاتها – تحت الاستعمار الفرنسي، ولم يمنعه ذلك أن يعتبر قضية فلسطين ومعاداته للصهاينة واجب وطني يمليه عليه دينه وعقيدته

الصادقة، ولم يخف لومة لائم من محاوريه، ويمكن استخلاص النتائج الهامة فيما يلي:

-أظهر المقال تباكي اليهود عن أنفسهم واضطهادهم من شعوب الأرض، وإبراز حالهم دوما في جانب الضحية التي تدعو إلى الشفقة. واستغلال مواسمهم وأعيادهم للتعبير عن ذلك، حتى تبقى قضيتهم حية، وهذا سر بقائهم على هذا الحال.

-اعتراف اليهود بتسامح الإسلام معهم، ومكانتهم في ظل الحكم العثماني في الجزائر، ورعايتهم مما جعلهم يتحكمون في التجارة، والتي كانت سببا في الاحتلال، وهذا لما وصلوا إليه من احتلال المواقع والمناصب الهامة، والتحكم في الاقتصاد المبني على التجارة.

-ادعاء اليهود أنهم تعرضوا للذبح في فلسطين عام 1929، وهو محض افتراء، تمكن الزاهري من تفنيده، مفرقا بين الصهيونية المحتلة لفلسطين وبين اليهود المسالمين في بقية أنحاء العالم، ما لم يظهر عنهم التواطؤ، وأغلبهم في حقيقة الأمر مساندون لوطنهم القومي في أرض الميعاد.

-اعتداء اليهود كان له رد فعل من العرب، وصاحب الحق لا يلام عندما يطالب بحقه، والمظلوم لا يستنكر عليه الدفاع عن نفسه واسترداد حقوقه، وعرب فلسطين اغتصبت أرضهم من الصهيونية، التي لا تستحق إلا القتل والذبح وفي حقها قليل.

-الاحتلال في طابعه السياسي والعسكري في فلسطين، قد لازمه احتلال ثقافي، ولغوي، عندما توسع اليهود الصهاينة في اللغة العربية، وحاولوا بناء لغة هجينة، حتى تكون رمزا لكيانهم المزعوم، وهو إلى زوال لا محالة. بينما تبقى اللغة العربية سيدة بين لغات العالم لا يضرها من حاربها أو شوه صورتها، لأنها في رعاية الله، ويظللها القرآن بآياته التي حفظها الله إلى أبد الدهر، وجعلها لغة أهل جنات النعيم.

الهوامش والاحالات:

1-محمد الحسن فضلاء، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2000، ج1، ص ص 115-117.

2- محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، مج 1، ص ص 404-405.

3- محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 218.

4- محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية** ، ج1، ص ص 408-410.

5- محمد السعيد الزاهري، " بين العرب واليهود الصهيونيون يستعمرون لغتنا أيضا" : **جريدة السنة المحمدية**، العدد الثالث، الاثنين 24 افريل 1933، ، ص .04

6- محمد السعيد الزاهري، نفسه ، ص .04

7- نفسه ، ص .04

8- محمد السعيد الزاهري، نفسه ، ص ص 04-.05

9- محمد السعيد الزاهري، نفسه ، ص ص 05-.06

10- عبد الله التل، **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، المكتب الإسلامي، ط3، بيروت، 1979، ص .267

11- جمال عبد الهادي، وفاء محمد رفعت، **الطريق إلى بيت المقدس - القضية الفلسطينية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، القاهرة، 2001، ص .228

12- عبد الله التل، المرجع السابق، ص .171

13- محمد السعيد الزاهري، المقال السابق ، ص .06

14- محمد السعيد الزاهري، نفسه ، ص 06.

مالك بن نبي والقضية الفلسطينية

البحث عن جذور النكبة .. وتلمس لطريق الخلاص

د/ محمد العيد قدع – جامعة الوادي

مقدمة

عرفت الجزائر بعلمائها، بل بمفكريها الأفذاذ، والذين بلغ صيتهم الآفاق، ولو بعد حين، ومنهم من كافح الظلم والاستبداد، وتفتق ذهنه عن أفكار نبيلة، وقواعد ذات طابع فكري عميق، وناصر قضية الأمة، ودرسها، ودافع عن مقوماتها، ولا سيما قضية المسلمين المركزية (فلسطين). وأهمهم في القرون الماضية، مفخرة الجزائر، الأستاذ المفكر مالك بن نبي، والذي كانت مواقفه من قضية فلسطين، جديرة بالتمعن والدراسة.

1-نبذة عن حياة مالك بن نبي:

هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي، أحد أعلام الفكر الإسلامي المعدودين على مر تاريخه، ولد في 5 ذي القعدة 1323 هـ الموافق لـ غرة جانفي عام 1905م بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، ونشأ في أسرة محافظة. كان والده الحاج عمر موظفا بالقضاء الإسلامي وبحكم وظيفته تمّ تحويله إلى مدينة تبسة، وبها بدأ مالك يتابع دراسته بالكتّاب، كما تابع دراسته الابتدائية بالمدرسة الفرنسية، وبعد أن نال الشهادة الابتدائية متفوقا على أقرانه، سافر لقسنطينة لإتمام تعليمه، وقد حرص أبوه على توسيع مداركه وثقافته، فسافر للدراسة في قسنطينة، وحينها التقى بالشيخ عبد الحميد ابن باديس حيث تلقى على يديه الثقافة العربية الإسلامية في الجامع الكبير، وفي نفس الوقت اطلع على الثقافة الغربية على يد "مارتان" أنداك، فجعلته الثقافة المزدوجة يعيش عصره متمسكا بدينه، ثائرا على التقاليد الموروثة من عصر الانحطاط، كما أن اطلاعه عن كثب، جعله منبهرا لما وصل إليه الغرب من تقدم وازدهار، متألما لما آل إليه المسلمون من تخلف وتقهقر.

بعد أن أنهى دراسته 1925، سافر مع أحد أصدقائه إلى فرنسا، حيث كانت له تجربة فاشلة، عاد إثرها إلى مسقط رأسه، حيث بدأ رحلة البحث عن وظيفة، فعمل في محكمة آفلو حيث وصلها في مارس 1927م، احتك أثناء هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب،

فبدأ عقله يتفتح على حالة بلاده، وقد استقال من منصبه القضائي سنة 1928 إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة المدنية.

لقد سافر مجددا إلى فرنسا في رحلة علمية سنة 1930م ، حيث حاول أولا الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، فلم يفلح في ذلك لأن سلطات الاحتلال كانت تحظر على الجزائريين مزاولة مثل هذه الدراسات، فتركت هذه الممارسات تأثيرا كبيرا في نفسه. فاضطّر لتعديل هدفه، فالتحق بمدرسة (اللاسلكي) وتخرج منها مساعد مهندس، فكان تعلمه فيها تقنياً صرفاً. وبالموازاة مع ذلك انغمس في دراسة الحياة الفكرية بصفة عصامية.

اختار مالك بن نبي الإقامة في فرنسا وتزوج من فرنسية تدعى بوليت بن نبي، وبعد مدة شرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي، فأصدر كتابه الظاهرة القرآنية عام 1946 ثم شروط النهضة في 1948 باللغة الفرنسية، وقد ترجم إلى اللغة العربية عام 1960، حيث أضاف له المؤلف فصلين، وفي هذا الكتاب طرح بن نبي نظرية القابلية للاستعمار، وفي عام 1954 ألف وجهة العالم الإسلامي. أما كتابه مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي فيعتبر من أهم ما كتب بالعربية في القرن العشرين.

وبعد إعلان الثورة المسلحة في الجزائر عام 1954م انتقل إلى القاهرة، تاركا وراءه زوجته التي رفضت مرافقته من فرنسا إلى مصر، ولم يعد إليها إلا في 1971، وقد حظي بمصر باحترام كبير، وعين مستشارا بمنظمة التعاون الإسلامي، حيث سمح له هذا المنصب بمواصلة الكتابة الفكرية وإرسال المال ليعول زوجته في فرنسا.

واستغل مالك بن نبي إقامته بالمشرق العربي، فطوّر رصيده في اللغة العربية، وراجع كل كتبه المترجمة للغة العربية، وشرع بالكتابة وإلقاء المحاضرات باللغة العربية، كما زار سوريا ولبنان، وألقى فيهما محاضرات، وقد طبع العديد منها في كتاب بعنوان مجالس دمشق، وألّف كتابه فكرة الإفريقية الآسيوية 1956، وتوالت أعماله الجادة.

وإثر استقلال الجزائر 1962 عاد إلى أرض الوطن عام 1963، وفي العام الموالي تمّ تعيينه مديراً للتعليم العالي، الذي كان محصوراً في جامعة الجزائر المركزية، فتابع إلقاء المحاضرات والتأليف، فصدر له آفاق جزائرية (Perspectives algériennes) والجزء الأول من مذكراته، التي اختار لها عنوانا مميزا ينم عن فكر ثاقب، فكانت "مذكرات شاهد

القرن".

ولكنه استقال من منصبه سنة 1967 ، ليتفرغ كلياً للعمل الفكري والتوجيهي والدعوي الإسلامي، فساهم بمقالات في الصحافة الجزائرية خصوصًا في مجلة الثورة الإفريقية "Révolution Africaine" التي شارك فيها إلى سنة 1968 بمقالات في صميم تصوراته حول إشكالات الثقافة والحضارة ومشروع المجتمع، وقد جمعت هذه المقالات كلها في كتاب بعد وفاته.

توفي أستاذنا ومفكرنا في الجزائر في 04 شوال 1393هـ الموافق لـ 31 أكتوبر 1973، بسبب نزف دماغي، ودفن بمقبرة سيدي امحمد بوقبرين بالجزائر العاصمة، أنزل الله عليه شآبيب رحمته وعزائم مغفرته.

2-مؤلفات مالك بن نبي:

خلف المفكر مالك بن نبي ثروة فكرية تحت عنوان "مشكلات الحضارة"، بدأها بباريس ثم تتابعت حلقاتها في مصر فالجزائر، وهي:

- الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956.
- الظاهرة القرآنية 1946.
- شروط النهضة صدر بالفرنسية في 1948م وبالعربية في1957.
- وجهة العالم الإسلامي 1954.
- الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956.
- النجدة...الشعب الجزائري يباد 1957.
- فكرة كومنولث إسلامي 1958.
- مشكلة الثقافة 1959.
- الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة 1959.
- حديث في البناء الجديد 1960 (ألحق بكتاب تأملات).
- تأملات 1961.
- في مهبِّ المعركة 1962.
- آفاق جزائرية 1964.
- القضايا الكبرى.

- مذكرات شاهد للقرن _الطفل 1965.
- إنتاج المستشرقين 1968.
- الإسلام والديمقراطية 1968.
- مذكرات شاهد للقرن _الطالب 1970.
- معنى المرحلة 1970.
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1970.
- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين (محاضرة ألقيت في 1972).
- بين الرشاد والتيه 1972.
- المسلم في عالم الاقتصاد 1972.
- من أجل التغيير.
- ميلاد مجتمع.

وبين سنتي 1968-1973 أوصى مالك بعض المقربين من طلبته المواظبين على حلقاته ببيته، ومن من كان يشتغل بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، بتنظيم ملتقيات لتوعية الأجيال الصاعدة، وفي خضم الصراعات الفكرية والمذهبية بالجامعة، حث على فتح مسجد بالجامعة المركزية، ولو كان ذلك بمقدار متر مربع واحد. وقد طُبعت العديد من الكتب عن حياته وفكره، من قبل المهتمين بالنهضة والإصلاح، من أهمها كتب تلميذه المفكر اللبناني والوزير ونائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في لبنان **عمر كامل مسقاوي**، الذي ترجم بعض أعماله إلى العربية، والوصي على نشر كتبه.

3-أسباب نكبات المسلمين ومنها ضياع فلسطين:

يقول مالك بن نبي: إن المجتمع لا يولد ولادة فعلية إلا بالتخلص من عالم الأشياء والأشخاص إلى عالم الأفكار، وهذا دون شك يصطدم مع الأصنام المشرعة في كل زوايا العالم الإسلامي، وفي هذا يشبه بن نبي المجتمع بالطفل فكما أن الطفل ينتقل في العادة بين ثلاثة عوالم طبقاً عن طبق، فهو في البدء لا يفرق بين حلمة الرضاعة وثدي أمه، ثم ينتقل إلى عالم الأشخاص فيعرف أمه من أبيه، ثم يودع في النهاية المجسمات إلى المجردات، فكذلك يحصل في المجتمعات التي تنتقل من عبادة الأشخاص إلى تثمين الأفكار، وبمقدار تحرر المجتمع من عبادة الأشخاص إلى عالم الأفكار بقدر نضجها، وإلا كانت في المهد صبياً.

والتوصيف السابق كان الكلمة الصادمة الموجعة التي قالها الرجل في وصفه القيادة البعثية السورية وهي تستغيث العالم إبان **كارثة 1967**، ومنها إعلان سقوط الجولان قبل سقوطه فعلا؟ فتصرفت كما يتصرف الطفل وهو يواجه المشاكل بالصراخ والبكاء، ورفس الرجل على الأرض. وحينها تكلم بن نبي عن مائدة مستديرة عقدت في فرنسا لفهم أبعاد الكارثة، فبدا العالم العربي مثل فئران التجارب، وقال يومها إن أزمة 05 جوان 67 لم تكن هزيمة عسكرية، بل أزمة حضارية فكرية، ورغم ذلك فكتبه التي زادت على عشرين باللغة العربية، ناهيك عن غيرها باللسان الفرنسي، لم توقظ العرب بأكثر من مواء قطة في ليل بهيم لنائم أخذ من التعب فغط في سبات عميق.

وقبل أزمة 67 كانت النكبة الأكبر **بضياع فلسطين**، التي كانت شغل العرب الشاغل، مفجوعون لما ألمّ بهم، وهم في خضم البحث عن حلّ منقذ، وظنهم أن الأمر عبارة عن هزيمة عسكرية وسياسية، نتيجة لتواطؤ القوى الكبرى مع اليهود، لكن بن نبي بفكره الثاقب بين لهم أن الكارثة الفلسطينية، ليست مشكلة نتيجة مستجدات حادثة طارئة، بل هي مشكلة جانبية وعرضية ومنطقية نتيجة لمرض أكبر وهو "القابلية للاستعمار"، التي هي مرض ثقافي أكثر منه سياسيا، نشأ تحت أساطين الجوامع وكراسي الجامعات في دمشق وبغداد والقيروان وفاس، قبل حضور أي جندي غربي، وحين لم تستعمر اليمن فمرد ذلك للصدفة، ومن تحرر مثل سوريا، فمرده للظروف السياسية، ولعل استقلال ليبيا خير دليل على قول الرجل.

وحتى هذا التحرر فهو شكلي حسب المفكر بن نبي، فالتحرر الفعلي لم يأت بعد، إذ يجب أن يكون بعملية انفصال عن رحم الآباء، كما ينفصل الجنين عن مشيمة الأم، وإذا فهو نازف ومؤلم، وهو أمر لم يحصل بعد، بفعل تعسر مخاض الدخول إلى المعاصرة، لأن عقول المسلمين مستعمرة، وهو ما أدى نحو حالة من الاضمحلال الأخلاقي والنفسي، وهذا الشلل الأخلاقي أسفر عن الشلل الفكري، فكان حال العرب مثل الذبابة التي تطن في زجاجة فارغة دون الاهتداء إلى العنق.

ومما سبق من آراء وأفكار بن نبي نستشف كم هي صادمة موجعة وفي نفس الآن عبقرية مدهشة، وبذلك خسر جمهوره من الثوريين والقوميين وحتى أغلب أصحاب التيارات الإسلامية، حين قال إن مؤشر نهضة الأمة هو كثرة الحديث عن القابلية للاستعمار أكثر من الاستعمار، مما دفع جودت سعيد الذي تابع نهجه في سوريا إلى القول:

"إن مالك بن نبي صدمني حين تكلم عن القابلية للاستعمار، لأنني كنت لا أسمع ولا أقرأ إلا إدانة الاستعمار والصليبية والماسونية والصهيونية.... الخ"،. فكل متكلم في العالم الإسلامي إلا وتناول خبث الأعداء وتخطيطهم، فأوعز أغلب أسباب الهزيمة إلى عوامل خارجية، لا حيلة لنا فيها، بل وصل الأمر بوصفهم كل من تكلم عن دورنا في أسباب هزيمتنا بأنه في صف الأعداء.

وفي العالم الإسلامي ركّز مالك بن نبي على مصطلح "رجال ما بعد الموحدين" الأجوف، حيث المجتمع يخنق الطموح بسبب غلق باب الاجتهاد والابداع والفكر، فأصبح يتخبط دون الاهتداء إلى المخرج، الأمر الذي ولد عنده عقدة، حيث أصبح يرى الكل يتقدم ويتطور، وهو يراوح مكانه بل ويرجع القهقري أحيانا، فأصبح يحس بالدونية التي تكرست بتوالي النكسات والنكبات.

وإذا كانت العلاقات الدولية إبان القرن 19م استندت إلى قوة الدولة، من حيث عدد مصانعها ومدافعها وأساطيلها واحتياطاتها من الذهب، فإن القرن 20م قدم تطورا جديدا تمّ فيه تقدير الأفكار، لكن هذا التطور لم يظهر بشدة في العديد من البلدان الناميَّة، بسبب عقدة الدونيَّة التي خلقت افتتانا مشوها مع معايير القوة التي تستند إلى أشياء مادية، ونتيجة لهذا الدونية فالإنسان المسلم "ما بعد الموحدين" الذي يعيش في البلدان النامية عادة ما يشعر بأنه أدنى من الأشخاص الذين يعيشون في الدول المتقدمة. وتكرست هذه الدونية بتقييم مجال الأشياء، وهذا نتيجة نقص الأسلحة والطائرات والبنوك... وبالتالي، فإن عقدة الدونية بناء على الفعالية الاجتماعية كمقياس، ستؤدي إلى التشاؤم على المستوى النفسي.

وما تعانيه الدول الإسلامية والمجتمع الإسلامي ليس بسبب الإسلام، ولكن لأن المسلمين وحكامهم تخلوا عن الفهم الحقيقي لما هي عليه قيم الإسلام، وظهر جليا -بعد الهزائم المتوالية- أن المسالة تتعلق بتجديد الأفكار بدلا من تكديس الأسلحة والذخيرة.

ولبداية النهوض يحتاج المسلمون إلى أن يعزو هذا التخلف إلى مستوى الأفكار، وليس إلى الأشياء، لتطوير عالم جديد يعتمد بشكل متزايد على المعايير الفكريَّة، وهذه المعايير يجب أن تواكب الجديد، بدلا من الرجوع إلى كل القديم، كمن ينقب عن الكنوز السابقة، ويبقى حبيسها، كما يحدث عند بعض المسلمين اليوم، حتى غدا المسلمون اليوم في حالة من الفوضى. على حد تعبير بن نبي.

ورغم أن ما تمّ تحقيقه في ذروة الحضارة الإسلامية لا يمكن التغاضي عنه كله، فإن ما هو أكثر أهمية في الوقت الراهن هو أن نكون قادرين على استيعاب تقدير القيم السياسية وثقافة النماذج والأنظمة المنفذة من قبل الأنبياء السابقين وإعادة تفسيرها وتطبيقها في مجتمعنا المعاصر. فديناميكية الإسلام تقتضي على المسلمين إثراء المجتمع.

ومما نظّر مالك بن نبي مقولته: "أن الاقتصاد ليس قضية بنك وتشييد مصانع فحسب.. بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات". لذلك كانت مؤلفاته تهتم بالإنسان، وهي دون شك خارطة طريق، تؤسس لنهضة وحضارة الأمم في كل زمان ومكان، ومالك وإن تجاهله قومه، فقد استوعبت الدول الإسلامية في شرق آسيا ما يعنيه الرجل وعملت على الاستفادة منه، فكانت التجربة الماليزية أو الإندونيسية وهناك يتداول اسم مالك بن نبي كأب روحي لها.

-نهاية المطاف:

- طريقة مالك بن نبي فيما يكتب لا تقتصر على سرد الأحداث، لكنها تقوم على التحليل العميق، مستعينا بثقافته الكبيرة، وسعة اطلاعه لمراحل التاريخ، وسير المدنية وتطورها.
- ومما يتلمس تحلى مالك ابن نبي بثقافة منهجية، استطاع بواسطتها أن يضع يده على أهم قضايا العالم المتخلِف.
- يرى المفكر بن نبي أن مشكل العالم المتخلف يكمن في الجبهة الداخلية، أكثر منه مؤثرات خارجية عنه.
- إن الأزمة الفكرية التي تعانيها الدول المتخلفة ومنها العالم الإسلامي، هي التي جعلته يتخبط دون أن يجد المخرج، الذي يبحث عنه في عالم المحسوسات، دون أن يضع يده على المكان الصحيح للجرح.
- ومما يبقي العالم الإسلام يرزح في دائرة التبعية للقوى العظمى، هو قابلية أفراده للاستعمار، وإن زعموا أنهم يحاربونه.
- إن إنسان ما بعد الموحدين الذي دأب على العيش بنمطية أبلاها الزمن، بعد أن أوصد باب الاجتهاد والإبداع، فنتج عنه مجتمع يقتل الإبداع والنجاح.
- المؤكد أن نهضة الأمم وبناء حضارتها لا يقتصر على التنظير، بل يتعداه إلى التطبيق على أرض الواقع، لكن البداية -ولا ريب- هي الفكر، وفي فكر مالك بن نبي موسوعة مجانية

لبناء دولة متقدمة وصناعة النموذج الأمثل للمجتمع.

المصادروالمراجع:

1-مالك بن نبي: **وجهة العالم الإسلامي** بجزئيه، ترجمة: عبد الصبور شاهين.

2-مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين.

3-عمر كامل مسقاوي: مقالات متعددة.

4-نور الدين بوكروح: **فكرمالك بن نبي**، ترجمة: عبد الحميد بن حسان، المجلة الإلكترونية: الجزائر اليوم.

5-محمد الفرحان: **حضورالفلسفة الغربية في الفكرالعربي المعاصر-مالك بن نبي أنموذجاً**، أوراق فلسفية جديدة / المجلد الثاني / العدد الثالث / صيف 2011

6-صفحة مالك بن نبي على موقع أبجد.

7-مالك بن نبي.. فكر جزائري استطاعت العديد من الدول أن تصنع به نهضتها وحضارتها، مقطع فيديو عبر يوتيوب.

مواقف النّخبة الجزائرية من الأساليب الصهيونية المطبّقة على الفلسطينيين 1990-2000

- الشيخ محفوظ نحناح أنموذج -

د/ فاتح باهي - جامعة الوادي

مقدمة

إن قضية فلسطين هي الصراع التاريخي والسياسي، والمشكلة الإنسانية في أرض فلسطين منذ مطلع القرن 20م، وحتى يومنا هذا، كما تعتبر قضية فلسطين جزءاً جوهرياً من النزاع العربي الإسرائيلي الذي نتج بنشوء الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، واحتلال الأرض المباركة، واغتصاب المسجد الأقصى المبارك.

ومنذ ذلك الوقت لاقت تعاطفا ودعما ومساندة منقطعة النظير، من طرف العرب والمسلمين وكلّ أحرار العالم، غير أنّ مساندة العرب والمسلمين كانت متميّزة، لعدّة أسباب، منها أنّ المسلمين مسؤولون عمّا يقع في أرض فلسطين، ومطالبون ببذل كل الجهد والوسائل لتحرير الأقصى وإرجاع الحق إلى أهله، وتوالت أشكال الدعم والمساندة منذ نشوء هذه المشكلة، من جميع الدول العربية والإسلامية، سواء من الجهات الرسمية أو من الجهات الشعبية.

واشتهر عبر التاريخ القريب للقضية مجموعة من الهيئات والجمعيات والشخصيات، التي ساندت ودعّمت الفلسطينيين للوقوف في السياسات الصهيونية الرامية إلى خلق واقع جديد في أرض فلسطين، وتكريس الاحتلال والاستيطان، وطمس الهوية العربية الإسلامية وتزييف التاريخ، ولم يكن الشعب الجزائري بِدعاً من الشعوب العربية الإسلامية، التي ساندت ومدّت يد العون للفلسطينيين عبر مختلف مراحل الصّراع الفلسطيني الصهيوني، ومنذ قيام الكيان الغاصب على أرض فلسطين المباركة في أربعينيات القرن الماضي لم يدّخر الجزائريون جهدا في سبيل الوقوف في وجه السياسات الصهيونية التي مسّت أغلب مدن فلسطين، رغم أوضاع الجزائريين في فترة الاستعمار الفرنسي.

ومن الشخصيات الجزائرية التي جعلت قضية فلسطين في مقدمة اهتماماتها، وكانت له مواقف مشرفة، سجّلها التاريخ، ورفعت من قدره لدى الفلسطينيين قبل الجزائريين، الشيخ

الداعية محفوظ نحناح، فما هي أهم مواقفه تجاه السياسات الصهيونية المختلفة المطبّقة على الفلسطينيين، وكيف استخدم محاضراته وخطبه وقلمه لفضح هذه السياسات، والتعريف بقضية فلسطين، وحث الشباب على العمل لنصرة الأقصى وفلسطين؟

سنحاول في هذه الدراسة التعرّف على هذه الشخصية الفذّة التي قدّمت الكثير لفلسطين، ونذكر بعض مواقفه الكثيرة جدّاً، المتعلّقة بما يقع على أرض الرباط من انتهاكات وظلم وقهر واحتلال متغطرس، في ظلّ الصمت الدولي المفضوح.

أولا: التعريف بالشيخ:

ولد الشيخ محفوظ بن محمد نحناح يوم 1942/1/12م، وكان مولده أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت التحولات السياسية والفكرية في الجزائر تتحدث عن مرحلة ما بعد الاستعمار ببداية اندحار فرنسا المستعمرة أمام دول المحور وانكشاف عورة الاستعمار الفرنسي وبداية العد التنازلي لفكرة الاستعمار الاستيطاني. وكان مولده بمدينة (البليدة) في الجزائر، وسط عائلة محافظة، ونشأ في أحضان القرآن الكريم، واللغة العربية، ودرس في المدرسة الإصلاحية، التي أنشأتها الحركة الوطنية، للدفاع عن الذات العربية الإسلامية، رمز المقاومة والدفاع عن الذات العربية الإسلامية للجزائر من الانسلاخ والتغريب.

وأكمل مراحل التعليم الابتدائي والثانوي،[1] وحصل على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) والتحق بالجامعة في الموسم الجامعي 1967/1966، ودرس نحناح في معهد اللغة والآداب وحصل عام 1970 على الليسانس (البكالوريوس) في اللغة العربية، وسجل في جامعة القاهرة قسم الدراسات العليا. [2] وفي فترة دراسته الجامعية بالجزائر، ساهم مع إخوانه في فتح مسجد الطلبة، وكان أول من خطب الجمعة بالمسجد المذكور. وساهم مع إخوانه محمد بوسليماني ومحمد بومهدي سنة 1962م في ثورة التحرير الجزائرية وهو في ريعان الشباب، كان عمره 20 عامًا[3].

لقد مارس مهنة التعليم في مدرسة الإرشاد بالبليدة في الفترة من 1958 إلى 1962م، وانتقل بعد الاستقلال إلى المدرسة الرسمية الجزائرية، وبالضبط إلى مدرسة ابن بولعيد الابتدائية، ودخل سنة 1968 الجامعة الجزائرية بتلخيصه لكتاب عنتر بن شداد[4].

بدأ الشيخ نشاطه الدعوي سنة 1963م بمسجد ابن سعدون بالبليدة، بحضور الشيخ توفيق المدني أحد أعلام جمعية العلماء، والشيخ المقرئ المصري المشهور: عبد

الباسط عبد الصمد. وعندما منعت جمعية العلماء من النشاط، قام الشيخ الهاشمي التيجاني بتأسيس جمعية القيم سنة 1963م، وكان من رموزها الشيخ عبد اللطيف سلطاني والشيخ عمر العرباوي والشيخ أحمد سحنون –عليهم رحمة الله جميعا[5].

رفع الشيخ راية الإسلام فوق كل الرايات، واعتبر الإسلام القائم على العدل والتسامح والوسطية، والأخوة والحب هو إسمنت وحدة الأمة وتماسكها، وسبب عزتها وسيادتها، وإكسير سعادتها وهنائها، والجدار المنيع ضد أي تحرّش أو اعتداء مادي أو أدبي ضد الشعب ومصالحه، أو الدولة واستقرارها، فكان شعار الإسلام هو الحل[6] . كما عمِل أستاذًا ومحاضرًا بجامعة الجزائر في مادتي التفسير والسيرة النبوية، واجتهد في تأطير الصحوة الإسلامية بالجزائر، وإعادة بناء الجماعة ببُعدها وانتشارها الوطني، وقد جمع بين العمل الشعبي الجماهيري والتركيز النخبوي[7].

وبعد هذا النشاط الوافر، أصابه المرض الخطير أكثر من سنة، ولكنه كان صابراً لا يشكو، وقد ذهب إلى فرنسا للعلاج، وبعد ثلاثة أشهر عاد إلى وطنه لتقرير الأطباء استحالة العلاج، فكانت وفاته بين أهله وإخوانه الذين يحبهم، ويحبونه يوم 2003/6/19م، عن عمر ناهز الحادية والستين. ونقل إلى مثواه الأخير بمقبرة العالية، حيث ووري جثمانه الطاهر في المربع المقابل لمربع الشهداء وذلك يوم الجمعة 20 جوان 2003م، وشيعه أكثر من مئة ألف جزائري[8] .

ثانيا: مو اقفه من السياسات الصهيونية تُجاه الفلسطينيين:

كانت قضية فلسطين لدى الشيخ محفوظ نحناح، قضية مركزية محورية للأمة جمعاء، ولم يدّخر جهداً للدفاع عنها، بشتّى الوسائل الممكنة. وكان كثير الدفاع عنها، حيث عرّف بها في مناسبات عديدة وأماكن مختلفة، داخل الوطن وخارجه، وكان يهتمّ لما يحصل من أحداث وحوادث في تلك البلاد المباركة، وكانت مواقفه صلبة قوية تجاه القضية، ويعود ذلك إلى: تأثره بمدرستي الإصلاح والاستقلال اللّتين كان لهما مواقف صارمة ومساهمات كبيرة لصالح القضية الفلسطينية، فقد تأثّر كثيرا بالشيخ محفوظي[9]، والشيخ خير الدين[10] ، وشارك في الثورة التحريرية، فكان حبه للمجاهدين كبير، لا يحب المساس بهم، ويتغاضى عن أخطائهم بعد الاستقلال، بسبب بلائهم لتحرير الوطن[11].

كان مفهوم الشيخ محفوظ لأبعاد القضية يستوجب الربط دوما بين البلدين الجزائر وفلسطين، باعتبارهما وطن واحد ما يصيب أحدهما يصيب الآخر، فمهما كانت الجهود

التي نبذلها لتنمية وطننا وإصلاحه في مختلف الجوانب فلن تبلغ المدى المرتجى إلا بتحرير فلسطين، وإنّ كل جهد نبذله لمناصرة القضية الفلسطينية هو جهد في مركز الاهتمام وليس على هامشه، بل لا بدّ للقضية الفلسطينية أن تكون حاضرة في المناهج التربوية والبرامج العملية بشكل دائم على مستوى مختلف الشرائح الشبابية والطلابية والنسوية والعمالية وغيرها، وفي مختلف الأنشطة الدعوية والسياسية والإعلامية والفكرية والثقافية والاجتماعية، وفي العلاقات الداخلية والخارجية، وقد ساهم الشيخ محفوظ نحناح كثيراً في محاضراته ودروسه عبر السنين في الحثّ على دعم القضية الفلسطينية، ومن العبارات المحفوظة عنه في هذا الموضوع: (فلسطين قضية عقيدة ودين وليست قضية تراب وطين)[12].

وممّا يروى عنه في حبّه لفلسطين والأقصى: أنّ الشيخ نحناح كلّما ذهب إلى الأردن، طلب من أصدقائه أن يتوجّهوا به إلى أقرب مكان، يرى من خلاله ملامح القدس ومعالم الأقصى، حتّى أنه عندما زار الجنوب اللبناني، وقف عند حدود لبنان مع فلسطين، وأزاح الأسلاك الشائكة، ليقدّم رجله إلى الأرض الفلسطينية، وهو بعزيمة المجاهد يوقّع عهد التحرير، على حدّ تعبيره.[13] وعُرف عن الشيخ محفوظ حبّ فلسطين، والاهتمام بقضية القدس التي يعتبرها عمق الجرح العربي والإسلامي، واشتهر على لسانه وصفه إياها بفلسطين الشاهدة على الناس، حتى لا تكاد تخلو منه خطبة من خطبه.[14]

وأذكر أن أحد الشباب الفلسطينيين قال لي يومًا: بأنه لم يسمع أحدًا من الدعاة غير الفلسطينيين أو دعاة بلاد الشام يتكلم عن فلسطين كما يتكلم عنها الشيخ محفوظ، وأيضًا بتلك الحرقة والاهتمام الكبيرين.

1-موقفه من سياسة التطبيع[15] مع الصهاينة:

سئل الشيخ محفوظ نحناح عن "التطبيع مع الكيان الصهيوني ودعاته داخل الجزائر وخارجها، وذلك ضمن حوار أجرته مجلة "المجتمع" بعد قانون الوئام الوطني، فكان رده: (مهما يكن من هذا التطبيع فإن شعوراً عربياً وطنياً ينبذه، وما يوجد حالياً في بعض المناطق العربية التي طبَّعت ليس إلا دليل على أن العرب كشعوب ترفض عملية التطبيع، حتى ولو فرضت بقوة القانون).[16]

2-مو اقفه من السلام مع الصهاينة والمفاوضات:

يعتبر الشيخ قضية فلسطين قضية مركزية للعرب والمسلمين، فهي قلب العالم

جغرافيا وقلبه دينيا وحضاريا، وقلب قضيته سياسيا واستراتيجيا، فيجب علينا أن نعي جيّدا أنّ هذه القضية ليست قضية نزاع أو صراع عادي بين دولتين[17] ، لكنها قطعة محورية في لعبة السياسة الدولة المعاصرة، تتداخل فيها مؤشرات الدين ورواسب التاريخ، وتتضارب حولها مصالح سياسية واقتصادية، وأمنية، كان علمنا ووعينا بهذه الحقائق لا يعني بالضرورة الرّضوخ والقبول بواقع الحال، ولا يبرّر بأيّ حال من الأحوال الهرولة نحو سراب السلام الخادع، أيّاً كان شكله أو لونه، وإنّ حقيقة موازين القوى العالمية والإقليمية لا تسمح للعرب بتحقيق كثير من المكاسب على مائدة المفاوضات، هذه مسلمة لا مجال لمناقشتها، لكن ما يجب التنبيه له هو أن كلّ سلام يقفز على المشاكل الرئيسية[18]، هو سلام غير عادل وبالتالي سلام غير دائم.

وموقفه واضح من حلّ القضية عن طريق المفاوضات والتسويات، فحسب رأيه لا يمكن أن يصل إلى تحقيق سلام عادل دائم، في ظلّ حالة الضعف والتشتّت والتمزّق العربي الرّاهن، فالاتفاقات والمعاهدات الناتجة عن أيّ عملية تفاوض ليست في النهاية إلّا تعبير عن الحقائق السياسية والعسكرية القائمة على الأرض، ولا تمثل إلّا انعكاساً لميزان القوى بين الطرفين المتفاوضين، لذلك فإنّ أيّ اتفاق أو حلّ في المرحلة الراهنة لا يمكن أن يكون إلا في صالح إسرائيل باعتبارها الطرف الأقوى.[19]

3-موقفه من دعم الغرب للصهاينة على مستوى التسليح وسياسة الاستيطان:

لطالما دعم الغرب اليهود والصهاينة في فلسطين بشتّى أنواع السلاح، والقوى المادية المختلفة، لخلق واقع جديد يصعب تغييره على المدى المتوسط والمدى البعيد، وهنا يتساءل الشيخ عن هذه المعادلة، ويقول هل فيه إمكانية التعايش بين دولة تملك ترسانة من الأسلحة النووية (مع استمرار رجحان كفّة الميزان العسكري التقليدي لصالحها)، وبين عالم عربي تُدمّر فيه نواة التطوّر العلمي أو التكنولوجي، بدعوات مختلفة، تارة باسم حماية الشرعية الدولية وقرارات المجتمع الدولي، وتارة باسم محاربة الإرهاب الدولي، وتارة أخرى تحت شعار حماية الديمقراطية وحقوق الإنسان.[20]

ثالثا: دعمه للقضية في أغلب محطاته الدّعوية:

لم يفوّت الشيخ مجلساً للكلام، أو ندوةً دعوية أو وعظيه إرشادية، إلّا وتطرّق في معرض حديثه لقضية الأقصى وفلسطين المغصوبة المحتلة من طرف اليهود والصهاينة، وكانت مواقفه صارمة بخصوص الحق الفلسطيني في كل الحالات والظروف، ومع كلّ

الهيئات والمؤسسات والشخصيات الوطنية والعربية والدولية، رغم علمه بالثمن الذي يدفعه سياسيا جرّاء مواقفه، وفي سنة 1993م انعقد مجلس مع سياسيين وأكاديميين أمريكيين في شيكاغو، حيث حضره العديد من زعماء الحركة الإسلامية الذين كانوا لا يريدون مصادمة ضيوفهم، وكان الشيخ محفوظ نحناح آخر المتدخلين، فلمّا تحدّث غيّر مجرى الحديث، ودافع عن الحق الفلسطيني بقوة وصرامة وبلغة عربية، تظافرت جهود المترجمين لإيصال معانيها، وجعلت الحضور كأنّ على رؤوسهم الطير[21] .

وكان للشيخ محفوظ الدور الأساس لبناء الفكر وشحن الأفئدة لدى شباب الإسلام والصحوة لصالح القضية الفلسطينية كقضية مركزية، متّبعا في ذلك نهج الحركة الوطنية في الجزائر بكل أطيافها التي أسست اللجان وأرسلت الرجال للجهاد في فلسطين رغم وجودها تحت الاحتلال، ومتأسّيا بالدعوة الإسلامية في العالم التي لا يخفى على أحد مساهمتها في جبهات القتال في فلسطين وثباتها على نصرة القضية إلى حد صارت هي العدو الأول للكيان يحاربها هو والدول الراعية له والأنظمة العربية المتواطئة. وقد كان الشيخ محفوظ يجتهد كثيرا لعدم مصادمة الأنظمة والقوى الدولية ليوفر البيئة المناسبة لخدمة مشروعه إلا في القضية الفلسطينية فكان صارما لا يتنازل عن أي شيء بخصوصها.[22]

ومن أقواله الخالدة: القضية الفلسطينية ليست بِدعاً على الإنسان الجزائري، في الحركة الوطنية أو في الحركة الإصلاحية، أو في حركة الأحادية الحزبية، أو في حركة التعددية السياسية، ونحن نزعم أنّنا نحمل همّ هذه القضية، بعيدا عن من يقول أنّكم تتكلمون عن فلسطين، وعن القدس وعن الانتفاضة، لأغراض حزبية.. فنحن مع فلسطين في كل الظروف والأحوال إلى أن تتحرّر فلسطين[23].

واستطاع الشيخ نحناح بفضل شبكة العلاقات التي كوّنها على المستوى العربي والإسلامي والدولي، أن ينقل انشغالات المسلمين المقهورين، وخاصة الفلسطينيين، وذلك في مختلف المحافل الرسمية والشعبية، فقد زار في التسعينيات البرلمان الأوربي عدّة مرات، والتقى زعماء من دول ومؤسسات حكومية وغير حكومية، في قارات العالم الخمسة، وكان يغتنم كل فرصة للدفاع عن قضية الأقصى وفلسطين، محاولا إقناع مستمعيه أنّ السلم والأمن الدوليين لا يمكن تحقيقهما إلّا بإرجاع الحقوق إلى أهلها الفلسطينيين.[24]

وعُرف عن الشيخ محفوظ نحناح مشاركة هموم القضية للقادة الفلسطينيين وتقديم النصح لهم، فقد قال يوما للقائد الفلسطيني الراحل ياسر عرفات[25] رحمه الله:

(يا أبا عمار إذا لم تستطع أن تنتصر فلا تنهزم).

ورغم ما مرت به الجزائر من ظروف صعبة؛ فإن فلسطين وقضيتها بقيت في أعماق الشيخ رحمه الله، حتى إنه في آخر وصية له قبل وفاته أوصى بالوقوف إلى جانب (إخواننا في فلسطين).

رابعا: مكانة الشيخ محفوظ لدى الفلسطينيين:

لقد حظي الشيخ محفوظ بمكانة مرموقة، ومنزلة عالية لدى العاملين في حقل الدفاع عن قضية فلسطين والمدافعين عن مقدّسات الأرض المباركة والمسجد الأقصى المبارك، وجاءت هذه المكانة وهذا التقدير بفضل مواقفه المشرّفة ودفاعه المستميت عن قضية فلسطين، قضية المسلمين الأولى.

ونذكر بعض الشهادات لقادة فلسطينيين الذين عرفوا الشيخ ومواقفه الداعمة لفلسطين، ومناوئته لسياسات الصهيونية المطبّقة في أرض فلسطين، ففي الذكرى السابعة عشرة لرحيل الشيخ محفوظ نحناح، أورد خالد مشعل[26] هذه الشهادة: (هكذا العظماء يجمعون الناس في حياتهم، وكذلك يجمعونهم بعد وفاتهم، ويبقى ذكرهم وإرثهم مستمراً عظيماً. التحية لشعب الجزائر، هذا الشعب العظيم، الأصيل في إسلامه وعروبته. هذا الشعب المجاهد، الذي ضرب أروع الأمثال، وتتربع فلسطين على رأس أجنداته، وأصبح نموذجاً يُضرب به في الانتصار الدائم لفلسطين، ظالمة أو مظلومة، ولم تكن فلسطين يوماً إلا مظلومة، وستكون بإذن الله منتصرة ...الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله جمعتني به أيام منذ الثمانينيات حين تعرفت على هذا الرجل الكبير على أرض الكويت العزيزة. عايشته، وحاورته حول فلسطين، والجزائر، والأمّة، وحول السياسة الدولية والإقليمية. وجمعتني به وقامات من الأمة في مطلع التسعينيات، حين كنا نسعى لعقد مؤتمر من أجل القدس، وكان المحرّك لهذا الفريق الشيخ محفوظ نحناح. وتُوّج الأمر في الانتفاضة الثانية عام 2000 ببصمته المعروفة عنه في قضية فلسطين، وقضية الجزائر، وقضايا الأمّة).[27]

أمّا الكاتب الفلسطيني صالح عوض[28] فقال: (أنّ الشيخ محفوظ نحناح هو القائد الإسلامي الوحيد الذي أولى قضية فلسطين أهمية خاصة، ليس فقط على المستوى العاطفي والسياسي، بل على المستوى الفكري، فلقد تميّز من وجهة نظره بوضع رؤية فكرية إستراتيجية للقضية الفلسطينية، تبرزُ تمعّن الشيخ محفوظ في الصراع،

واكتشافه المنظور الحقيقي للمعركة مع العدوّ، في أبعادها الإستراتيجية والسياسية والعربية والإسلامية والإنسانية، ويكشف في ندوة "الشروق"، أنّ آخر وصية للشيخ الراحل كانت فلسطين، لذا فإنّ أول ما يقابلك من فلسطين بعد أن تدخل حدودها مع مصر، هو مسجد جميل أنيق يحمل اسم الشيخ محفوظ نحناح، فقد كان عشقه لفلسطين جنونيا، لا يمكن تفسيره إلا بمعرفة إدراكه للمسألة الفلسطينية.) وفي الختام، قال الكاتب صالح عوض (لقد رافقت الشيخ محفوظ نحناح في كثير من رحلاته وجلساته الخاصة، فعرفت يقينا أنه عاش مجنونا بفلسطين، وعاشقا محبّا، مكافحا لأجلها، فلم يلجأ أبدا للمهادنة والمجاملة أو المناورة عندما يتعلّق موقف بقضية الأمة، رغم أنّ الرجل اشتهر بالقدرة على فنّ التعاطي السياسي في قضايا أخرى قابلة للأخذ والردّ).[29]

الخاتمة

بعد اتمامنا لهذه الدراسة الموجزة خلُصنا إلى النتائج الآتية:

- أن الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله، كان شخصيّة وطنيّة متميّزة، فهو السياسي والداعية، والخطيب.

من خلال نشاطه الداخلي والخارجي، وكان منهجه واجتهاداته في فهم الواقع المعيش محليا وعربيا وإسلاميا، متزنا وواضحا، خاصة إذا تعلق الأمر بالقضية المركزية للأمة الإسلامية، قضية الأقصى وفلسطين.

-رغم صعوبة المعادلة على أرض الواقع الفلسطيني، والسياسات المتعاقبة للحركة الصهيونية، إلّا أنّ له رؤية ثابتة للحل السياسي للقضية، والذي لا يمكن القفز عليه، وهو ثابت متعلّق بحق اللاجئين في العودة.

-جعل من قضية فلسطين والكلام عنها والدفاع والوقوف في وجه أساليب الصهاينة، ضمن اهتماماته الأولى، حتى آخر أيام حياته، وهذا للمكانة الكبيرة والمقدّسة التي تحتلها فلسطين في وجدان الشيخ نحناح، فهو يعتبر أنّ قضية فلسطين قضية عقيدة ودين وليست قضية أرض وطين.

-ربط بين البعد الديني الإسلامي والبعد الوطني والبعد القومي لاعتبار أنّ فلسطين أرض مقدسة من الناحية الدينية، ويجب تفعيل العامل العقدي في الدفاع عن أرض فلسطين والوقوف في وجه المخططات الصهيونية القائمة هي الأخرى ترويج الادعاءات الدينية التوراتية المغلوطة.

- فهمه لسياسة التطبيع انطلق من بيان خطورة التطبيع الثقافي، الذي يؤدّي إلى كسر الحواجز النفسية للإنسان العربي والمسلم، الذي إن لم يفهم خطورة هذا النوع من التطبيع فإنّه سيجد نفسه بصفة تدريجية يقبل أنواع التطبيع الأخرى الاقتصادية والرياضية والسياسية.

ويبقى الشيخ نحناح -رحمة الله عليه- من الشخصيات المحورية في دعم قضية فلسطين، حيث يبقى التاريخ شاهداً على مواقفه الناصعة المشرفة القوية، في أكثر من مناسبة وفي عديد البقاع، وهو الأمر الذي جعل الإخوة الفلسطينيين يعرفون حق الشيخ وحظي لديهم بمكانة خاصة، وذاع اسمه في بلاد فلسطين بلاد الرباط التي أحبّها كثيراً، ودعا إلى تعليم الأجيال هذه القضية، وإعداد العّدة المعرفية والمادية والاستعداد لتحرير الأقصى من اليهود والصهاينة المعتدين.

الهوامش والاحالات:

1-عبد الله العقيل، "الأخ المجاهد محفوظ نحناح "، منشور بتاريخ 01أكتوبر 2020، رابطة أدباء الشام، تاريخ الاطلاع: 23 أفريل 2022 الساعة 20:45. الرابط: http://www.odabasham.net.

2-انظر: مقال محفوظ نحناح: منشور بتاريخ: 2014/11/20م، تاريخ الاطلاع: 2022/4/23، الساعة 0:46. الرابط: https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/11/20.

3- عبد الله العقيل : مقال: الأخ المجاهد محفوظ نحناح ، المرجع السابق.

4- الأخضر رابحي: **نظريات الشيخ محفوظ نحناح في الدعوة والسياسة، التجديد والإبداع**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة الجزائر، 1432ه، 2011م، ص .07

5- ناصر حمدادوش: محطات مضيئة في مسيرة الشيخ محفوظ نحناح عليه رحمة الله، الشروق أون لاين: 2019/07/04م.

6- محفوظ نحناح: الجزائر المنشودة المعادلة المفقودة ..الإسلام ، الوطنية، الديمقراطية،ط1، دار النبأ، الجزائر، 1999، ص ص 250 251 ، متوفر على الرابط:

https://ia600203.us.archive.org/1/items/nahnah-books

7- ناصر حمدادوش: المرجع السابق.

8- عمر العبسو: محفوظ نحناح: التجربة والمسار، منشور بتاريخ 2015/12/3م، رابطة أدباء الشام، تاريخ الاطلاع 2022/4/24 الساعة 23:35. الرابط: http://www.odabasham.net

9-محفوظي هو معلمه في مدرسة الارشاد بالبليدة.

10-محمد خير الدين: 1902-1993) أحد شيوخ جمعية العلماء، واحد ممثلي لثورة التحريرية في المغرب الأقصى.

11- عبد الرزاق مقري: **الجزائر والقضية الفلسطينية، حركة مجتمع السلم نموذجا**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة، الجزائر، 2013م، ص .62

12- مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات: مؤتمر: الإسلاميون في العالم العربي والقضية الفلسطينية في ضوء التغيرات والثورات العربية، المنعقد في بيروت، لبنان، يوم 2012/11/28، انظر: تاريخ الاطلاع:

2022/4/24م، الساعة: 18:38.الرابط:https://www.alzaytouna.net/2012/11/30 .

13- مداخلة صالح عوض: هذه آخر وصايا الشيخ نحناح.. وهذا سبب بكائه، ندوة الشروق، بتاريخ : 2016/6/17م.

14- الفضيل بن السعيد : الشيخ نحناح ودعوة الشباب، مقال منشور في 2003/6/28: تاريخ الاطلاع 2022/4/24 الساعة 23:02الرابط: https://dr-khaled.net/index.php?option=com_conid

15- **التطبيع:** ركن من أركان استمرار المشروع الصهيوني الذي هو نقيض مصالح بلداننا العربية والإسلامية. مهما كانت المرونة التي يقتضيها العمل السياسي ومهما كانت أهمية المصالح التي تسعى إليها السياسة لا بد من وجود مبادئ وغايات عليا وثوابت غير قابلة للتصرف يبنى عليها وجود السياسة ذاتها، ولا بد من وجود قواعد أخلاقية وقانونية تضبط العمل السياسي. حينما تصبح السياسة بلا مبادئ تصبح غابة يأكل فيها القوي الضعيف، ويستسلم فيها الضعيف لجلاده، بلا مقاومة ولا تضحيات، لكي يسمح له بالعيش فحسب ولو مهينا ذليلا.

16- انظر مقال: محفوظ نحناح مدرسة الوسطية والاعتدال والتسامح، إنسان للإعلام، منشور يوم 2021/4/20م.

17- محفوظ نحناح: الجزائر المنشودة المعادلة المفقودة ..الإسلام ، الوطنية، الديمقراطية، ص ص 250 .251

18- تتمحور هذه المشاكل في أربع محاور: -القدس – اللّاجئين-الدولة المستقلة-الأراضي العربية المحتلّة.

19- محفوظ نحناح: الجزائر المنشودة، المرجع السابق.

20- نفسه.

21- عبد الرزاق مقري: المرجع السابق، ص ص 62 63.

22- انظر: عبد الرزاق مقري: القضية الفلسطينية: دعم مستمر حتى التحرير، منشور بتاريخ: 2021/5/20، الرابط: https://hmsalgeria.net/ar/p/12696

23- محاضرة مصوّرة للشيخ محفوظ نحناح، انظر المحاضرة على الرابط:

/https://www.facebook.com/cheikhnahnah/videos

24- عبد الرزاق مقري: الجزائر والقضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص .64

25- يعتبر الرئيس ياسر عرفات من شخصيات الصراع العربي الإسرائيلي المحورية والتي ارتبط اسمها بالقضية الفلسطينية طوال العقود الخمسة الماضية. انظر: مقال: ياسر عرفات، منشور في 2004/10/3، الرابط: https://www.aljazeera.net/2004/10/03

26- خالد مشعل، سياسي فلسطيني، وأحد مؤسسي حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

27- خالد مشعل: "نحناح كان صاحب رؤيا والقائد الجامع" **شؤون فلسطينية**، منشور في 22جوان 2020.

28- كاتب فلسطيني مقيم في الجزائر، رئيس تحرير صحيفة البشير الفلسطينية سابقا، ومدير مركز البشير للدراسات الحضارية.

29- مداخلة صالح عوض: هذه آخر وصايا الشيخ نحناح.. وهذا سبب بكائه، **ندوة الشروق**، بتاريخ: 2016/6/17م.

نشاطات الطيب العقبي الداعمة لقضية فلسطين في ظل الانتداب البريطاني

د/ نور الدين ممي - جامعة الوادي

مقدمة

إن قضية فلسطين هي قضية استيلاب أرض، وتشريد شعب، وتدمير حضارة، وإبادة دين، فهي قضية المسلمين قاطبة، وليست قضية العرب فحسب؛ لأن أرض فلسطين مباركة، فيها المسجد الأقصى مسرى النبي صلى الله عليه وسلم، وأولى القبلتين، وأحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال. ولهذا فقد حرص العلماء والقادة والرجال على الدفاع عنها باعتبارها قضية المسلمين الأولى، وكان من بين أولئك علماء الجزائر الذين تابعوا تطوراتها المختلفة منذ أيامها الأولى، على الرغم من أن الجزائر كانت تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، وما يعيشه أهلها من واقع طبعه الظلم والعدوان والجور.

ومن أعلام الجزائر الذين سخروا أقلامهم، وجندوا أنفسهم للدفاع عن قضية فلسطين، رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين كتبوا وأرشدوا الرأي العام إلى الاهتمام بها، وتعميق صلة الجزائريين بالقدس والمسجد الأقصى، كما نبهوا مبكرا إلى الأطماع الصهيونية، وبينوا مؤامرات تقسيم فلسطين، وساهموا في جمع المساعدات لإعانة فلسطين، فبعد رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس ونائبه الشيخ البشير الإبراهيمي الذين كانت لهما مواقف واضحة تجاه القضية الفلسطينية من خلال كتاباتهم وجهودهم الرامية إلى دعمها، نجد الشيخ الطيب العقبي، الذي أردت من خلال هذه الدراسة الموجزة الوقوف على أبرز نشاطاته الداعمة للقضية الفلسطينية في الفترة التي كانت فيها فلسطين تحت الانتداب البريطاني الحاضن لمشروع إنشاء وطن قومي لليهود بها.

أولا: التعريف بالشيخ الطيب العقبي:

هو الطيب بن إبراهيم بن صالح من قبيلة محمد بن عبد الله التي تعد جزء من قبيلة أولاد عبد الرحمن إحدى قبائل منطقة الأوراس التي استقرت بمنطقة جبل أحمر خدو[1]، أما أمه فهي السيدة باية بنت محمد من أسرة آل خليفة[2] من بلدة "ليانة" إحدى مناطق الزاب الشرقي قرب خنقة سيدي ناجي، سكن بها زوجها مدينة سيدي عقبة وعمرها 15

سنة، فولدت له الطيب وهو الولد البكر وسكينة ثم حمزة، وأخذت العائلة لقب العقبي[3] بعد أن كانت تحمل لقب إبراهيمي[4].

ولد الطيب العقبي في 15 شوال 1307هـ[5] الموافق لـ 15 جانفي 1890م[6]، وتربى وسط عائلة ومتواضعة ورعة وتقية، فورث الابن ثقافة وأخلاقا حميدة، جعلته يذكرها في كل مقام شاكرا الله عليها قائلا: (... أدبني ربي فأحسن تأديبي، لولا فضل الله علي وعنايته بي صغيرا يتيما لما كنت هديت سواء السبيل). هاجر مع عائلته إلى مكة المكرمة بغية تأدية فريضة الحج حسب سنة 1313هـ[7]، وربما كان الدافع إلى الهجرة أيضا هو الهروب من بطش وظلم السياسة الاستعمارية ورفض الخضوع لها، وبعد عام انتقلت الأسرة إلى المدينة المنورة، فنشأ بها وتتلمذ على يد علمائها حيث أخذ عنهم مختلف العلوم الإسلامية التي كانت تدرس بالمسجد النبوي، وهنا قام الشيخ بنشر العديد من المقالات تتعلق مواضيعها بالدين والسياسة، الأمر الذي سبب له مشاكل مع السلطات العثمانية، فقامت بنفيه إلى الأناضول بتركيا عام 1916م[8].

وهو بذلك من الشخصيات التي تلقت تكوينها وثقافتها بالحجاز، والتي برز فيها التأثر الكبير بالحركة والنهضة التي شهدتها تلك البلاد، فقد برع في مجالات عدة متماشية مع ما كانت تعرفه وتحتاجه البلاد الإسلامية إبان تلك الفترة، فبالإضافة إلى العلوم والمعارف التي حصدها على يد الأساتذة الذين درس عليهم، كان الشيخ الطيب بفعل شخصيته الفضولية الطامحة لمعرفة كل جديد، وفهم كل ما يدور حوله لا يستبعد أنه كان من رواد المكتبات التي كانت في المدينة المنورة سواء كانت عامة مثل مكتبة السلطان محمود، ومكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، أو مكتبات تعود للملك الخاص مثل مكتبة آل صافي ومكتبة آل هاشم[9]. وتمكن من خلال فضوله العلمي وتحصيله من تشكل وجهة نظر ورأي حيال كل ما يحدث في المنطقة خاصة أنه نشأ وسط بروز تيارات وحركات مختلفة كالحركة الوهابية[10] والجامعة الإسلامية.

أما عن تأثره بالجامعة الإسلامية التي كانت منبرا لتوحيد المسلمين، وإعادة الاعتبار للدين الإسلامي، وتعمل على تصحيح العقيدة وتحارب البدع والخرافات، وتسعى إلى التخلص من الاحتلال الصليبي الذي جثا على صدر الأمة الإسلامية فظهر جليا من خلال نهله منها ومن الدعاة المنتسبين إليها الذين ربطته به علاقات قوية ذات أهداف سامية، من بينهم شكيب أرسلان (1854-1916) الذي كان من أكبر المهتمين بشؤون الأمة

الإسلامية وكانت له حركة نهضوية واسعة شملت حتى بلدان المغرب العربي[11]. وبخصوص تأثير الحركة الوهابية في الشيخ العقبي فقد بدا جليا في اصطباغه بها في كل تفاصيلها، خاصة في شدة تمسكه بالعقائد الصحيحة في الدين، وحدته ضد الطرقية ورفض مهادنتها، وهناك من الكتاب من وصف لباس الشيخ الذي كان شرقيا بامتياز، كما أن الصبغة الدينة وصلت إلى أن طغت على شعر العقبي، وأبر ما جاء عنه في هذا الصدد قوله:(وإذا كانت الوهابية هي عبادة الله وحده بما شرعه لعباده فهي مذهبنا وديننا وملتنا السمحة وعليها نحيا ونموت ونبعث إن شاء الله من الآمنين، وإن كانت الوهابية شيئا آخرا غير هذا فإننا منها بريئون وعنها مبعدون).[12]

وبعد انفراج الحال واستتاب الأمن بالحجاز عاد العقبي – من منفاه - إلى مكة واستقر بها وعائلته وحضي بالتكريم والإجلال من قبل الشريف حسين، وذلك لمواقفه الجريئة الداعمة للوحدة العربية التي كان ينادي بها الشريف حسين، فكان من شعراء البلاط، وتولى فيما بعد العديد من المسؤوليات حيث يقول عن ذلك: (وما أن وصلت أنا إلى مكة المكرمة حتى لقينا من لدن جلالة الملك حسين كل ما هو أهله من الإكرام والإجلال، وهناك عينت مديرا لجريدة القبلة والمطبعة الأميرية، يجري علي من سبيل إنعامه وإكرامه ما لا أستطيع مجازاته عنه بطول الشكر وعرضه).[13]

ولكن في 4 مارس 1920م عاد العقبي إلى الجزائر، وحل بمدينة بسكرة، واتخذ من مساجد المدينة منبرا يبث منها أفكاره عن النهضة العربية والجامعة والإصلاح الديني والاجتماعي، وأسس في 25 ديسمبر 1925م جريدة صدى الصحراء، وفي سنة 1927م جريدة الإصلاح. كانت طريقة العقبي في الدعوة الإصلاحية شبيهة بطريقة ابن باديس، ففي عام 1932م تم اختياره كعميد للجمعية في العمالة فانطلق في عمله الإصلاحي[14] ، وفي 02 أوت 1936م، عندما اغتيل مفتي مدينة الجزائر الشيخ كحول ألصقت تهمة الاغتيال بالشيخ العقبي، إلا أنه برئ من التهمة في عام 1939م، ليستقيل بعدها من الجمعية، وواصل نشاطه الإصلاحي إلى أن وافته المنية في 21 ماي 1960م، ودفن بالجزائر العاصمة[15].

ثانيا: نشاطات الطيب العقبي لدعم قضية فلسطين:

1- موقفه من السياسة البريطانية في فلسطين:

كان الشيخ الطيب العقبي من رجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين اهتموا بقضية فلسطين اهتماما بالغا، وكان يرى فيها أنها قضية كل المسلمين والعرب،

وبأنها لم تكن قضية الشعب الفلسطيني فقط، وهذا ما يتجلى في مواقفه من القضية وردوده إزاء ما يقع في فلسطين، فقد كان يندد بسياسة بريطانيا في فلسطين الداعمة لليهود من أجل تجسيد هدفهم في إقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين، وكان يقول في الكثير من المناسبات بأن الاحتلال البريطاني لفلسطين المتستر تحت مسمى الانتداب هدفه الأساسي خدمة الحركة الصهيونية، فنعت أصحابها بشذّاذ العالم ونفاية الأمم[16].

وتعبيرا عن تحسره وألمه على ما يحدث للشعب الفلسطيني تحت وطأة الانتداب البريطاني، وما يعانيه من ويلات القمع الصهيوني، كتب في جريدة البصائر مقالا عنونه بـ: "لبيك لبيك فلسطين فما أنت لأهلك فقط ولكنك للعرب كلهم وللمسلمين أجمعين" [17]، ومما جاء فيه: " لهذا فإن كارثة فلسطين لم تكن بأمر يخص أهلها فحسب...، ولكنها مأساة عامة وكارثة عظمى حلت بالعالم الإسلامي كله والعرب أجمعين..."، كما تعرض فيه إلى إظهار التواطؤ الدولي على القضية من خلال تزكية عصبة الأمم للانتداب البريطاني على فلسطين بقوله: " كل هذا من الإنجليز الظلمة، وتحت نظر وبموافقة جمعية قالوا عنها أن جمعية الأمم وعصبة الشعوب المتمدينة... " .[18]

2- موقفه من قرار التقسيم والنكبة:

هاجم الشيخ الطيب العقبي الإنجليز، وكذا لجنة اللورد بيل التي دعت إلى تقسيم فلسطين بلهجة حادة عنيفة تبين شعوره العميق، وأسفه الكبير على ما حدث لفلسطين بالقول: "ومن من الناس لا يلهج اليوم باسم فلسطين الشهيدة، فلسطين الدامية، فلسطين الثاكلة الباكية، الشاكية الحزينة؟؟ فلسطين ضحية الاستعمار الغاشم، ونهبة العدو القوي الظالم..." [19]، وبقي الشيخ العقبي وفيا لقضية فلسطين، معبرا عن ولائه التام لها في كل المناسبات، مطالبا بالإسراع إلى دعم الفلسطينيين ماديا ومعنويا[20].

3- تأسيس لجنة الدفاع عن فلسطين:

قام الطيب العقبي في سنة 1947م في نادي الترقي بالجزائر العاصمة بتأسيس لجنة الدفاع عن فلسطين، هذه اللجنة التي أحيت في 03 أكتوبر من نفس السنة مهرجانا خطابيا هدفه تعبئة الجماهير من خلال فضح جرائم الصهاينة في فلسطين[21]، وكان إحياء هذا المهرجان استجابة لدعوة جامعة الدولة العربية المطالبة بجعل يوم الجمعة 03 أكتوبر 1947م يوما لفلسطين في العالم كله قصد إبراز تعاطف المسلمين مع القضية

الفلسطينية. وكان من بين الخطباء في هذا الحفل الشيخ الطيب العقبي الذي أكد أنه مستعد للتضحية بكل غال في سبيل فلسطين ثالثة الحرمين وأولى القبلتين، حتى تستعيد إسلامها وعروبتها قائلا: "...لإظهار الاتحاد العملي والتضامن الفعلي سأحمل راية الجهاد وأذهب بنفسي تاركا الأهل والولد" .[22]

4- مراسلة جامعة الدول العربية:

بعث الشيخ الطيب العقبي في 07 أكتوبر 1947م برقية لممثلي الجامعة العربية المجتمعين بالعاصمة اللبنانية بيروت[23]، بين فيها مدى ارتباط وتعلق الشعب الجزائري بفلسطين، حيث قال: "الشعب المسلم الجزائري يؤكد لكم إخلاصه العميق وارتباطه المتين قلبا وقالبا بكم...، وارتفعت أصواتهم بالاحتجاج الصارخ ضد مشروع التقسيم، أعلنوا عن رغبة ولهفة استجابتهم لكل قضية، واستعدادهم التام للانخراط في صفوف المتطوعين للدفاع عن فلسطين وحماية تلك البلاد المقدسة من عدوان المعتدين، وإني شخصيا قد عزمت عزما أكيدا على رفع راية الجهاد على رأس هؤلاء الآلاف من المضحين تلبية لداعي الإيمان بمبدأ ديمقراطية الإسلام الحق ومقاومة الصهيونية الباغية المتقمصة لثوب الاستعمار..." .[24]

5- الدعوة إلى العمل الجماعي لدعم فلسطين:

كان الشيخ العقبي يرى في العمل الجماعي السبيل الأنجع لدعم القضية الفلسطينية، ومن أجل الوصول بهذا الدعم إلى أقصاه اقترح تأسيس على كل مدينة أو قرية لجنة للدفاع عن فلسطين، وتتولى هذه اللجان مهمة جمع التبرعات وتسجيل أسماء الراغبين في التطوع للذهاب إلى فلسطين، وأسندت هذه اللجنة لمصالي الحاج زعيم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ولتوسيع نشاط الدعم للقضية الفلسطينية أكثر سعى العقبي إلى تأسيس هيئة أقوى من التي أسسها عام 1947م، تشارك فيها مختلف تيارات ورموز الحركة الوطنية[25].

6- المساهمة في تأسيس الهيئة العليا لدعم فلسطين:

في 14 ماي 1948م أعلنت بريطانيا عن نهاية انتدابها على أرض فلسطين، بعدما مكنت الصهاينة في فلسطين بدعمهم المادي والمعنوي، ولتقديم الدعم للفلسطينيين دعا كل من الطيب العقبي والبشير الإبراهيمي لتأسيس الهيئة العليا لإنقاذ فلسطين،

واشتركت فيها كل الهيئات والأحزاب بالجزائر[26]. وعن هذا يقول الشيخ الابراهيمي:" وزارني في داري الأستاذ الشيخ الطيب العقبي وهو الروح المدبرة لتلك اللجنة، وأخبرني بأن اللجنة – أي لجنة الدفاع التي أسسها العقبي- تتنازل مسرورة عن اسمها ومطبوعاتها وأعمالها ...وصارحني بأنه يشاطرني الرأي في أن تكون قضية فلسطين مباركة كأرضها، فتكون سببا في جمع ما تشتت من أحزابنا"، وكان الطيب العقبي يسعى من خلال تأسيس هذه الهيئة للم شمل مختلف تيارات وأطياف الحركة الوطنية في الجزائر لتشكيل جبهة موحدة وقوية ضد المستعمر الفرنسي من جهة، وتوسيع الدعم للقضية الفلسطينية من جهة أخرى.[27]

وقد لبى فرحات عباس زعيم حزب البيان الدعوة وانخرط في الهيئة معتبرا أن القضية الفلسطينية فوق كل اعتبارات حزبية[28]، أما حركة انتصار الحريات الديمقراطية فتماطلت، وقالت أن أبناء الجزائر أولى بالدفاع عنهم وتسخير الأموال لهم لما يعانونه داخل السجون الفرنسية[29]، وبعد ضغط الشعب وانعقاد الاجتماعات التمهيدية في نادي الترقي، غير الحزب موقفه خوفا من تراجع شعبيته، فأرسل ممثله السيد أحمد مزغنة الذي حضر الجلسة الثانية بنادي الترقي[30]، وطلب مزغنة من الإبراهيمي والعقبي وعباس زيارة مصالي الحاج، وفعلا قام الوفد بزيارة مصالي الحاج في بيته، بحضور كل من مزغنة وبودة، وانتهى الاجتماع الذي دار بينهم بحلول مرضية لجميع الأطراف[31]، وتم الاتفاق على تكوين الهيئة التي أطلق عليه اسم "الهيئة العليا لإغاثة فلسطين"، وتضم خمسة أعضاء هم: العقبي والإبراهيمي وبيوض وعباس ومصالي[32].

إلا أن المصاليين ورغبة منهم في أن يكون مصالي الحاج هو رئيس هذه الهيئة، بسبب حب الريادة والزعامة، جعلهم يكونون خارج الهيئة، وفي هذا الشأن يقول الإبراهيمي: "تظاهر بالأسف لكون المسألة تتعلق باسمه وزاد في وصف حزبه أنه حزب طاهر وفي وصف نفسه أنه محبوب، وعادت به الذاكرة إلى الاجتماع الأول، فعد من نقائصه بل من تواطئنا في الغلط فيه، أننا لم نعين للهيئة رئيسا، وأفاض في الحديث عن الرياسة ولزومها للهيئات ولو قل أفرادها وكانت ألفاظه كلها ترشح بترشيح نفسه للرياسة"[33]، أما العقبي فقد وصف حركة الانتصار بأنها تدعي التضحية من أجل فلسطين، وهي لا تستطيع بالتضحية ولو بواحد منها[34]، وعن تخاذلهم يقول توفيق المدني:" وكم كان ألمنا عظيما عندما رفض الإخوان المصاليون رجال حزب الشعب، الاشتراك معنا في العمل" [35].

ورغم ذلك فإن الهيئة تم تشكيل قيادة لها تتمثل في الإبراهيمي رئيسا لها وعباس

فرحات كاتبا عاما لها، والطيب العقبي أمينا عاما، وإبراهيم بيوض نائبا له[36]، وتم تنصيب هيئة تنفيذية لها فروع في مختلف أرجاء الوطن، ومن بين مواقف هذه الهيئة استنكارها لتصويت المجلس الوطني الفرنسي على تعاطفه مع دولة إسرائيل، والاعتراف بها، والذي رأت فيه تحديا صارخا لمشاعر مسلمي شمال إفريقيا، وأبرقت من أجله ببرقية احتجاج إلى فرنسا جاء فيها:" إن لجنة إغاثة فلسطين ... قد تأثرت بصفة مؤلمة من القرار الذي اتخذه المجلس الوطني الفرنسي في إرسال التحية المخلصة لدولة إسرائيل المزعومة، إن هذا القرار يعتبر عملا عدائيا ضد العالم الإسلامي، واللجنة تلفت نظر حكومتكم اعترافها بدولة اسرائيل المزعومة جرح لعواطف خمسة وعشرون مليونا من المسلمين لسكان المغرب العربي المتضامنين تضامنا فعالا مع إخوانهم أهل فلسطين، ومن إساءة عميقة للعلاقات بين فرنسا والإسلام".[37]

كما أرسلت اللجنة برقية اتهمت فيها الأمم المتحدة بالتواطؤ مع الحركة الصهيونية، وأن قيام دولة إسرائيل فوق تراب فلسطين ينافي المواثيق الدولية، ويعتبر إخلالا بالسلام العالم لما سينجم عن هذا الفعل من حروب طاحنة[38]، وإلى جامعة الدول العربية بعثت اللجنة ببرقية تبرز فيها تضامنها مع الفلسطينيين لمواجهة الخطر الصهيوني، مما جاء فيها: "إننا بلسان هذه اللجنة نؤكد لسعادتكم تضامن الشعب المسلم الجزائري مع كل الدول العربية المكافحة ضد الإمبريالية والصهيونية، ونأمل انتصار القضية العربية العادلة"، وللتعريف بها وإشهارها أعلمت اللجنة الصحف العربية بميلادها وأهدافها من خلال إرسال برقيات إلى رؤساء تحرير هذه الصحف[39].

أما عن الدعم المادي التي تكفلت به الهيئة فيذكر توفيق المدني أن اللجنة أرسلت أربعة ملايين فرنك للجهاد الفلسطيني، ويضيف أنه زار باريس شخصيا ومعه ثلاثة ملايين سلمها للسيد أحمد ثروت سفير مصر بباريس[40]. أما العقبي فقد أخذ أموالا لفلسطين اختلفت الروايات حول حجم المبلغ[41] ، وأشار الإبراهيمي إلى أن فلسطين قد تمكنت من جمع تبرعات هائلة من الشعب الجزائري، وأرسلت إلى فلسطين، وأنها استلمت الشهادة التي تثبت وصولها، وبذلك تكون قد أدت واجبها تجاه قضية فلسطين[42].

خاتمة

بعد التطرق إلى أبرز نشاطات ومواقف الشيخ الطيب العقبي الداعمة لفلسطين لما كانت تحت وطأة الانتداب البريطاني، توصلت إلى مجموعة من النتائج، يمكن حصرها في

ما يلي:

- يعد الطيب العقبي من العلماء المصلحين الذين جسدوا ارتباط الجزائر بالعالم الإسلامي والعربي.
- كان الشيخ من الذين ساهموا في دعم القضية الفلسطينية بالقلم، والمواقف، إضافة إلى دعم الفلسطينيين ماديا.
- لم يثن الوضع المزري التي كانت تعيشه الجزائر -وهي وطن الشيخ الطيب العقبي - من عزيمته في الاهتمام بقضايا المسلمين والتي من بينها قضيتهم الأولى القضية الفلسطينية.
- لم يخرج الشيخ الطيب العقبي عن دائرة باقي العلماء المصلحين المتأثرين بقضية فلسطين، والمنشغلين بما يعيشه الفلسطينيون من ويلات في ظل الانتداب البريطاني.
- كان للشيخ دور في تنوير الرأي العام المحلي والدولي في فضح المخططات الصهيونية المدعومة من المنظمات الدولية والدول الغربية.

الهوامش والاحالات:

1- محمد الهادي الزاهري، **شعراء الجزائر في العصر الحديث**،ج1، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1926، ص125.

2- محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورته المباركة**، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص.106

3- محمد الهادي الزاهري: المرجع نفسه، ص127 .

4- أحمد مريوش، **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية**، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007، ص27 .

5- نفسه.

6 - Ahmed el Rifaei chorfi: Articles et opnions des figures Emblematiques de L'assocition des Ulmas Musulmans, imam et chikh et-taib el okbi, tome 02, tr p wafa bedjaoui, dar el houda, Algrrie, p 22.

هناك خلاف حول تاريخ ميلاده فهناك من يقول أنه ولد في 1889م.

7- الزاهري: المرجع نفسه، ص126 .

8- محمد علي دبوز: المرجع نفسه، ص108 .

9- أحمد مريوش: المرجع نفسه، ص35 .

10- دعوة إصلاحية بحتة غرضها الاصلاح والرجوع إلى الإسلام الصحيح والأخذ به على أوله وأصله

وجوهره، وتحارب الشبهات والبدع. ينظر: عبد الله العجلان: حركة التجديد والاصلاح في نجد، ط2، 1989، ص208 .

11- أحمد مريوش : المرجع السابق، ص41 .

12- كمال عجالي، **الفكر الإصلاحي في الجزائر**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص28 .

13- الزاهري: المرجع السابق، ص128 .

14- علي محمد الصلابي، **كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي" سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية الإصلاحية 1889-1940**، دار المعرفة ، ط1، بيروت، لبنان، 2017، ص ص 132-133 .

15- بسام العسلي، عبد **الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية**، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2010، ص186 .

16- أحمد مريوش: المرجع السابق، ص412 .

17- الطيب العقبي، "كارثة فلسطين تثير العالم الإسلامي والعربي في وجه الإنجليز"، **جريدة البصائر**، الجزائر، العدد78، السنة الثانية، 13أوت 1937، ص221 .

18- نفسه.

19- عبد الله الركيبي، **قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر**، معهد البحوث والدراسات العربية، الجزائر، 1970، ص48 .

20- أحمد مريوش: المرجع نفسه، ص413 .

21- أحمد بن يغرر، الجزائريون وقضية فلسطين، **مجلة الحكمة**، العدد 14، 2012، الجزائر، ص 193.

22- أحمد مريوش: المرجع السابق، ص413 .

23- أسفر هذا الاجتماع عن تشكيل لجنة عسكرية فنية يمثل أعضاؤها الدول العربية، وأطلق عليها "اللجنة العسكرية"، وقد عهد إليها بمهمة التنظيم والدفاع عن فلسطين وتدريب الفلسطينيين ومتطوعي الدول العربية لهذا الغرض، تتكون من: اللواء الركن اسماعيل صفوة عن العراق رئيسا والمقدم محمد الهندي عن سوريا والمقدم شوكت شنفر عن لبنان وصبحي الخضراء عن فلسطين.

24- أحمد مريوش: المرجع نفسه، ص ص414-415 .

25- أحمد بن يغزر: المرجع السابق، ص193 .

26- أحمد مريوش: المرجع نفسه، ص-ص529-530 .

27- محمد الهادي الحسني، **مواقف الإمام الإبراهيمي –فلسطين-**، ط2، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص-ص 101-102 .

28 - محمد البشير الإبراهيمي، "كيف تشكلت الهيئة العليا لإغاثة فلسطين"، جريدة البصائر، العدد 52، السنة الثانية، 11 أكتوبر 1948، ص01 .

29- الوناس الحواس، **نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1927-1954)**، دار شطيبي

للنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2013، ص333 .

30- حميدي أبوبكر الصديق، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالعالم العربي (1947-1956م)**، دار المتعلم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص-ص 130-131 .

31- الوناس الحواس، المرجع نفسه، ص334 .

32- رانيا مخلوف، **دور الإعلام في الحركة الوطنية (1947-1949)**، دار العلم والمعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص144.

33- محمد البشير الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص01 .

34- حمدي أبوبكر، المرجع نفسه، ص136 .

35- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، ص536 .

36- حمدي أبوبكر الصديق، **دراسات وأعلام في الحركة الوطنية الجزائرية**، دار المتعلم للنشر والتوزيع، قسنطينة 2015، ص121 .

37- الوناس الحواس، المرجع السابق، ص 335.

38- بسام العسلي، المرجع السابق، ص666 .

39- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص-ص 536-540 .

40- المصدر نفسه، ص541 .

41 - حمدي أبوبكر، دراسات وأعلام...، المرجع السابق، ص122 .

42 - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص422.

موقف أحمد توفيق المدني من القضية الفلسطينية

د/ علي شعوة ـ جامعة الوادي

مقدمة

يعتبر الأستاذ أحمد توفيق المدني من النخبة الوطنية، والذي عايش الفترة الاستعمارية وحتى فترة بعد الاستقلال، كما أنه جمع بين النشاط السياسي والثقافي العلمي، وبالتالي كان من أبرز رجال جمعية العلماء المسلمين، وكانت له مواقف خاصة من القضية الفلسطينية، لا سيما إذا علمنا أنه عاصر أحداث سياسية هامة بداية من وعد بلفور إلى غاية نهاية الانتداب البريطاني وقيام الكيان الصهيوني عام 1948م، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي مواقف أحمد توفيق المدني من القضية الفلسطينية؟ وما هي جهوده التي بذلها في سبيل الوقوف مع القضية الفلسطينية؟

1- التعريف بشخصية أحمد توفيق المدني:

هناك في دار عربية يرجع عهد بنائها إلى العصر الحفصي الأخير - بنهج الناعورة - في الطريق الفاصل بين الباشا ونهج التربونال في تونس، ولد الأديب المؤرخ أحمد توفيق المدني في 24 جمادى الثانية عام 1317هـ الموافق ل1نوفمبر 1899م، من أب جزائري هو محمد المدني وأم جزائرية عائشة بويراز.

هو بن محمد بن أحمد بن محمد المدني التونسي مولدا وقانونا، أتاه الله لقبه من جده الأعلى المولود بالمدينة المنورة، أبوه هو محمد بن أحمد بن محمد المدني القبي الغرناطي من السادة الأشراف، ويقول أحمد توفيق المدني في هذا الشأن:" ولدت سليل عائلتين من كرام المجاهدين المهاجرين الجزائريين"، تلقى أبوه علومه العربية بالجامع الكبير، أما جده فكان أمين الأمناء شيخ بلدية العاصمة الجزائرية، وقد هاجر جده ووالده إلى تونس عندما اشتد الاضطهاد الفرنسي خصوصا سنة 1870م. أما أمه فهي عائشة بويراز بنت عمر بويراز وكريمة ابن غشام.

عاش الصبي توفيق المدني حياة ناعمة في وسط عائلة محافظة وثرية، وهي متكونة من أربعة إخوة.أما خلفيات تسميته باسم توفيق، ترجع لأيام حرب طرابلس 1911م، عندما التقى القائد العام للجيش العثماني بليبيا فتحي بك في اجتماع أقامه المختار كاهية، وبسبب حيوية المدني وحدة ذكائه رغم صغر سنه استرعى انتباه القائد فسأله عن اسمه

ثم دعاه منذ ذلك الوقت قائلا: أنت أحمد توفيق فشاع الاسم واشتهر به.[1]

بدأ الدراسة في الكتاتيب وحفظ القرآن وعمره خمس سنوات فقط، والتي كانت بمثابة ثاني محطة تعليمية، بالإضافة إلى تعلمه فيها لشتى العلوم الدينية الأخرى، وعند بلوغه السن التاسعة كان من القراء الجيدين للصحف التونسية التي مكنته من اكتساب ثقافة واسعة، هذا النبوغ هيأه تهيئة حسنا لدخول المدرسة القرآنية الأهلية، حيث التحق بها سنة 1909م وبلغ وقتها سن العاشرة، والتي كان يديرها محمد صفر، تلقى فيها مبادئ اللغة الفرنسية واللغة العربية، إلى جانب العلوم الدينية والرياضيات والحساب والكيمياء والعلوم الطبيعية، وفي سنة 1913م انتهت دراسته بالمدرسة القرآنية فتخرج منها ملما بشتى العلوم على يد مختلف خيرة الأساتذة والشيوخ، ثم انتقل في نفس السنة ليتلقى تعليمه الثانوي بالمعهد الخلدوني على يد الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، وبعد تتويجه بالنجاح انتقل مباشرة ليكمل تعليمه العالي بجامع الزيتونة، ليختار لنفسه فيها منهاجا مغايرا بحيث لا يتقيد بامتحان لأنه يطلب العلم من أجل العلم لا المنصب، فبذلك اختار دروسا على يد خيرة الأساتذة أمثال الشيخ النخلي في التفسير والشيخ محمد بن يوسف في البلاغة، الشيخ صادق النيفر في الفقه بالإضافة إلى آخرين. وفي سنة 1914م عزم المدني على ترك الدراسة في الجامع الأعظم الزيتونة لينظم إلى لجنة الشبان لتفجير الثورة في تونس.[2]

كان المؤرخ والمفكر والسياسي توفيق المدني صاحب نشاط مميّز في المجال الفكري والسياسي في كل من تونس والجزائر على حد سواء مع اختلاف الفترة الزمنية، فشخصيته الثائرة منذ نعومة أضافره بلغت مرحلة النضج والعقلانية في كل تصرفاته التي بلغها في مرحلته الأولى من نشاطه بتونس خصوصا مرحلة نشاطه بالجزائر.[3]

2-نشاطه في تونس:

إن بداية انطلاق نشاط المدني بتونس كان لها عدة اعتبارات، أولها أنه ولد ونشأ فيها، وبالتالي أصبح تونسي الجنسية ما سمح له بخوض غمار هذا النشاط، فالمتتبع لنشاطه بشقيه الفكري والسياسي يلحظ تلك التجربة الثرية، وتمثل نشاطه فيما يلي:

- في سنة 1911م عندما احتلت إيطاليا ليبيا كان أحمد توفيق المدني يجمع حوله بعض المتمكنين من المدرسة يطوفون بالأسواق ويحرضون على الجهاد معتبرا إياهم – أي

رواد المقاهي- أنهم أصبحوا من قواعد، بينهم غيرهم يموت في سبيل الله والوطن، بالإضافة إلى ذلك فإنه كان ينشط لجمع الأموال للهلال الأحمر العثماني.[4]

على إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى ظهرت فكرة الثورة في تونس في ديسمبر 1914م بإيعاز من المدني والصادق الرزقي وبقيادة الحاج سعيد بن عبد اللطيف الذي كان يدرس الخطط في اجتماعات سرية، ثم تم تكليف المدني بالاتصال بقبائل بني زياد في الجنوب التونسي، إلا أن هذا المشروع لم ينجح بسبب وشاية الجاسوس البشير بوخريص للأمن الفرنسي، ليتم بذلك سجنه فورا بسبب نشاطه في صلب لجنة الشبان الثوريين، ولم يغادر السجن حتى أواخر 1918م، وهو قرار الجنرال اليكس بإطلاق سراحه، وتزامن ذلك مع نهاية الحرب العالمية الأولى.[5]

انضم المدني للحزب الحر الدستوري في منتصف شهر ماي سنة 1920م، فعمل على ربط علاقته مع الأعضاء البارزين فيه ليصبح ضمن اللجنة العليا للحزب، وعلى إثر غياب الثعالبي قام المدني نفسه بضبط وتنظيم الحزب وحساباته المالية في مكتب الطاهر بن حمودة المنستيري، بالإضافة إلى أنه كتب عريضتين بالغة العربية والفرنسية مطالبا الحكومة الفرنسية بالسماح لتونس الحصول على مجلس تشريعي مع التأكيد على مبدأ التساوي في الحقوق والواجبات.[6]

أما سنة 1924م كتب المدني "تقويم المنصور" كما نشر رسالة "تونس جمعية الأمم"، ومن نفس السنة تمكن المدني من تأسيس نقابة عمال تونسية مع أعضاء اللجنة التنفيذية كمحاولة منه لجمع شتات العمال والقيام بواجب المطالبة بحقوق الحركة العمالية، واستطاع جمع الأموال للحركة قدرت بـ 5000 فرنك من صندوق الحزب الجزائري الدستوري، وفي إطار رفع المستوى العلمي والفكري قام رفقة مجموعة من عصبة رجال الفكر والقلم بتأسيس ما يعرف بالرابطة القلمية وتقلد فيها المدني منصب كاتب عام بالإضافة إلى آخرين.[7]

تعد سنة 1925م السنة الفاصلة في حياة المدني بفعل نشاطاته السياسية حيث أمرت الحكومة الفرنسية يوم 15 جانفي 1925م بتفتيش منزل التوفيق المدني، غير أن استمراريته في النشاط جعل الحكومة تصدر قرار نفيه إلى الجزائر في 6 جوان 1925م، بحجة أنه جزائري الأصل.[8]

3-انتقال المدني إلى الجزائر:

قام توفيق المدني في الجزائر بالعديد من النشاطات، منها تأسيس نادي الترقي في جويلية 1927م بالجزائر العاصمة، حيث يذكر التوفيق أنها كانت فكرته أثناء حفل مقام بدار محمد المرابط سنة 1926م، أما بالحديث عن أهم أعضاء النادي فهو يتشكل من محمود بن ونيش الرئيس الأول، محمد بن مرابط، أمين مال، بالإضافة إلى توفيق المدني، وآخرون، ويرى أنه كان مركز انطلاق النهضة الحقيقية في الجزائر، وكمركز لإلقاء الدروس الدينية والاجتماعية التي تعالج مشاكل المجتمع الجزائري، وقد كان يعد المدني من بين الشخصيات التي كانت تلقي فيه المحاضرات.[9]

أما قضية تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيرى توفيق المدني أنه بسبب الاحتفال الفرنسي بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر دفع به للاجتماع مع ثلاثة من المصلحين وأجمعوا على تأسيس هيئة للعلماء تجمع شملهم وتوحد صفوفهم، ويضيف أنه شخصيا من كتب الدعوات لمختلف علماء الجزائر للحضور. ويرى آخرون أن التحاق المدني رسميا بجمعية العلماء المسلمين كان عام 1951م كعضو في هيئتها التنفيذية إلى جانب كل من مبارك الميلي ومحمد العيد، ويرجع مدني أن سبب انسحابه الأول يعود إلى اهتمامه بالحركة الناشئة وسمعتها حتى لا تنسب للحزب الحر الدستوري التونسي، بالإضافة إلى ذلك أن القانون الداخلي للجمعية يحرم الاشتغال بالسياسة، إلا أن ذلك لم يمنعه من الانخراط في النضال السياسي والإعداد للثورة من أجل الاستقلال، فقد عمل المدني في مجلة الشهاب بطلب من رئيسها بن باديس ثم جريد الإصلاح ثم جريدة البصائر وكذلك بتأسيسه المدارس خاصة معهد بن باديس في قسنطينة إلى أن توقف نشاطه سنة 1956م بانضمامه لجبهة التحرير الوطني.[10]

واصل أحمد توفيق المدني نشاطه الدؤوب في مرحلة الاستقلال برئاسة أحمد بن بلة، حيث أسندت له وزارة الشؤون الدينية والأوقاف التي اجتهد فيها كثيرا على إضفاء تعديلات على الهيكلة الإدارية ذات صبغة تنظيمية كانت نموذجا في التسيير الإداري لباقي الوزارات فيما يتعلق بالانضباط والنظام، وتمكن من افتتاح 17 معهدا للتعليم الأصلي، كما تم إصلاح المساجد خاصة جامع كتشاوة.

وفي عام 1967م عيّنه الرئيس جمال عبد الناصر كعضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة خلفا للبشير الإبراهيمي، كما كان يكتب في مجلة مجمع اللغة العربية. إضافة

لانتسابه للسلك الدبلوماسي، حيث عيّن سفيرا في كل من العراق وإيران وتركيا فوق العادة.[11] ونظرا للأزمات القلبية التي كان أحمد توفيق المدني يتعرض لها في العقد الأخير من عمره بعد الحملة الانتقادية العنيفة التي تعرض لها من قبل تلامذة جمعية العلماء المسلمين وغيرهم من المفكرين شاء القدر أن تنتقل روح الفقيد أحمد توفيق المدني إلى جوار ربها فجأة، وذلك صباح يوم الثلاثاء 18 أكتوبر 1983م بمسكنه بأعالي الأبيار بالجزائر العاصمة.[12]

4-الحركة الوطنية الجزائرية والقضية الفلسطينية:

إن اهتمام الجزائر بالقضية الفلسطينية كان منذ أيامها الأولى، والجزائر لا زالت تقبع تحت نير الاحتلال الفرنسي تناضل وتصارع من أجل البقاء والإعتاق، فعندما انجلت للعيان خطط الصهاينة بعد وعد بلفور والانتداب البريطاني كانت الجزائر قد مر على احتلالها قرابة قرن، وفي تلك الظروف، كان منطقيا ما يعيشه الجزائريون حائلا دون التفكير فيما يقع في فلسطين، لكن الجزائريين ربطوا مصيرهم بمصير إخوانهم في فلسطين.[13]

نستنتج مما سبق أن اهتمام الجزائريين بالقضية الفلسطينية ليس جديدا بل ظهر موقفهم من القضية الفلسطينية منذ بداية المخططات الاستعمارية الإنجليز ونية بريطانيا منح فلسطين لليهود سنة 1905م وإصدار وعد لهم سنة 1917م أو ما يعرف بوعد بلفور، وما تلا ذلك احتلال بريطانيا لفلسطين سنة 1920م وتم تسليمها لليهود سنة 1948م.

5-موقف توفيق المدني من وعد بلفور:

لقد أولى أحمد توفيق المدني اهتماما بالغا بالقضية الفلسطينية، وهذا ما تمثل في مواقفه إزاء ما يحدث في فلسطين، فعلق المدني على وعد بلفور حيث كشف لنا عن السبب الجوهري الذي جعل بريطانيا تنصاع لأوامر اليهود وتسعى لتنفيذ مصالحهم، وأرجع ارتباط الانجليز بوعد بلفور إلى المصلحة الشخصية لهم، وانقيادا لإرادة الصهاينة.[14]

ومما قال توفيق المدني: " ...إلى أن انكلترا قد ارتبطت بالعهد البلفوري ارتباطا وثيقا لحمته المصلحة من أجل الذهب، واليهود ملوك الذهب في الدنيا يقتادون الشعوب بأسرها

في الطريق الذي يرونه ملائما لمصالحهم الخاصة، فلم تستطع إنكلترا أسيرة الذهب اليهودي أن تنفض يدها من تصريح بلفور، وأن تعترف علنا بأن الحق للعرب وأن فكرة الوطن القومي اليهودي قد لحقت إلى الأبد بفكرة الوطن القومي الأرمني حول أرض الروم.[15]

وعندما نفذ الإنجليز حكم الإعدام في ثلاثة أبطال من أبناء فلسطين بتهمة المشاركة في حركات الدفاع ضد هجمات الصهيونيين، وصف المدني هذا المشهد بقوله:" وكانت فلسطين مجاهدة ...فكان يوم الحادي والعشرين محرم يوم تتويج الجهاد الفلسطيني بتاج التضحية والاستشهاد ماتوا رحمهم الله فخلدوا ذكرى الجهاد والتضحية والاستشهاد، وأثاروا بموتهم في وجه الشعب الفلسطيني سبل الحياة ومسالك النجاة، لم تدفن جثث الأبطال في تلك القبور الثلاثة، كلا لقد دفن أولئك في القلوب العربية الدامية، وإنما الذي دفن في تلك القبور أبديا هو سياسة حسن الظن في الإنجليز، واعتماد الضعيف على القوي لإحراز حقه.[16]

أما في جويلية 1937م فقد كتب المدني يقول:" لكن نقطة الإحساس في العالم اليوم إنما هي نقطة فلسطين، والخطر الداهم الذي يهدد العرب في كيانهم وفي حياتهم، وفي وحدتهم إنما هو خطر فلسطين، وإن الواجب المحتم على كل عربي مسلم في أي قطر من أقطار الأرض هو أن يقف إلى جانب أخيه العربي الفلسطيني ينصره ويؤازره ويضحي إلى جانبه بأغلى وأعز التضحيات مهما كلفه ذلك، فالمسألة ليست مسألة بلاد نائية، وليست مسألة محلية لا تهم إلا فلسطين وحدهم بل إنها مسألة العالم العربي بأسره، بل العالم الإسلامي برمته، وكل اقتطاع من أرض فلسطين إنما هو حزّ في رقبة العرب ونحر للعالم الإسلامي من وريده.[17] هنا يوضح المدني أن قضية الفلسطينية هي قضية كل العرب والمسلمين ولا تهم أهل فلسطين فقط، وأن كل ما يقع فيها هو واقع في العالم الإسلامي والعربي ككل، و هذا لأن فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، مبينا واجبات العرب اتجاهها من تقديم مد يد العون لها ماديا ومعنويا.[18]

6-موقفه من التقسيم ومن النكبة:

إثر ظهور مشاريع التقسيم لفلسطين التي تفتقت بها العقلية الاستعمارية البريطانية، كتب المدني في مجلة الشهاب 1937م يقول:" ...إن آخر اختراع أنتجته المخيلة الاستعمارية الإنجليزية هو تجزئة فلسطين إلى ثلاثة أقسام: قسم شرقي جبلي يقع ضمه إلى إمارة شرق

الأردن التي يتولاها الأمير عبد الله، وقسم غربي يشمل سواحل فلسطين الشمالية وأخصب بلادها، ويكون دولة يهودية مستقلة تمام الاستقلال، وقسم ثالث يشمل بيت المقدس وسواحل حيفا تبقى تحت الانتداب البريطاني الإنجليزي بدعوى حماية الأراضي المقدسة ومجرى نفط الموصل".[19]

وأكد بعدها على رفض العرب لهذا القرار وعدم تقبلهم لمثل هذه الإهانة، حيث يقول: " أجمعت كلمة العرب في فلسطين على رفض هذا المشروع الخاسر، وأجمعت كلمة العرب في العالم أجمع على تأييد هذا الرفض الأبي؛ لأنه لا يوجد من يجري في دمائه دم العروبة الحار، ويرضى مثل هذه المذلة والمهانة.[20]

وقال أيضا: " ...وأن كلمة لم تصبح للعرب وهم على تفرقهم وتخاذلهم بل اليوم أصبحت لأمراء العرب وملوكهم موقف الجد والصرامة وهددوا الإنجليز بالعداء فإن انجلترا تحاول بطريقة ما التخلص من المشكل اليهودي، أما إذا هي رأت التقاعس والجمود في ملوك العرب فإنها ستستمر في سياستها الصهيونية ونصرة الفئة القليلة التي تعرف كيف تنفع وكيف تضر.[21] وقال أيضا: " إن القلوب لتنفطر والأنفس لتتقطع مما هو جار في فلسطين البائسة التعسة وما يريده لها القوم من تمزيق الأوصال، وتقطع البلاد وتثبيت القدم الصهيونية بصفة دائمة مستمرة.[22]

ولقد أشاد بموقف الفلسطينيين الصامد والقوي دفاعا عن كرامتهم ووطنهم، ولأن انجلترا لا تفهم إلا بلغة القوة ويعبر بعدها عن استيائه وتشاؤمه من موقف ملوك العرب وأمرائهم المتخاذل اتجاه هذا الموقف[23]. وفي نفس الصدد يقول المدني:" إننا لا نفهم إلى هذه الساعة ما هي هذه المواقف الضعيفة والمخجلة التي يقفها ملوك العرب وأمرائهم تجاه هذا الموقف الخطر العظيم الداهم، فهل يكفي لأمثال يحي والملك عبد العزيز بن السعود أن يحتجوا ببرقيات يرسلونها إلى لندن، وإلى بيت المقدس ثم يسكتوا كأنهم قد أدوا الواجب المفروض عليهم.[24]

وبعد طرح مشروع التقسيم سنة 1937م وزيادة النشاط من حركة الهجرة والتسليح استنفر توفيق المدني الضمير الإسلامي لإنقاذ فلسطين محملا المسلمين شعوبا وقادة المسؤولية التاريخية [25]، حيث قال في هذا الصدد: "إن قدر الله وضاعت فلسطين فإنها والله لن تذهب ضحية الصهيونيين بل تذهب ضحية المسلمين الجامدين، وضحية ملوك المسلمين المتغافلين، فيا عامة المسلمين ويا خاصتهم ويا ملوكهم وأمرائهم وقادتهم، هذه

فلسطين الشهيدة ضائعة متلاشية، فماذا أنتم فاعلون؟ [26]

أما في خضم تطور الأحداث في فلسطين ومواكبته لها في سنة 1938م مقالات بيّن فيها شدة مقاومة الفلسطينيين للاستعمار الانجليزي واليهودي، موضحا الأفعال الإجرامية والوحشية التي قام بها هذان الأخيران اتجاه الفلسطينيين، واحتلال الإنجليز عسكريا للبلاد والهيمنة على المناطق التي استرجعها الوطنيون خلال الأشهر الأخيرة من الهيمنة.[27]

7-جهود أحمد توفيق المدني إثر الاحتلال الصهيوني لفلسطين:

وبعد الإعلان عن قيام دولة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين في 15ماي 1948م عمل المدني رفقة زملائه على محاولة إقناع مصالي الحاج على توحيد الجهود من أجل إنشاء لجنة مشتركة لإغاثة فلسطين، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل[28]، وحاول بعدها من اشتراك الزوايا في هذه المبادرة، فوجه دعوة إلى مصطفى القاسمي شيخ الزاوية الهامل، فبعث هذا الأخير برسالة لتوفيق المدني رافضة المشاركة في هذه الهيئة حيث يقول"...وبعد فالجواب وفاء بالوعد أن ما اقتضاه نظر أعضاء جامعتنا عقب المفاوضة هو إسناد العمل لفائدة فلسطين للجنة ألفتها الجامعة خصيصا لها، مراعاة لما عسى أن يكون قد بدا لكم من الفائدة في عملكم مستقلين...وعلى الرغم من أسفنا على ذلك فالأمل قوي أن تكون الغاية واحدة وهي إنجاد فلسطين حيث المسجد الأقصى أولى القبلتين بكل ما نستطيع[29]، وبعد تأسيس الهيئة العليا لإعانة فلسطين السالفة الذكر أسست لها هيئة تنفيذية مركزية كان على رأسها أحمد توفيق المدني.[30]

فقامت الهيئة بنشاطات كبيرة دعائية وتضامنية لصالح الشعب الفلسطيني كإرسال برقيات الاحتجاج إلى الجهات الرسمية كالبرقية التي ارسلتها إلى الحكومة الفرنسية التي اعترفت بدولة إسرائيل معتبرة القرار الفرنسي تحديا لمشاعر ملايين المسلمين بشمال إفريقيا واتهام لجنة الأمم المتحدة بالتواطؤ مع الحركة الصهيونية، مؤكدة أن قيام الدولة الصهيونية فوق تراب فلسطين يتناقض مع ميثاق المنظمة الدولية، وهو إخلال بالسلام العالمي.[31] وبعدها انتقل المدني إلى باريس بطلب من اللجنة ويحمل معه ثلاثة ملايين سلمها يدا بيد للسيد الأستاذ أحمد ثروت سفير مصر بباريس بحضور السيد إسماعيل صبري باشا خال الملك فاروق.[32]

الخاتمة

لقد لعب الأستاذ أحمد توفيق المدني دورا كبيرا في القضية الفلسطينية، سواء على المستوى الكتابة في الصحف والجرائد والمجلات أو في المجهودات العملية، وذلك في تأسيس هيئة الإغاثة والمساندة للقضية الفلسطينية، وكان هذا الأخير من عناصرها الأساسيين، حيث قامت بعملها أحسن قيام.

الهوامش والاحالات:

1- هدلي قدوة وقوادري نعيمة، **أحمد توفيق المدني1899- 1983م**، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر تخصص المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية، جامعة الجيلالي بونعامة- خميس مليانة، 2020، ص10.

2- المرجع نفسه، ص ص16، 17.

3- نفسه، ص18.

4- نفسه، ص18 .

5- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، لبنان، 1985، ص267. عبد القادر الخليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899-1983م**، ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص ص73، 74.

6-أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص242، 243، 244. يوسف مناصرية، ، **دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العاميتين** د. ر. ط، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 80. محمد بوطيبي، **دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية مابين 1900-1930م**، د. ر. ط، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص157، 158.

7- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص196، 170، 334، 452، 453.

8- محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص9، 10.

9- هدلي قدوة وقويدري نعيمة، المرجع السابق، ص ص 26 ، 27.

10- نفسه، ص ص27، 28، 29 .

11- نفسه، ص ص33، 34 .

12- نفسه، ص34 .

13- أحمد شنتي، الجزائر والقضية الفلسطينية...صفحات من الجهاد المشترك، **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، العدد 13، جامعة العربي تبسي، تبسة، الجزائر، 2015، ص116.

14- عبد القادر خليفي، ص152. سمية تينة، **أحمد توفيق المدني ودوره الثقافي والسياسي بالجزائر خلال الفترة الممتدة 1925- 1962م**(مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر)، اشراف الأمير بوغدادة . كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قطب شتمة – جامعة

محمد خيضر – بسكرة -2016، ص93. زينب نسيب، **مواقف علماء الإصلاح في الجزائر من القضية الفلسطينية 1917-1948**، مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، 2019، ص48.

15- أحمد توفيق المدني، "القطر الشهيد"، **مجلة الشهاب**، الجزائر، المجلد5، ج10، 1929، ص 44 .

16- هدلي قدوة وقويدري نعيمة، المرجع السابق، ص49.

17- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، دط، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 2008، ص ص436، 437.

18- زينب نسيب، المرجع السابق، ص49.

19- أحمد شفيق أحمد أبو جزر، **العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاستعمار الفرنسي**، ص161، 162.

20- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ج2، ص438.

21- نفسه، ص.439

22- نفسه، ص.440

23- نسيب، المرجع السابق، ص50.

24- احمد توفيق المدني، ج2، المرجع السابق، ص441.

25- عبد القادر الخليفي، المرجع السابق، ص153.

26- أحمد توفيق المدني، ج2، المرجع السابق، ص442 .

27- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص442، 445 .

28- عبد القادر الخليفي، المرجع السابق، ص.153

29- أحمد شفيق وأحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص217.

30- سمية تينة، أحمد توفيق المدني ودوره الثقافي والسياسي في الجزائر1925- 1962، ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016، ص94.

31- عبد القادر الخليفي، المرجع السابق، ص154.

32- احمد توفيق المدني، ج2، المرجع السابق، ص389

القسم الرابع

مواقف السياسيين الجزائريين من قضية فلسطين

مواقف الرئيس هواري بومدين من قضية فلسطين من خلال موسوعة اليوميات الفلسطينية

د/ محمد بك – جامعة عنابة

مقدمة

تبرز مواقف الرئيس هواري بومدين المؤيدة لقضية فلسطين من خلال موسوعة اليوميات الفلسطينية من المجلد 01 الذي سجل يوميات فلسطينية، ومواقف الشخصيات والهيئات والصحف العربية والدولية في سنة 1965 إلى المجلد 18 الذي خص سنة 1973 يوميات ومواقف.

وهواري بومدين هو رئيس الجمهورية الجزائرية خلال الفترة من 1965م إلى غاية وفاته في 27 ديسمبر 1978م، واسمه الأصلي محمد بوخروبة من مواليد قالمة في 23 أوت سنة 1932م وهو من أسرة ريفية فقيرة، في مرحلة شبابه تعلم تعليما مزدوجا عربيا وفرنسيا، وأهمه في الكتاتيب القرآنية، ثم في مدرسة ألمبير بقالمة، والمعهد الكتاني بقسنطينة. ثم هاجر إلى مصر لمواصلة الدراسة بجامعة الأزهر منذ سنة 1951م. واكتسب الرجل بذلك ثقافة عربية وفرنسية واسعة جعلته قادرا على تولي القيادة العسكرية والسياسية أثناء الثورة التحريرية وبعد الاستقلال، حيث تولى قيادة الولاية الخامسة سنة 1957م، وقيادة الأركان الغربية سنة 1958م، ثم رئاسة أركان جيش التحرير الوطني منذ سنة 1960م، وأصبح وزيرا للدفاع بعد الاستقلال. وقد ساعده ذلك على الإطاحة بالرئيس الأول للجزائر أحمد بن بلة في 19 جوان 1965م . ولقد أدار البلاد وضبط أمورها وتم انتخابه رئيسا في 10 ديسمبر 1976م.

وفي عهده أوفدت منظمة التحرير الفلسطينية سعيد السبع لافتتاح أول مكتب لفلسطين في الجزائر كان ذلك في صيف 1965م، وفي نفس تلك الفترة فتح هواري بومدين أبواب كلية شرشال العسكرية أمام الضباط الفلسطينيين، كما منح مقر الجنرال ديغول سابقا ليكون مقرا لمنظمة التحرير الفلسطينية.

والرئيس هواري بومدين هو الذي نطق ودافع عن قضية فلسطين ورفع شعار (نحن مع فلسطين ظالمة ومظلومة). وفي قمة الرباط سنة 1974م أكّد أن (لا وصاية على

الفلسطينيين) وقوله: (لا تفاوض ولا تطبيع ولا تعامل مع العدو) . كان من دعاة رفع التحدي ومقاومة الاستعمار والإمبريالية والصهيونية، وبفضل جهود الجزائر الدبلوماسية تمكن الزعيم والقائد ياسر عرفات من إلقاء خطابه الشهير في منبر هيئة الأمم المتحدة سنة 1974م.

وقد حاولت في هذا البحث أن أرصد مواقف الرئيس هواري بومدين أقوالا وأفعالا في تصريحاته وخطبه ولقاءاته الصحفية والرسمية، وقد استعنت باليوميات الفلسطينية من المجلد 01 إلى المجلد 18 طبعة إلكترونية، واخترت فترة حاسمة تبدأ باندلاع الثورة الفلسطينية في 01 جانفي 1965م إلى غاية حرب أكتوبر 1973م العربية الإسرائيلية ، واتضح لي من خلال البحث أن الرئيس الراحل كانت مواقفه فاعلة ومؤثرة في القضايا العربية عامة، والقضية الفلسطينية بصفة خاصة. وهذا يحسب لشخصه الكريم، وقد اعترفت شخصيات فلسطينية بفضل الجزائر والرئيس هواري بومدين في دعم قضية فلسطين.

قسمت هذا البحث وفق التسلسل الزمني لليوميات الفلسطينية من بداية جانفي 1965م إلى غاية ديسمبر 1973م كالآتي:

1- مواقف الرئيس هواري بومدين المؤيدة لقضية فلسطين على مستوى محلي وعربي.

2– مواقف الرئيس هواري بومدين المؤيدة لقضية فلسطين بالدعم الحربي.

3- مواقف الرئيس هواري بومدين المؤيدة لقضية فلسطين على مستوى دولي.

1 - مو اقف الرئيس هواري بومدين المؤيدة لقضية فلسطين على مستوى محلي وعربي:

في يوم الأحد 10 أكتوبر1965 م : صحيفة الأهرام القاهرية نشرت حديثا أجراه لطفي الخولي مندوبها مع العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائري ورئيس الحكومة، قال فيه: "إن قضايا تحرير فلسطين والجنوب العربي هي قضايا مصيرية تماما كما هي قضايا تحرير المستعمرات الإفريقية " [1].

في يوم الخميس 20 أكتوبر1966م : العقيد هواري بومدين رئيس الحكومة الجزائرية ورئيس مجلس الثورة الجزائري، بعث ببرقية إلى الدكتور نور الدين الأتاسي رئيس الدولة السورية بمناسبة الاستفزازات التي تقوم بها إسرائيل ضد سورية جاء في البرقية: "إن الجزائر التي تشعر بمسؤوليتها الكاملة تجاه قضية العرب الأولى فلسطين وتدرك معنى وجود إسرائيل كقاعدة للإمبريالية والاستعمار ..." [2].

في يوم الاثنين 28 نوفمبر 1966م: العقيد هواري بومدين رئيس الحكومة الجزائرية ورئيس مجلس الثورة الجزائري، وصل القاهرة بصحبة وفد كبير من رجال حكومته وقادة حزب جبهة التحرير الجزائري. واستقبله في المطار جمال عبد الناصر رئيس ج ع م وأركان الجمهورية، وفي المساء أقام عبد الناصر مأدبة عشاء على شرف الوفد الجزائري، وتبادل الرئيسان العربيان كلمتي ترحيب عبد الناصر حدد نقاطا تلتقي عندها ثورتا القطرين العربيين: فهناك "علاقة خاصة تجمع ما بين الثورة المصرية والثورة الجزائرية". وهذه العلاقة "لها دورها الإيجابي في استكشاف مجالات العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي" في الوطن العربي. وهذه العلاقة ثابتة لا مرحلية، ورحب عبد الناصر بضيوفه خصوصا و"أن هذه الزيارة تجيء في وقت ينقشع فيه الضباب عن القضية الفلسطينية أهم قضايا العرب وأقدسها وأبعدها أثرا على النضال العربي من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة، خصوصا وقد أخذ الشعب الفلسطيني فيها – لأول مرة منذ سنوات طويلة – مكانه الطبيعي كرأس الحربة عن طريق العودة، تسنده قوى الثورة والتقدم". ورد الرئيس الجزائري بكلمة أكد فيها التحام الثورتين العربيتين أمام القوى الرجعية والاستعمارية، وحيا ثورة مصر وشعبها ورئيسها [3].

في يوم الاثنين 05 ديسمبر 1966م: بيان مشترك عن محادثات الرئيسين جمال عبد الناصر والعقيد هواري بومدين، أذيع مساء هذا اليوم في كل من القاهرة والجزائر. وقد أكد الرئيسان في محادثاتهما "حق الشعب العربي الفلسطيني في تحرير بلاده واستعادة أراضيه كما يؤكدان حقه الثابت في تنظيم نضاله وإقامة مؤسساته. وهما في هذا الصدد يؤيدان تأييدا تاما منظمة تحرير فلسطين. ويؤيدان جهودهما التي تستهدف تأكيد الكيان الفلسطيني وتنظيم النضال الشعبي. كما يهيبان بكافة القوى المؤمنة بالعدل والمحبة للسلام أن تؤيد كفاح الشعب الفلسطيني من أجل حقوقه الثابتة في أرضه وفي بلاده"[4].

في يوم الاثنين 27 مارس 1967م : بيان مشترك صدر في الجزائر عن محادثات مختار ولد داده رئيس جمهورية موريطانية والعقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائري ورئيس الحكومة، البيان أكد تضامن البلدين الفعال مع شعب فلسطين في كفاحه الشرعي من أجل تحرير وطنه وندد بالنشاط الإمبريالي الذي تقوم به الصهيونية في العالم. ولد داده الذي وصل اليوم إلى القاهرة أكد من جديد موقف موريتانية من قضية فلسطين في خطاب القاهرة هناك.[5]

في يوم الجمعة 15 سبتمبر 1967م : العقيد هواري بومدين تحدث في احتفال قدم

فيه جاسم محمد أوراق اعتماده سفيرا للعراق في الجزائر، فقال أن الجزائر لن تقبل مطلقا بأي حل لمشكلة الشرق الأوسط بمنح الوجود الصهيوني صفة شرعية، وأعلن أن الجزائر لن تكف عن المطالبة بالحل الحقيقي أي الحل الثوري الذي سيؤدي في النهاية إلى تصفية جميع أنواع الاستغلال الاستعماري في الأرض العربية .[6]

في 12 أوت 1968م: العقيد هواري بومدين رئيس الحكومة الجزائرية ورئيس مجلس الثورة الجزائري، قال في حفلة افتتاح المخيم الثاني للمرشدات العربيات في الجزائر: "أن الاستعمار خلق إسرائيل كقاعدة عدوانية"، فيجب علينا أن نتعاهد جميعا إسقاط وتحطيم هذه القاعدة العسكرية ".[7]

في يوم الاثنين 25 جانفي 1971م : وكالات الأنباء ذكرت أن سورية والجزائر أصدرتا بيانا مشتركا عن المحادثات التي أجراها حافظ الأسد مع هواري بومدين أكدا فيه على ضرورة تعبئة كل طاقات الأمة العربية البشرية والاقتصادية والعسكرية لمواجهة تحديات الإمبريالية والصهيونية من أجل استرداد حق الشعب العربي الفلسطيني المشروع في وطنه وتحرير كل الأراضي العربية المحتلة. وأكد البيان رفض البلدين كل حل لا يعترف بحق الشعب الفلسطيني ووقوفهما إلى جانب المقاومة الفلسطينية التي على الدول العربية حمايتها وتوفير الأسباب التي تمكنها من مواصلة الكفاح. ونددا بشدة بالمحاولات المتواصلة لطعن الثورة الفلسطينية من الخلف قصد تصفيتها. وأكد البيان على ضرورة بذل كل المساعي لتوحيد العمل الفدائي الفلسطيني[8].

في يوم 14 ماي 1973: صحيفة "الشعب" الجزائرية نشرت نص البيان المشترك الصادر عقب لقاء هواري بومدين مع الحبيب بورقيبة في مدينة الكاف التونسية، أكد فيه الطرفان اعتقادهما الراسخ بأن محاولات تصفية الثورة الفلسطينية، لا يمكن أن تضعف من قدرات الأمة العربية وتضاعف الخطر على مستقبلها، وأعلن الرئيسان وقوف بلديهما بكل امكاناتهما إلى جانب الثورة الفلسطينية من أجل حمايتها وتمكينها من مواصلة كفاحها المشروع .[9]

2 - مو اقف الرئيس هواري بومدين المؤيدة لقضية فلسطين بالدعم الحربي:

في يوم الثلاثاء 26 ابريل 1966م: العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائرية ورئيس الحكومة ألقى كلمة في فوج من الضباط الفلسطينيين والإفريقيين الذين تخرجوا من أكاديمية شرشال الحربية في الجزائر، قال فيها: "يجب أن تكونوا واثقين من

النصر النهائي على الصهيونية التي ابتلى بها العالم العربي". أضاف: أن المعركة مع الصهيونية حتمية، وتقدم العالم العربي مرهون بحل قضية فلسطين وبإخراج الصهيونية التي وضعت لإعاقة هذا التقدم.[10]

في يوم الاثنين 09 ماي 1966م: صحيفة "أخبار فلسطين" الصادرة في غزة ذكرت أنه تم تخريج الدفعة الثالثة من المتدربين الفلسطينيين في الكويت. وذكرت أيضا: أن دفعة جديدة من الضباط الفلسطينيين تخرجوا من كلية شرشال العسكرية في الجزائر. العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائرية ورئيس الحكومة جدّد العهد في كلمة التي ألقاها في حفلة تخريج الضباط الفلسطينيين على العمل من أجل استرداد فلسطين، وأكّد استعداد الجزائر لدعم النضال الفلسطيني ماديا ومعنويا وبشريا.[11]

في يوم الاربعاء31 ماي 1967م: جريدة المجاهد الجزائرية نشرت تصريحا أدلى به لها العقيد طاهر الزبيري رئيس أركان الجيش الجزائري، إثر اجتماع خاص لمجلس الدفاع الجزائري عقد برئاسة العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائرية ورئيس الحكومة. العقيد الزبيري قال: "أن وحدات مشتركة كبيرة من الجيش الوطني الجزائري ستتوجه في أية لحظة إلى الشرق الأوسط، ولكنه لم يدل بأية تفصيلات عن تشكيلات القوة أو المكان الذي ستتوجه إليه.[12]

في يوم الاثنين 05 جوان 1967م: وكالة الصحافة الجزائرية أعلنت أن قوات جزائرية ستتوجه إلى الشرق الأوسط الليلة . وكانت محطات الإذاعة الجزائرية تذيع منذ تردد أنباء القتال في الصباح موسيقى عسكرية تتوقف بين الحين والآخر لإذاعة أنباء سير القتال ونداءات إلى الشعب تطلب منه اعتبار نفسه مستنفرا. العقيد هواري بومدين، رئيس الحكومة ورئيس مجلس الثورة الجزائري اتصل هاتفيا بجمال عبد الناصر، وأكد له تأييد الجزائر المطلق للقتال من أجل فلسطين. ونسبت الوكالة الرسمية اليوم إلى نبأ من طرابلس بليبيا قوله: إن 48 طائرة ميج جزائرية مقاتلة مرت فوق الأراضي الليبية في طريقها إلى منطقة المعركة. وقد أعلنت الجزائر حالة الحرب مع إسرائيل. كما أعلنت اليوم حالة الطوارئ بين جميع فرق ووحدات الجيش الجزائري. ومن جهة أخرى وجهت قيادة فرق العاصفة في الجزائر بيانا إلى جميع الفلسطينيين المقيمين في الجزائر للحضور فورا إلى العاصمة استعدادا لدخول المعركة.[13]

في يوم الأحد11 جوان 1967م: راديو الجزائر بدأ يذيع موسيقى عسكرية ويردد شعار

" الموت أو النصر" ، كما ردد الراديو شعارا ثانيا هو أن المعركة ضد الصهيونية والاستعمار ستستمر في الميدان المدني. وجاء الشعاران كصدى لخطاب الرئيس العقيد هواري بومدين، الذي قال أن الحرب لا تكسب ولا تخسر في معركة واحدة. وأن الحرب الحالية لا تستهدف فقط تحرير فلسطين وإنما تحرير العالم العربي من الاستعمار.[14]

في يوم الجمعة 12 إبريل 1968م: العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائري ورئيس الحكومة، استقبل ممثلين عن منظمة فتح وبحث معهم تطورات النشاط الفدائي في الفترة الأخيرة، بومدين أكد تأييد حكومة الجزائر للعمل الفدائي فتح الذين يقاتلون بشجاعة وبطولة.[15]

في يوم الاثنين05 جانفي 1970م: العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائري، قال في مقابلة نشرت في باريس أن الحرب أمر لا يمكن تفاديه في الشرق الأوسط إذا لم تنسحب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وتحل مشكلة فلسطين. وقال أن مما لا يمكن تصوره التفكير في حل لا يحظى بموافقة المقاومة الفلسطينية. وأضاف أن من الواجب أن تتمتع المقاومة الفلسطينية بتأييد مطلق لا تحفّظ فيه من جميع الدول العربية." ويجب أن تتمتع بحرية العمل في الأراضي التي تحتاج إليها كقواعد لكفاحها".[16]

في يوم الثلاثاء 16 جوان 1970م: العقيد هواري بومدين أعلن بحضور فيصل بن عبد العزيز آل سعود في الجزائر مساندة الجزائر للمنظمات الفدائية بلا قيد ولا شرط، وأضاف: أن المغرب العربي الكبير سيكون دعامة للمشرق العربي من أجل حل القضية الفلسطينية.[17]

في يوم الثلاثاء 02 مارس 1971م: العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة ورئيس الحكومة في الجزائر، أرسل رسالة إلى القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية أكد فيها تأييد الجزائر المطلق ووقوفها بصلابة إلى جانب المناضلين الفلسطينيين من أجل استعادة وطنهم. وطلب من الثورة توحيد صفوفها لتصبح يدا واحدة صلبة تقف في وجه مؤامرات العدو ودسائسه التي يحيكها ضد قضيتهم المقدسة.[18]

في يوم الجمعة 07 أبريل 1972م: جريدة الشعب الجزائرية نشرت نص البرقية التي بعث بها العقيد هواري بومدين إلى ياسر عرفات بمناسبة انعقاد المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الفلسطيني قال فيها: "أوكد لكم من جديد تأييدنا الكامل ودعمنا المستمر

لقضيتكم ولكفاحكم العادل."

صحيفة الشعب الجزائرية نشرت نص البيان الجزائري الكوبي المشترك، الصادر عقب انتهاء زيارة فيدل كاسترو للجزائر جاء فيه: إدانة البلدين بشدة لسياسة إسرائيل التوسعية التي تشبثت بفضل المعونة المتعددة الأشكال التي تحصل عليها من حلفائها وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية بسياسة الاعتداء والاحتلال للأقطار العربية. ونوّه الطرفان بالتضحيات التي بذلها الشعب الفلسطيني في كفاحه لاستعادة حقوقه الوطنية. وأكد البيان التأييد الكامل للبلدان العربية التي تحتل إسرائيل أراضيها في استعمال كافة الوسائل التي تراها صالحة بما في ذلك الكفاح المسلح لاسترجاع أقطارها. وأدانا الخطط والمناورات الرامية الى تصفية المقاومة الفلسطينية. وأكد البيان كذلك بأن أي حل عادل لمشكلة المنطقة، يجب أن يأخذ في اعتباره استرجاع الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية.[19]

في يوم الاربعاء 09 ماي 1973م: صحيفة الشعب الجزائرية نشرت نص خطاب ألقاه العقيد هواري بومدين في افتتاح المؤتمر الرابع لقدماء المجاهدين في العاصمة الجزائرية قال فيه أنه يؤمن بحتمية انتصار الشعب الفلسطيني مهما طال الزمن. وقال أن الحل المشرف للقضية العربية هو دخول الجميع ميدان المعركة الفعلية من أجل استرجاع كرامة العرب. وذكر أن المملكة الأردنية الهاشمية أصبحت سورا يقي إسرائيل ضربات المقاومة الفلسطينية. وأضاف أن قوة إسرائيل هي في ضعف العرب. وأكد أن الحرب ضد إسرائيل تشن بالحرب ضد الإمبريالية لأنها القاعدة الأمامية لها في منطقتنا. وتساءل بومدين لماذا لا تستأسد الجيوش العربية إلا على المقاومة الفلسطينية. ودعا إلى وقف النزيف العربي ومجابهة الأعداء بشدة.[20]

3 - مو اقف الرئيس هواري بومدين المؤيدة لقضية فلسطين على مستوى دولي:

في يوم الاثنين 05 جويلية 1965م: العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائري أعلن في بيان أذيع من راديو الجزائر، أنه يتعهد بأن تتعاون الجزائر مع جميع الدول التي تكافح ضد السيطرة الاستعمارية من "فلسطين إلى جنوب أفريقيا تؤيدها".[21]

في يوم السبت 25 ديسمبر 1965م: الصحف الإسرائيلية تناقلت التصريح الذي أدلى به العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائرية ورئيس الحكومة ونشرت قوله: "إن روديسية الاستعمارية ستكون إسرائيل الجديدة في قلب القارة الأفريقية" ، وأنه وعد

محاربة إسرائيل الجديدة بكل ما لديه من إمكانات. قالت أيضا: إن العقيد بومدين معروف بعدائه الشديد لإسرائيل ." [22]

في يوم الجمعة 07 أكتوبر 1966م: العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائرية ورئيس الحكومة الذي يزور يوجوسلافيه، ألقى كلمة في مأدبة أقامها تكريما له المارشال جوزف بروز تيتو الرئيس اليوغسلافي، قال فيها أن مأساة شعب فلسطين، الذي يعتبر ضحية إحدى مؤامرات هذا العصر، تعتبر مثالا حقيقيا للظلم، وهي عار على المجتمع الإنساني الدولي. [23]

في يوم الأحد 04 يوم جوان 1967م: العقيد هواري بومدين، رئيس الحكومة ورئيس مجلس الثورة الجزائرية قال في خطاب أذيع بالراديو هاجم فيه الولايات المتحدة: أن الكفاح العربي يجب أن يؤدي إلى تصفية إسرائيل والقواعد الأمريكية البريطانية في الوطن العربي. وأضاف يقول: لا نستطيع أن نكون أصدقاء للبريطانيين والأمريكيين وندعي في الوقت ذاته أننا ضد الصهيونية. [24]

في يوم الثلاثاء 04 جويلية 1967م: القادة السوفياتيون أبرقوا إلى العقيد هواري بومدين، رئيس مجلس الثورة الجزائرية ورئيس الحكومة، مهنئين بالعيد الخامس لاستقلال الجزائر ومؤكدين وقوف الاتحاد السوفياتي إلى جانب العرب، وتصميمه على ضرورة انسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلية وتعويض الغرب على ما خسروا في الحرب. [25]

في يوم الجمعة 19 إبريل 1968م: ديمتري شيفلاغين سفير الاتحاد السوفياتي الجديد في الجزائر، قال أثناء تسليمه أوراق اعتماده الى العقيد هواري بومدين، الرئيس الجزائري، أن الاتحاد السوفياتي عازم على تأييد جهود الشعوب العربية الرامية إلى وضع حد للعدوان الإسرائيلي. بومدين قال في رده: أن الطريق الوحيد التي من شأنها أن تؤدي إلى حل القضية الفلسطينية هي في مد الفلسطينيين بجميع الوسائل الفعالة التي تسمح لهم بانتزاع السرطان الصهيوني. [26]

في يوم الأربعاء 10 ماي 1972: نشرة فتح ذكرت أن هواري بومدين قال في مأدبة عشاء أقيمت تكريما لزيارة فيدل كاسترو رئيس الوزراء الكوبي، أن الامبريالية ارتكبت العديد من الجرائم بحق الشعوب، وهي تقوم الآن بأبشع المجازر في فلسطين وتطرد أهلها من أراضيهم. وأكد بومدين وقوف الجزائر إلى جانب أشقائها العرب والشعب الفلسطيني. [27]

الخاتمة

من خلال ما ذكرت آنفا ومن خلال ما سجلته لنا اليوميات الفلسطينية، وهي مصدر من مصادر تاريخ فلسطين والبلاد العربية، يتبين لنا أن الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين كان متعاطفا ومؤيدا للقضايا العربية السياسية والتنموية، وقد اشتهر بعداوته للمشروع الصهيوني في فلسطين المحتلة في حله وترحاله، وفي تصريحاته واجتماعاته مع الشخصيات السياسية والعسكرية والعربية والأجنبية رؤساء ووزراء وسفراء، وقد أظهر تأييده لقضية فلسطين في اللقاءات العربية والمؤتمرات العربية والإسلامية والأفروأسيوية وحركة عدم الانحياز وفي المنابر الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة والدلائل والشواهد التاريخية دالة على ذلك، وقد تكون مواقفه الإيجابية هذه كانت من الأسباب التي أدت إلى تصفيته.

الهوامش:

1-اليوميات الفلسطينية الجزء الثاني من 1965/07/01 الى 1965/12/31، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، ديسمبر 1966، ص 158.

2- اليوميات الفلسطينية الجزء الرابع من 1966/07/01 الى 1966/12/31، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، ديسمبر 1967، ص174 .

3- نفسه، ص246.

4- نفسه، ص 258 .

5- اليوميات الفلسطينية الجزء الخامس من 1967/01/01 الى 1967/06/30، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ديسمبر 1967 ، ص384.

6- اليوميات الفلسطينية الجزء السادس من 1967/07/01 الى 1967/12/31، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، جوان 1968، ص ص203 -204.

7- اليوميات الفلسطينية الجزء الثامن من 1968/07/01 الى 1968/12/31 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، جوان 1969 ، ص113 .

8- اليوميات الفلسطينية الجزء الثالث عشر من 1971/01/01 الى 1971/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، اوت 1972 ، ص81 .

9- اليوميات الفلسطينية الجزء السابع عشر من 1973/01/01 الى 1973/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، أكتوبر 1974 ، ص 421 .

10- اليوميات الفلسطينية الجزء الثالث من 1966/01/01 الى 1966/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ماي 1967 ، ص138 .

11- نفسه، ص 160 .

12- اليوميات الفلسطينية الجزء الخامس من 1967/01/01 الى 1967/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة

التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ديسمبر 1967 ، ص514 .
13- نفسه، ص536 .
14-نفسه، ص615 .
15- اليوميات الفلسطينية الجزء السابع من 1968/01/01 الى 1968/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ديسمبر 1968 ، ص 199 .
16- اليوميات الفلسطينية الجزء الحادي عشر من 1970/01/01 الى 1970/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ابريل 1971 ، ص17 .
17- نفسه ، ص543 .
18- اليوميات الفلسطينية الجزء الثالث عشر من 1971/01/01 الى 1971/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، اوت 1972 ، ص243 .
19- اليوميات الفلسطينية الجزء الخامس عشر من 1971/01/01 الى 1971/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، مارس 1974 ، ص381 .
20- اليوميات الفلسطينية الجزء السابع عشر من 1973/01/01 الى 1973/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، أكتوبر 1974 ، ص406 .
21- اليوميات الفلسطينية الجزء الثاني من 1965/07/01 الى 1965/12/31 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ديسمبر 1966 ، ص15 .
22- نفسه، ص269 .
23- اليوميات الفلسطينية الجزء الرابع من 1966/07/01 الى 1966/12/31 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ديسمبر 1967 ، ص144 .
24- اليوميات الفلسطينية الجزء الخامس من 1967/01/01 الى 1967/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ديسمبر 1967 ، ص 526 .
25- اليوميات الفلسطينية الجزء السادس من 1967/07/01 الى 1967/12/31 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، جوان 1968 ، ص 21 .
26- اليوميات الفلسطينية الجزء السابع من 1968/01/01 الى 1968/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ديسمبر 1968 ، ص216 .
27- اليوميات الفلسطينية الجزء الخامس عشر من 1971/01/01 الى 1971/06/30 ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، مارس 1974 ، ص487 .

الجزائر والحرب العربية الإسرائيلية سنة 1967
من خلال رواية العقيد الطاهر زبيري

د/ محمد الحاكم بن عون - جامعة الوادي

مقدمة

بعد ما نالت الجزائر استقلالها عام 1962، ساهمت في حركات التحرر؛ بتأسيس عدة منظمات؛ وإرسال الجيوش؛ لنبذ الاستعمار بمختلف أشكاله في كل من قارتي إفريقيا وآسيا، وخاصة عندما يتعلق الأمر ببلد عربي إسلامي "فلسطين"؛ فشاركت إلى جانب الدول العربية، في التصدي للعدوان الإسرائيلي، ففيم تمثل الدعم الجزائري للقضية الفلسطينية؟ وهل مساهمة الجزائر كانت أثناء معركة 1967؛ أي بعد تدمير سلاح الجو المصري، أم كانت قبل ذلك؟ حيث احتضنت مبادرة المقاومة الفلسطينية- خاصة بعد تأسيس حركة فتح[1]، وما هي مظاهره؟ وهذا ما نطرحه من خلال مذكرات المجاهد الطاهر الزبيري.

أولا-التعريف بالمؤلف: الطاهر زبيري ولد بأم العظايم بسوق أهراس، من عائلة ثورية (أخويه السعيد وبلقاسم مجاهدين)، ومن مفجري الثورة التحريرية، ومن بين قادة الولاية الأولى "الأوراس"؛ فهو رفيق مصطفى بن بولعيد، عيّن قائدا للفيلق الثالث بالقاعدة الشرقية، وقائدا للولاية الأولى عام 1960م.

بعد استقلال الجزائر عيّنه الرئيس أحمد بن بله قائدا للناحية العسكرية الخامسة، ثم قائدا للأركان (1963-1967)، وشارك مع هواري بومدين في انقلاب 19 جوان، 1965 والذي انتهى بتنحية بن بلّه. بينما في 11ديسمبر1967 قاد محاولة انقلاب – فاشلة -على الرئيس هواري بومدين؛ مما اضطره للهروب إلى تونس ومنها إلى سويسرا طالبا اللجوء السياسي، ولم يعد للوطن إلا بعد العفو الرئاسي الذي أطلقه الرئيس الشاذلي بن جديد عام 1980م.[2] له عدة مؤلفات أهمها: "مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين(1929-1962)" وكتاب " نصف قرن من الكفاح(مذكرات قائد أركان جزائري)".

ثانيا-التعريف بالمؤلَّف" نصف قرن من الكفاح (مذكرات قائد أركان جزائري)":

يعدُّ كتاب "نصف قرن من الكفاح (مذكرات قائد أركان جزائري)"من مصادر تاريخ

الجزائر المعاصر، فهو يروي أحداث الثورة التحريرية والأحداث السياسية قبيل وبعد الاستقلال وبناء الدولة الجزائرية والأحداث الإقليمية والعالمية التي عاشها.

والكتاب عبارة عن حوار صحفي خاضته مع العقيد الطاهر زبيري قناة الشروق، وهي التي قامت بنشره في طبعته الأولى عام2011؛ وهو ما تظهره واجهة الكتاب[3] (قناة الجزائر والشروق للإعلام والنشر)، وجاء في 428 صفحة، يحتوي على خمسة عشرة فصلا متسلسلة كرونولوجيا من الفصل الأول المعنون ب"تعييني قائدا للأركان" حتى الفصل الخامس عشر الذي تحدث فيه عن زروال والموسوم ب"زروال...كن أتاتورك الجزائر" إضافة إلى ملاحق تحوي على صور وذكريات العقيد مع رفاقه وأسرته.

ومن بين أهم الأحداث التي رواها في كتابه "حرب الرمال" سنة 1963م والتي دارت رحاها بين الجزائر والمغرب، وكذا التطورات السياسية بين قادة الجيش والرئاسة والخلاف الذي وقع بين السلطة والمعارضة (حسين آيت أحمد) والعلاقة بين هواري بومدين وبن بلة والخلاف الذي وقع بينهما...إلى أن يتحدث عن الرئيسين الشاذلي بن جديد والرئيس محمد الأمين زروال، وما يهمنا في هذا الكتاب حرب 1967م؛ والتي تحدّث عنها في الفصل الثامن الذي عُنون ب" الجزائر وحرب 1967م".

ثالثا-حرب 1967م في كتاب العقيد زبيري:

1-الدعم الجزائري للقضية الفلسطينية قبيل ثورة 1967:

من خلال مذكرات الطاهر زبيري تبين أن موقف الجزائر من القضية لم يكن وليد 1967 فحسب بل كان دعما لا مشروطا حتى وهي ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي الغاشم وتمثل في[4]:

-جمع التبرعات من طرف حركة انتصار الحريات الديمقراطية (حزب الشعب سابقا)، رغم حاجتها الماسة للأموال في التحضير للعمل الثوري آنذاك؛ بعد تأسيس الجناح العسكري أو ما يعرف بالمنظمة الخاصة (OS).

-مشاركة مقاتلين جزائريين في حرب سنة 1948 بعد إعلان الكيان الصهيوني احتلال فلسطين في 15مايو، على غرار الحاج علي النايلي قائد أول فوج مسلح في سوق أهراس.

-العدوان الثلاثي على مصر29 أكتوبر 1956؛ الذي يهدف إلى عزل مصر عن العالم العربي الإسلامي وعن تأييد الثورة الجزائرية بشكل خاص، وما اختطاف الزعماء الخمسة

في 1956/10/22 إلا دليل على ذلك.

-زيارة الوفد الفلسطيني للجزائر – بعد استقلالها - أواخر عام 1964؛ بقيادة ياسر عرفات (أبو عمار)، طالبا دعم الجزائر لتفجير الثورة الفلسطينية، التي مهدت لتأسيس حركة فتح - سعي الجزائر لدعم القضية الفلسطينية سياسيا وعسكريا - رغم المشاكل الداخلية التي تعانيها آنذاك، وهو ما يفسره بقاء أعضاء حركة التحرير الفلسطينية في الجزائر مدة ثلاثة أشهر لانتظار قرار من السلطات الجزائرية؛ وهو ما جاء على لسان أبو جهاد في قوله لمحمد مهري (المحامي الجزائري):" ثلاثة أشهر وأنا في الجزائر ولم أتمكن من لقاء أي مسؤول جزائري" ، وسبب طول هذه المدة، حسب العقيد الطاهر زبيري، عدم وجود قرار سياسي واضح من قبل الرئيس(أحمد بن بلة) يومذاك؛ مما يبين التوتر الحاصل في هرم السلطة، الذي سينجر عنه تنحية الرئيس بن بلة في 19 جوان 1965 بقيادة محمد بو خروبة (هواري بومدين) فبعد لقاء ياسر عرفات بهواري بومدين الذي طلب منه المساعدة لتفجير الثورة الفلسطينية قائلا:

"نريد منكم السلاح وتدريب رجالنا على استعماله ودعمنا بالأموال" . أوصى قائد الأركان (هواري بومدين) بمساعدتهم شريطة أن لا يعلم بن بلة في قوله: للطاهر زبيري: "ساعدهم ولكن إياك أن يسمع بن بلة فهو صديق عبد الناصر"، وهذا الكلام يدل كذلك على العلاقة الوثيقة التي تربط الرئيسين الجزائري والمصري.

2- مظاهر الدعم الجزائري للفلسطينيين:

أ- الدعم العسكري للقضية الفلسطينية (1966): إن تحليل شهادة العقيد الطاهر زبيري التي جاءت في كتابه نصف قرن من الكفاح، مفادها الدعم اللامتناهي واللامشروط للفلسطينيين من خلال:

- تسليم السلاح لحركة التحرير الفلسطينية (فتح)، وهو ما جاء في قوله: "أعطيت الأوامر للنقيب عبد الرحمان بن عطية (مسؤول مخازن الأسلحة)، بأن يسلّم هذه الأسلحة للقادة الفلسطينيين الجدد". كما تم تزويدهم بمخزن للسلاح المتواجد بالأراضي السورية الذي كان تابعا للثورة الجزائرية قائلا: "...ثم أعطيت أوامر للضابط عبد الرحمان ابن عطية بتسليم كامل سلاح هذا المستودع للثوار الفلسطينيين...".

-التدريب والتكوين العسكري للفلسطينيين، حيث أورد قائلا:"...و57 متطوعا أدخلتهم

إلى الأكاديمية العسكرية بشرشال...".

-وصول الجيش العسكري الجزائري في 1967/05/24محملا بعتاد عسكري وقيادات عسكرية تتمثل في:

لواء مشاة بقيادة المقدم عبد الرزاق بوحارة، يوسف بن صيد في قيادة الدبابات، وعبد الحميد شريف قائد المدفعية، والمكي سنوسي قائد كتيبة اللاسلكي، والجهاز الطبي المتمثل في الطبيبين سلوقي ويحياوي المشرفين على الصحة العسكرية، والذي شارك في الحرب من يوم 1967/06/05، ولم تتح له الفرصة والاشتباكات البرية عندما تم قصف السلاح الجي المصري وكذا السوري، وتحدث الرائد بورقعة ما جرى بينه وبين النقيب السوري من مناوشات التي تدل على حماسة الجزائري من جهة والفوضى وعدم التنظيم في صفوف الجيش السوري من جهة أخرى، حيث قال أنه أراد فصف الطيران الإسرائيلي المحلق أسفل الموقع – المحصن - المتواجدين به، فرفض؛ بحجة عدم وصول أوامر، قائلا: " ..وهم هل لديهم أوامر لقصف مواقعنا.."؛ مما أدى إلى تشابك بينهما، وبيّن أن ذلك القائد لم يكن يرتدي الشارة التي تدل على القيادة، فلم يعرف رتبته العسكرية.

-اشترك نصف سلاح الجو الجزائري في المعارك (48 طائرة قتال)، بعدما تم القضاء على سلاح الجو المصري.

ب- الدعم الدبلوماسي للقضية :

1-رحلة الطاهر الزبيري[5] إلى القاهرة: حيث التقى بالرئيس جمال عبد الناصر، والمشير عبد الحكيم عامر؛ وفي هذه الجولة العسكرية بيّن من خلالها العقيد ما يلي:

* استعداد مصر عسكريا للمواجهة الإسرائيلية[6].

*نقص السلاح الجوي المصري؛ لقول عبد الناصر:"لدينا نقص في الطائرات المقاتلة"[7]

2-الجولة الدمشقية:

زيارة وفد دبلوماسي جزائري، لكل من سوريا ومصر[8]، للتأكد من أتون حرب عربية إسرائيلية لتقديم المساعدات في تلك الجبهات، حيث يقول: "طلب مني (هواري بومدين) أن أقوم بزيارات لكل من سوريا ومصر... للتأكد ما إذا كانت المنطقة متجهة للحرب أم أن الأمر مجرد كلام، وبلّغ عبد الناصر والأتاسي تحياتي"، فبيّن العقيد الوضع الداخلي

لسوريا ومدى استعداداتها للحرب فيما يلي[9]:

-فشل وحدتها مع مصر (1958-1961).

-دخولها في سلسلة من الانقلابات العسكرية.

-وضع داخلي غير مستقر.

-تهديدات الصهاينة (في هضبة الجولان)؛ مما جعل عبد الناصر ينذر بحرب إذا تدخل الصهاينة في سوريا انطلاقا من الاتفاقيات المبرمة بينهما.

أبدى العقيد من خلال هذه الجولة انطباعه بأن الجبهة السورية لم تكن على أتم الاستعداد.

3-ظرفية الجزائر قبيل الحرب (1967): من الظروف المحيطة بالجزائر ما يلي[10]:

أ-عسكريا

-الجيش لم يكن في تمام جاهزيته القتالية لحداثة الاستقلال.

-القوات البحرية والجوية كانت في مرحلة التشكل.

-لم يكن سلاح الجو الجزائري يمثل سوى سرب من طائرات "سوخوي" الحديثة الصنع (5 طائرات)، و15 طائرة من نوع ميج المستخدمة للتدريب[11].

ب-سياسيا:[12]

- الصراع على السلطة منذ صائفة 1962 حتى تمت تنحية الرئيس أحمد بن بلة في 1965/06/19 من طرف هواري بومدين، وتشكيل المجلس الأعلى للثورة (التصحيح الثوري).

-توتر العلاقات الجزائرية المصرية بعد 1962/06/19 "فلم تكن في أحسن أحوالها".

4- أول تجربة للجيش الجزائري دفاعا على القضية الفلسطينية: بعد توتر العلاقات الجزائرية المغربية أو ما يعرف بحرب الرمال سنة 1963، شارك الجيش الجزائري في الحرب العربية الإسرائيلية سنة 1967، والتساؤلات المطروحة كيف كانت هذه المشاركة؟ وما أهم معيقاتها؟

بعد قصف إسرائيلي – لم يكن متوقعا - لمعظم المطارات العسكرية في مصر؛ حيث دمّرت معظم طائراتها الحربية وهي رابضة على الأرض. والشيء نفسه حدث للجبهة

السورية؛ فقد حطّم سلاح الجو الاسرائيلي؛ المكوّن من طائرات أمريكية وفرنسية الصنع، فصارت القوّات المصرية والسورية والأردنية دون غطاء جوي يحميها مما سهّل على قوّات العدو الصهيوني قنص الدبابات والآليات وتدمير قواعد ومراكز الجيوش العربية[13].

بعد وصول خبر الهجوم الجوي الاسرائيلي على القوات العربية، قرّر مجلس الثورة إرسال قوات جزائرية على جناح السرعة إلى ميدان المعركة؛ المتمثلة في[14]:

-إرسال 11 طائرة من نوع "ميج" وهي كل ما تملكه الجزائر آنذاك؛ فقد ساهمت الجزائر بكل ما تملكه لمناصرة إخوانها ضد الكيان الصهيوني، بل أراد بعض الطيارين الجزائريين المغامرة لدكّ مواقع إسرائيلية رغم أنّهم لم ينهوا تدريباتهم بعد، وهي من المواقف الحماسية والروح القتالية لدى الجزائري.

-أرسلت باخرة محمّلة بالذخيرة الحربية والدبابات (30 دبابة) وثلاثة فيالق، ولبعد المسافة، لم تصل "الباخرة" إلا بعد أسبوعين إلى خطوط المواجهة، هذه المواجهة التي لم يتحمّل عبد الناصر مواصلتها بعد قصف المطارات.

-استعداد الجيوش البرية الجزائرية، فقد هبّت متحمسة للوصول إلى ميدان المعركة؛ كما وصفها العقيد الطاهر الزبيري قائلا: "...فقد تحرّكت القوات الجزائرية في الشاحنات العسكرية وهتافات الشعب الجزائري والزغاريد تشدّ أزرهم ... لقد كان حلم قهر اليهود يراودنا وتحرير فلسطين يراودنا بعد أن أنهينا تحرير الجزائر"؛ غير أن تراجع القرار المصري حال دون ذلك، مما جعل المشاركة غصة في حلق الجيش الجزائري الذي أراد المشاركة في هذه الحرب بشكل جدّي."

5- الموقف الرسمي بعد الحرب:

اجتمع مجلس قيادة الثورة الجزائري - في جلسة طارئة - يوم 1967/06/06 وقرر ما يلي[15]:

-تعزيز الثورة العربية بكافة الأسلحة وكل العتاد العسكري الضروري لنجاح المعركة.

-تخصيص ميزانية حرب لمواجهة الاحتمالات الطارئة.

-اعتبار كل دولة مساندة لإسرائيل عدوا للجزائر.

-زيارة الرئيس الجزائري (بومدين) إلى موسكو في 1967/06/12 للتباحث في تطورات

قضية الشرق الأوسط وأجمعا على زيارة رئيس الاتحاد السوفياتي نيكولاي بادغورني إلى القاهرة لبحث الموقف مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر .

رابعا-النتائج:

ومن خلال تحليلنا لهذه الورقة البحثية توصلنا إلى النتائج التالية:

-وقوف الجزائر الداعم للقضية الفلسطينية لم يكن وليد الاستقلال، بل كان منذ الانتداب البريطاني ومشاريع التقسيم، وتجلّى بعد الاحتلال الإسرائيلي سنة 1948م، مما يبين أن هذا الموقف راسخ في ثقافة الجزائري العربي المسلم تجاه بيت المقدس.

-كان حماس مصر في قيادة القومية العربية قد ظهر بعد انتصارها عام 1956 "أزمة قناة السويس"؛ والذي كان دبلوماسيا عقب تدخل الاتحاد السوفياتي.

-هزيمة العرب في حرب 1967 وخسارة دول المواجهة لأراضيها مصر(الجنوب) وسوريا (هضبة الجولان) والأردن (الضفة الغربية)، وتعود أسباب "الهزيمة" إلى عدم الاستقرار الداخلي لتلك الدول وإلى عدم التنسيق الجدي بين قادتها في القضاء على العدو "الإسرائيلي "المشترك.

-وصف الطاهر الزبيري ظرفية الجيش الجزائري وإمكانياته الحربية، المحدودة والحديثة.

-لم تتح للجيش الجزائري مشاركة ميدانية برية؛ لبعد المسافة، أما تجربته الجوية فحديثة.

-بعد المسافة بين الجزائر وفلسطين حال دون وصول الامدادات .

-بقاء موقف الجزائر ثابتا تجاه القضية الفلسطينية حكومة وشعبا من خلال تصوير الطاهر الزبيري ووصفه للإمدادات أثناء حرب1967، والموقف الرسمي المتمثل في مقاطعة الكيان الصهيوني والمتعاونين معه والدعم اللامشروط للقضية الفلسطينية على جميع الأصعدة.

الهوامش والاحالات:

1- تأسست في 1965/1/1برئاسة ياسر عرفات (أبو عمار)، وأبرز أعضائها خليل الوزير (أبو جهاد)، والقيادي أحمد وافي(أبو خليل) .

2- الطاهر زبيري، **مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين(1929-1962)**، وحدة الرويبة، الجزائر، ص ص19-33 .

3- غلاف الكتاب من تصميم م.دراري.

4- الطاهر الزبيري، **نصف قرن من الكفاح**، ط1، الشروق للنشر والتوزيع، القبة-الجزائر،2011، ص ص140-167 .

5- كان رفقة الأمين العام لهيئة الأركان شريف مهدي، والرائد عبد اللاوي والرائد الهاشمي هجرس؛ فاستقبلهم في المطار رئيس المخابرات المصرية وعدد من الضباط الساميين بالإضافة إلى الأخضر الإبراهيمي سفير الجزائر في مصر. ينظر: الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح، (المصدر السابق)، ص146 .

6- الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح ، (المصدر السابق)، ص153 .

7- الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح، (المصدر السابق)2011، ، ص147 .

8- لخضر بورقعة، **مذكرات الرائد لخضر بورقعة شاهد على اغتيال الثورة**، ط1، دار الحكمة للترجمة والنشر، الجزائر، 1990، ص149 .

9- الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح، (المصدر السابق)، ص153 .

10- الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح، (المصدر السابق)، ص ص14-152 .

11- المصدر نفسه، ص152 .

12- الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح، (المصدر السابق) ، ص145 .

13- الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح، (المصدر السابق)، ص157 .

14- الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح، (المصدر السابق)، ص158 .

15- ورتي جمال، "مساهمة الجيش الجزائري في الحروب العربية الإسرائيلية"، **مجلة العلوم الإنسانية**، ع29، جوان 2008، المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة، ص ص228.

مواقف الراحل عبد الحميد مهري من القضية الفلسطينية

أ. د / محمد السعيد عقيب – جامعة الوادي

مقدمة

مثلت قضية فلسطين لدى الكثير من رجال الدولة الجزائرية القضية الأساسية للأمة العربية والإسلامية، منذ أن زرع الكيان الصهيوني في قلبها بفلسطين، فجعلوا من هذه القضية أولوية انبروا في موكب الدفاع عنها، بل وربطها البعض منهم بالقضايا الوطنية، وصارت لدى البعض من رجالات الحركة الوطنية والثورة التحريرية - خاصة - مبدأ عاشوا وفقه فكرا وعملا، وجاهروا به في مختلف المحافل والمحطات الداخلية والخارجية، وأعلنوه أمام مختلف الهيئات الوطنية والدولية.

ومن بين أولئك المناضلين الرجل السياسي والمفكر الوطني: "عبد الحميد مهري". فكيف نظر عبد الحميد مهري لقضية فلسطين وماهي أهم مواقفه تجاهها؟

1-نبذة عن حياة عبد الحميد مهري:

ولد عبد الحميد مهري سنة 1926 بمدينة الخروب التابعة لولاية قسنطينة، وانخرط منذ شبابه في صفوف حزب الشعب الجزائري، ثم الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، وقد زج به في السجن من قبل السلطات الفرنسية سنة 1954، بعد اندلاع الثورة الجزائرية، وبعد خروجه من السجن عين ضمن وفد جبهة التحرير الوطني بالخارج، ومثل الجبهة في دمشق، وقد كان عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ثم في لجنة التنسيق والتنفيذ، وعند تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المؤقتة الأولى شغل فيها منصب وزير شؤون شمال إفريقيا، وفي تشكيل الحكومة المؤقتة الثانية عين وزيرا للشؤون الاجتماعية، ثم وزيرا للإعلام والثقافة، كما انتخب أمينا عاما للمؤتمر القومي العربي.[1]

وشغل العديد من المناصب في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية حيث تولى منصب وزير شؤون شمال إفريقيا من 1958 إلى 1959 ثم وزير الشؤون الاجتماعية والثقافية من 1959 إلى غاية 1961.

وتولى منصب الأمانة العامة للجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني ثم منصب الأمين العام للحزب سنة 1988، كما شغل مناصب أخرى من بينها مدير المدرسة العادية لبوزريعة (1964 إلى 1970) والأمين العام لوزارة التعليم (1970 إلى 1977) ثم مدير المدرسة الوطنية لبوزريعة (1978 إلى 1979). وفي المجال الدبلوماسي، عين سفيرا للجزائر بباريس سنة 1984 ثم سفيرا للجزائر بالرباط سنة 1988، كما شغل منصب المندوب الدائم للجمهورية الجزائرية لدى منظمة اليونسكو.[2]

ومن المهام التي تقلدها مهري الأمانة العامة لحزب جبهة التحرير الوطني بين 1988 و1996، وتزامنت مع المرحلة الحساسة التي مرت بها الجزائر، إذ دخلت التعددية السياسية بعد 26 سنة من هيمنة حزب جبهة التحرير الوطني على الحياة السياسية. وكان مهري من دعاة المصالحة خلال تلك الفترة بعد الأحداث التي اندلعت في الجزائر إثر إلغاء انتخابات 1991 والتي فازت بجولتها الأولى " الجبهة الإسلامية للإنقاذ" التي حظرت لاحقا. وبرز دوره من خلال المشاركة في أول محاولة مصالحة من خلال التوقيع على اتفاق سانت ايجيدو بروما (إيطاليا) في 1994.[3]

وانسحب مهري من الحياة السياسية منذ تغييره من منصب الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني عام 1996، لكنه بقي يناضل من أجل التغيير والتداول السلمي للسلطة إلى آخر أيامه من خلال المحاضرات والملتقيات التي شارك فيها، وإبراز رأيه وموقفه على المستجدات وطنيا ودوليا.

وفي يوم الاثنين 2012/01/30 توفي عبد الحميد مهري بمستشفى عين النعجة العسكري بالجزائر العاصمة عن عمر يناهز 85 سنة، بعد أسابيع من الصراع مع المرض.[4]

2-بعض مو اقفه من القضية الفلسطينية:

تميز المفكر عبد الحميد مهري بالإضافة إلى نضاله وجهاده لصالح وطنه الجزائر، بأن اتسع قلبه وعقله لقضايا العرب جميعا وعلى رأسها قضية فلسطين. حيث إنه لم يبد فقط تعاطفا تمليه الروابط القومية والعقائدية كما يفعل المحترمون الكثيرون، بل تجاوز الجميع بأن أجهد عقله بالتفكير في صيغ الصمود والنهوض بالأمة. فموقفه مشهود له من مشروع المغرب العربي وربطه بمشروع التحرير الجزائري وكاستحقاق ضروري له. وكذلك

قضايا العرب جميعا في العراق والسودان ولبنان.[5]

أما فلسطين جوهر قضايا العرب، فكان للأستاذ الكبير المرحوم عبد الحميد مهري موقف ميزه عن كل المساندين والداعمين والمؤيدين للشعب الفلسطيني.. لقد انتقل الأستاذ من موقع المساندة إلى موقع القيادة. ومن موقع التأييد إلى موقع التفكير. ومن موقع الداعم إلى موقع المحرض على الدعم. فكان فلسطيني القضية على اعتبار أنها مكثف قضايا العرب جميعا. لم يكن الموضوع السياسي هو شاغله فقط مع أن الصراع سياسي. فلقد انشغل بالأفكار مولدة السياسة وموجهة الصراع. فكان ضيفا دائما في ملتقيات الفكر العربي في بحث قضايا الوحدة والنهضة والحرية، ولم يتخلف عن موعد قط، متدخلا ومحاضرا، محذرا ومنبها ودالا على سبيل الخروج من المأزق.[6]

ومن أبرز مواقفه، التي أعلنها في مقابلة له مع قناة الجزيرة الاخبارية يوم 2009/01/13- بصفته الأمين العام السابق للمؤتمر القومي - دعا عبد الحميد مهري إلى "مراجعة صريحة للسياسة العربية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي بشقيها المواجهة العسكرية بدون مفاوضات، والمفاوضات دون مقاومة". وقال في مقابلته المذكورة: أن "المطلوب اليوم استراتيجية عربية تأخذ بعين الاعتبار وبواقعية كاملة التجربة الماضية، وتبني استراتيجية شاملة لمواجهة هذا الصراع المفروض على المنطقة، والذي لا يمكن لأي بلد عربي التنصل من آثاره مهما كان البعد الجغرافي أو السياسي". كما رأى أن العدوان الإسرائيلي على غزة جاء نتيجة تطورات سابقة منها فشل التسوية التي بدأت في أوسلو، وتوجه السياسة العربية نحو المفاوضات مع وقف المقاومة، وتقديم مبادرة سلام عربية في قمة بيروت عام 2002 معتبرا أن "السياسة العربية تجاه الصراع فشلت سواء في المفاوضات أو العمل المسلح".[7]

ويقترح مهري مخرجا لما آلت إليه القضية الفلسطينية قائلا: "هذا يفرض مواجهة لا بد منها في المستقبل بكل شجاعة وجرأة وواقعية، طبعا بعد انتهاء العدوان الراهن على غزة وكل ما رافقه من حصار واحتلال، لأن القضية الفلسطينية مرشحة لأن تفرض نفسها على الساحة الدولية سنوات طويلة". وفي تقييمه للتحرك العربي في المحافل الدولية بشأن العدوان الإسرائيلي، قال الأمين العام السابق للمؤتمر القومي: "كان بالإمكان الاستفادة من الأمم المتحدة بطرح لا يقبل الرفض الأميركي، وإن رفضته انكشفت للعالم".[8]

وهذا الطرح في رأيه هو التقدم بشكوى إلى مجلس الأمن بخرق تل أبيب اتفاقية

جنيف الرابعة بشأن حماية المدنيين في الحروب، وتثبيت حالة الخرق ومطالبتها برفع الحصار. ويرى مهري أنه من الممكن أن تستعمل أميركا حق النقض (فيتو) على قرار بوقف العدوان، أما قضية حقوق المدنيين بالحروب فالمسألة تختلف، أي تقديم استراتيجية لمجلس الأمن تتجنب الفيتو من أميركا وغيرها في مجلس الأمن. ويضيف: الولايات المتحدة أمامها حالتان إما احترام الاتفاقية وهذا مكسب وإما تستخدم حق الفيتو بهذه القضية الإنسانية، وهنا أيضا مكسب لكشفنا للعالم سياسة أميركا "أما أن تقدم القرارات بما يرضي الولايات المتحدة، فالأفضل عدم الذهاب للأمم المتحدة".[9]

وحول الخلافات العربية وامتداداتها داخل الصف الفلسطيني، قال: "الخلاف بين الأخوة الفلسطينيين على ما أفهمه من بعيد ليس هو بين الإسلاميين وغير الإسلاميين، هو بالأساس خلاف بين من يريد المفاوضات بدون المقاومة وبين من يريد المقاومة دون مفاوضات". والحل برأي مهري "هو استراتيجية شاملة لا تستبعد العمل المسلح والعمل الدبلوماسي ولا العمل الإعلامي ولا المفاوضات، جميعها مع بعضها ". وردا على وصف المقاومة الإسلامية بالإرهاب، قال: "إن كل هذه المقولات تشبه المقولات الفرنسية ضد جبهة التحرير طوال فترة الحرب" حيث كان الخطاب الفرنسي يصف المقاومة الجزائرية بأنها ذات طابع إسلامي، وتشكل خطرا على أوروبا. ويضيف السياسي الجزائري البارز أن"المقاومة ليست إسلاميين فقط، بل هي متبناة من فلسطينيين وعرب ليسوا إسلاميين ولا مسلمين، لكن الحركات الإسلامية برزت بالمقاومة وأنا أفضل أن نتعامل معهم على أساس مقاومة لا عامل ديني".[10]

وعن الدور الإيراني والتركي بالمنطقة، تساءل مهري "ألا يوجد غيرهما في المنطقة؟ فهما من المنطقة تاريخيا وجغرافيا وسياسيا، ولا ننتظر منهما ألا يكون لهما دور، لكن الغريب أن أميركا تحتل العراق وتطالب جيرانه بعدم التدخل في شؤون العراق الداخلية".[11] ويرى الأمين العام السابق للمؤتمر القومي أنه لو كان المشروع العربي ملأ فراغ المنطقة، لتقلص الدور الإيراني والتركي.[12]

لقد كان عبد الحميد مهري من أبرز المناضلين من أجل الحرية ليس في الجزائر وحدها، بل في كل أصقاع الدنيا، فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بفلسطين بكل ما ترمز إليه من دلالات ومعانٍ. فقد ساهم مساهمة بالغة الأهمية عبر مقالات ورسائل ومحاضرات حول القضية الفلسطينية وتطوراتها، لاسيّما بعد دخولها مرحلة التسويات السياسية،

فقد كان يدّرك أن لكل نضال أو ثورة جانبها السياسي والدبلوماسي، ولكنه كان يدعو إلى إخضاع هذا الجانب لمتطلبات الثورة وأهدافها لا العكس، واضعاً تجربة الثورة الجزائرية في هذا المضمار أمام القادة الفلسطينيين الذين كانت تربطه بهم علاقات وثيقة منذ أن احتضنت الجزائر بعد الاستقلال أول مكتب لحركة فتح قبيل انطلاقتها في يوم 1965/1/1.[13]

أما في مؤسسة القدس الدولية التي أسست في مطلع عام 2002 في بيروت، فقد كان عضواً في مجلس أمنائها، وأول رئيس لفرعها في الجزائر، وكان يواكب أعمالها، ويطوّر آداءها، حريصاً أن تكون إطاراً لدعم القدس وأهلها، وصون مقدساتها، كما تكون إطاراً لجمع شمل كل تيارات الأمة حول هدف جليل. وفي المؤتمر القومي العربي وفي دوراته المتتالية التي حضر معظمها، والتي انتخب فيها مرتان أميناً عاماً للمؤتمر ما بين 1996 – 2000، فقد حرص على قيادة المؤتمر في مراحل عصيبة من حياة الأمة واضعاً خبرته الثمينة وتجربته الغنية في خدمة كل القضايا القومية، وفي مقدمتها قضية فلسطين وقضية العراق وقضايا الحريات والديمقراطية والتعددية السياسية.[14]

وكان الراحل أحد مؤسسي المؤتمر القومي – الإسلامي كمحاولة لبناء كتلة تاريخية تتصدى للتحديات الكبرى التي تواجهها الأمة، وللتلاقي حول المشروع النهضوي العربي الذي أطلقه مركز دراسات الوحدة العربية، وقد كان مهري أحد أعضاء مجلس أمنائه، وفي الملتقيات العربية الدولية التي انعقدت حول عناوين القضية الفلسطينية (القدس، حق العودة، الجولان، دعم المقاومة، نصرة الأسرى في سجون الاحتلال)، كان الراحل في طليعة من لبى دعوات المركز العربي الدولي للتواصل والتضامن (وكان مهري أحد أعضاء هيئته التوجيهية) إلى هذه الملتقيات، ليطلق خلالها رؤاه ومواقفه.[15]

يعد عبد الحميد مهري رجل مواقف بكل ما في الكلمة من معنى، سواء داخل الجزائر أو على مستوى الأمة، لذلك من الصعب الحديث عن موقف أكثر أهمية من الموقف الآخر. ولقد تميّزت مواقفه كلها بالشجاعة والجرأة والرصانة والثبات على المبادئ، فكان نصيرا ثابتاً للحق الفلسطيني الكامل دون تنازل. وقد شارك مهري ببيروت في الاجتماع التحضيري لملتقى مناهضة التمييز العنصري الصهيوني الذي انطلقت الدعوة إليه من قصر الصنوبر في الجزائر، حيث انعقد الملتقى العربي الدولي لنصرة الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال سنة 2011، بمبادرة من المركز العربي الدولي للتواصل والتضامن وجبهة

التحرير الوطني الجزائرية، وكان مهري أيضاً أحد أبرز المشاركين فيه .وفي ذاك الاجتماع الذي شارك فيه أكثر من 80 شخصية عربية ودولية كان لأبي سهيل مداخلات هامة حاول من خلالها نقل تجربة الثورة الجزائرية إلى الثورة الفلسطينية، لاسيّما في مجال انتزاع مقعد لفلسطين في الأمم المتحدة.[16]

وهكذا لم يقتصر نضال المجاهد عبد الحميد مهري فقط في داخل الجزائر بل امتد إلى قضايا الأمة العربية وأرض فلسطين أين انشغل بهمها، فقد كان لا يتخلف عن أي موعد تناقش فيه القضية الأم، وكان يدافع عن حقوق الفلسطينيين من كل مكان، كما أن انضمامه كعضو في مؤسسة القدس يعكس مكانة فلسطين في قلب الرجل. لقد كان عبد الحميد مهري قريبا من نبض الشارع العربي كمثقف وسياسي واع بمشاكل محيطه العربي، فلم يتخلف يوما عن التعبير عن موقفه تجاه القضايا العربية وأهمها القضية الأم قضية فلسطين فقد حملها في تفكيره وفي قلبه، وكان يساهم بأفكاره من أجل تشريح واقعها. [17]

وقد زاد اهتمام المناضل مهري بوضوح بالقضية الفلسطينية التي كانت محور نشاطاته خاصة عندما تولى منصب الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي، فحاول إسماع كلمة الفلسطينيين عاليا، وسعى إلى ذلك جاهدا، حيث واصل تمسكه بالدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني الشقيق الذي لا زال يئن تحت وطأة أكثر الاستعمارات وحشية، فقد كان المجاهد قلقا حول القضية الفلسطينية شأنه شأن كل العرب من واقع القضية الفلسطينية، وواقع العالم العربي الذي تشن عليه حروب حقيقية، كاحتلال العراق وحروب نفسية وسياسية مثل التلويح بخطر الإرهاب الذي يسمح بكل تدخل في الشؤون الداخلية للمنطقة ولكل البلاد العربية، « معبرا عن أمله في أن تكون مثل هذه الملتقيات » بادرة وبدء لفتح نقاش جدي عميق لكل تجربة المواجهة التي قام بها العرب في مواجهة المشروع الصهيوني الذي بدأ تطبيقه بصفة مقننة وبصفة مدعومة من الأمم المتحدة بإنشاء دولة فلسطين «كما أنه كان يدعو إلى تقييم جدي وإلى نظرة ناقدة لمسيرتنا ولاختياراتنا في مجال النضال ضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين ولتثبيت الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني. « معتبرا أنه بدون هذه النظرة الناقدة والفحص الموضوعي للتجربة وما أنتجته من إخفاقات ضروري لوضع المقاومة في المستقبل.».[18]

كما أن المناضل عبد الحميد مهري لم يبق صامتا حيال تهويد القدس بل أبدى رأيه

في إطار مقاربة عامة وكان يقول إنه « من الخطأ محاولة معالجة قضية تهويد القدس بمعزل عن القضية الأم بكل جزئياتها، مضيفا أنه إذا تم طرح القضية الفلسطينية بشكل خاطئ فلن يكون بالإمكان الحصول على نتائج في أي قضية جزئية أخرى، لافتا الانتباه إلى أن المبادرة العربية بشأن فلسطين سلكت طريقا خطيرا عندما ربطت حل الدولتين بقبول إسرائيل». وكان مهري رحمه الله قد حذّر بالقول إن : "الإسرائيليين لا يفرّطون في أي ميدان يعملون فيه لأنهم واقفون موقف مقاومة في وجه المقاومة، والعرب يواجهون ذلك يطرق كلاسيكية لا من الناحية العسكرية والدليل فشلهم في كل الحروب التي خاضوها ضد إسرائيل، ولا من الناحية الدبلوماسية أيضا لأنهم لا يزالون يجنون الفشل تلو الفشل » . وهكذا يرحل مهري مهموما بالقضية الفلسطينية".[19]

وعندما عقدت اللجنة الشعبية لمناصرة فلسطين ودعم المقاومة في غزة بالتعاون مع جريدة الشروق اليومي، يوم 2009/02/08، وتمت وقفة تضامنية إعلامية بمركز الصحافة الدولي، حضرتها عديد الشخصيات السياسية والتاريخية والإعلامية الهامة، أبدت مساندتها الكبيرة والواضحة في دعم المقاومة الفلسطينية. وفي أول مداخلة له دعا عبد الحميد مهري الحكومة الجزائرية إلى اتخاذ موقف سياسي سليم لجانب المقاومة الفلسطينية بحكم النضال الطويل والتجربة الناجحة التي عاشتها الجزائر إبان الثورة التحريرية.[20]

وأشار مهري إلى أن المقاومة الفلسطينية بحاجة اليوم، للدعم السياسي وسط الأطروحات والمزالق السياسية التي تريد أن تسلب منها حقوقها. وأضاف مهري أن إسرائيل هدفها واضح في البطش بالمقاومة وتوقيفها وللأسف - يضيف مهري - إن هناك كثير من الدول العربية التي تدعم فكرة إسرائيل. وكرست فشلا بعد فشل في سياستها الفاشلة وأرادت التضامن من دون مقاومة، وأضاف مهري أن المفاوضات التي تقوم بها إسرائيل مع السلطة الفلسطينية ما هي إلا سياسة لكسب الوقت وحرص كبير على أن تظهر إسرائيل أمام الإعلام بمصافحات وابتسامات وتطبيع شكلي مع السلطة الفلسطينية في سياسة خالية من أي مخطط ومن دون جدول أعمال واضح، وسرعان ما تبسط وجودها على الأراضي الفلسطينية وتمحو ما يسمى بالدولة الفلسطينية. وأضاف عبد الحميد مهري قوله: إن الصراع العربي الإسرائيلي الذي ورغم معاهدة كامب ديفيد ما يزال مرشحا لتطورات خطيرة.[21]

واعتقد الأستاذ عبد الحميد مهري أنه من الخطأ محاولة معالجة قضية تهويد القدس بمعزل عن القضية الأم بكل جزئياتها، مضيفا أنه إذا تم طرح القضية الفلسطينية بشكل خاطئ فلن يكون بالإمكان الحصول على نتائج في أي قضية جزئية أخرى، لافتا إلى أن المبادرة العربية بشأن فلسطين سلكت طريقا خطيرا عندما ربطت حل الدولتين ب "قبول إسرائيل." ويضيف الأستاذ عبد الحميد مهري أن تناول مسألة تهويد القدس من مقاربة عامة، فرغم أنه اعترف بما في القدس من مقدّسات إلا أنها تبقى، في تقديره، الجزء الرمزي من القضية الفلسطينية، وبالتالي فإنه يرى أن المطلوب هو التحصل على الحقوق كاملة انطلاقا من القدس وحلّ أزمة الحدود وتسوية وضعية اللاجئين.[22]

وإذا كان الأستاذ مهري أوضح في مداخلته أن تركيز الجهد على مسألة تهويد القدس يعتبر "خطأ منهجيا"، فإنه في المقابل وضع إسقاطا للمنهجية التي تتبعها إسرائيل في تعاملها مع مختلف القضايا التي تدافع عنها في هذا الإطار حيث أورد أن "المشروع الإسرائيلي لم يتغير منذ البداية، والأكثر من ذلك فإنهم ينفّذونه بمرونة وبشكل يجعله مقبولا لدى الرأي العام الدولي"، مشيرا إلى أن كل الخطوات التي يتّبعها الكيان الصهيوني في القدس يطبّقها في باقي القضايا الأخرى وهذا ما لا يتوفر عند العرب".[23]

وأفاد مهري كذلك أن المبادرة العربية بشأن القضية الفلسطينية وردت فيها جملة تقول "القبول بدولة فلسطينية" وأكد أن استعمال هذه العبارة مقصود، مما يوحي بأن "العرب يسلكون طريقا خطيرة جدا"، ليطلق هنا سلسلة من التساؤلات التي تصب في مجملها ضمن اتجاه واحد وهو: "من يقبل بالآخر فلسطين أم إسرائيل؟"، ومعنى هذا، يضيف المتحدث، "أن العرب علّقوا حق قيام الدولة الفلسطينية وربطوها بشكل مباشر بقبول إسرائيل".[24]

وعلى هذا الأساس هاجم عبد الحميد مهري القادة العرب الذين قال: إنهم "فرحانين" وينتظرون من الرئيس الأمريكي الجديد " باراك أوباما " إقناع الإسرائيليين بالقبول بحل الدولتين "لأنه من الخطأ أن نعطي الحق في قبول أو رفض قيام الدولة الفلسطينية لهذا الكيان"، وبالتالي فإن ممثل "مؤسسة القدس" بالجزائر حينها، لم يتوان في التأكيد بأن المبادرة العربية "ملغمة؛ لأن تكتيك قيام دولة فلسطين لا يمكن ربطه إطلاقا بموقف العدوّ، ولكن للأسف كل التحرّكات تسيّر في هذا الاتجاه؛ فكيف لنا إذن أن ننتظر من

إسرائيل التراجع عن مخططها بتهويد القدس أو أي قضية أخرى"، واستبعد بذلك تحقيق أي مكسب "ما دام السقف العربي متدن بهذا الشكل".[25]

الخاتمة

لقد عاش عبدالحميد مهري مسيرة نضالية حافلة بالمواقف التي عكست قناعاته ومبادئه، التي رسخت لديه من خلال تكوينه الذي كان في محضن الوطنية خلال مرحلة الحركة الوطنية الجزائرية عبر انتمائه لحزب الشعب الجزائري والحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، ثم ركب الثورة الجزائرية، التي ثبتت لديه حتمية الدفاع عن تحرر الشعوب من بطش وسيطرة الاستعمار، إضافة إلى تشبعه بالثقافة العربية والإسلامية، مما زاد في دفاعه عن القضايا المصيرية للأمة العربية والإسلامية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية ذات الامتداد القومي والديني، لذلك سجل المفكر والرجل عبد الحميد مهري محطات واضحة في وقوفه إلى جانب هاته القضية في العديد من مراحلها التي تزامنت مع حياة السيد مهري، وظلت هذه المواقف شاهدة على حياته من أجل أمته ووطنه.

الهوامش والاحالات:

1- جريدة صوت الأحرار، عدد: 30 جانفي2019 .

2- نفسه.

3- النهار أون لاين ، أطلع يوم :2012/01/30 .

4- موقع الجزيرة 2012/01/31 .

5- صالح عوض، " مهري .. فلسطين والعروبة"، الشروق اليومي، عدد يوم 2012/02/03 .

6-نفسه.

7- أميمة أحمد، " عبد الحميد مهري ينتقد غياب الدور العربي في قضايا المنطقة"، **موقع الجزيرة نت**، بتاريخ 2009/01/14 ، أطلع بتاريخ2021/03/02 .

8-نفسه.

9-نفسه.

10-نفسه.

11- **موقع الجزيرة نت**، بتاريخ 2009/01/14 ، أطلع بتاريخ2021/03/02 .

12-نفس.

13- ليلى سالم الشريف، " حوار مع حوار الأستاذ : معن بشور حول الراحل الكبير عبد الحميد مهري"، **شبكة البصرة** بتاريخ : السبت 19 ربيع الأول 1433 / 11 شباط 2012. تاريخ الاطلاع 2021/03/02.

14-نفسه.

15- ليلى سالم الشريف، المرجع السابق.

16-نفسه.

17- سهام بلوصيف:" مهري يرحل مهموما بالقضية الفلسطينية" ، **جريدة صوت الأحرار**، عدد يوم 30 - 01 – 2012 .

18- **جريدة صوت الأحرار**، عدد يوم 30 - 01 – 2012 .

19-نفسه.

20- **الشروق اليومي**، عدد يوم 04 - 02 – 2009. نوال بليلي، مهري:" يدعو لاتخاذ موقف جزائري قوي لدعم الفلسطينيين في وقفة تضامنية حضرتها شخصيات سياسية وتاريخية".

21- **الشروق اليومي**، عدد يوم 04 - 02 – 2009 .

22-نفسه.

23-نفسه.

موقف الجزائر حكومة وشعبا من مسار التسوية والتطبيع

د/ الطاهر فرحات – جامعة الوادي

مقدمة

كانت القضية الفلسطينية ولا زالت حية في ضمير الشعب الجزائري عبرت عنها مواقف النخبة الجزائرية حكومة وشعبا سواء من خلال المساندة الأدبية والمادية للقضية، أو الموقف الواضح من التطبيع ومسار التسوية .

ففي كل المحطات التاريخية للقضية كان الشعب الجزائري حاضرا رسميا وشعبيا لم يتخلف يوما عن نصرة فلسطين، ولم يأل جهدا دون دعمها، ولا يمكن تفسير هذا الاهتمام والدعم إلا بما تحمله القضية من أهمية، وما تحتله فلسطين في وجدان الجزائريين جميعا من قدسية، فقضية فلسطين ترتبط بالدين والعقيدة أهم مقومات الشخصية الجزائرية. والسؤال المطروح كيف تعاملت النخبة الجزائرية (رسميا وشعبيا). من مسار التسوية السلمية والتطبيع؟ وقبل الإجابة عن هذه الإشكالية يجدر بنا أن نعرف كلا من التسوية السلمية أو التطبيع ؟

1- **التسوية السلمية**: هي اللجوء إلى الحل الدبلوماسي أو المفاوضات للوصول إلى حل توافقي يرضي الأطراف المتصارعة ويقضي بتنازلات متبادلة؛ لكن التسوية بالنسبة للقضية الفلسطينية تطرح كخيار استسلامي ذاك أن إسرائيل غير جادة في الصلح مع العرب فهي تريد تسوية بالشروط الإسرائيلية أي القبول بالتطبيع الشامل مع إسرائيل. ومن هنا فالتسوية السلمية والتطبيع هما وجهان لعملة واحدة. أما بالنسبة للأراضي العربية المحتلة فلم تعد إسرائيل تقبل حتى بالحد الأدنى للمطالب العربية التي تتمثل بانسحاب إسرائيل إلى ما وراء حدود 5 حزيران عام 1967.[1]

2- **موقف الجزائر من التسوية السلمية والتطبيع:**

أ . رسميا: يتحدد موقف الجزائر رسميا تبعا للإجماع العربي الرسمي أو لموقف الجامعة العربية التي تعد الجزائر عضوا فيها، وقد اتسم الموقف العربي عموما بالتعرجات نظرا إلى تغير الموقف من مرحلة إلى أخرى فحتى قبل حرب الأيام الستة كان الموقف العربي لا يقبل بالتنازل عن أي شبر من فلسطين ولا يقبل بالصلح أو التفاوض مع إسرائيل.

لكن بعد حرب 1967 تغير الموقف العربي إذ اقتصر المطلب على انسحاب إسرائيل

من الأراضي التي احتلتها عام 1967 بدون شرط ثم تطور الموقف عام 2002 في مؤتمر بيروت، وهي قبول العرب بالاعتراف والسلام مع إسرائيل مقابل إقامة الدولة الفلسطينية في حدود عام 1967. ومن هنا فموقف الجزائر الرسمي يتغير بتغير الإجماع العربي أو قرارات الجامعة العربية، وبالتالي سنتعرض لموقف الجزائر تبعا للحقب المختلفة لنظام الحكم.

* **عهد الرئيس "أحمد بن بلة"**: بعد الاستقلال مباشرة رفضت الجزائر الاعتراف بإسرائيل وانضمت إلى لجنة المقاطعة العربية لإسرائيل ورحبت بعقد اجتماع رسمي لها في15-06 -1964 بعنابة وأصبح عباس عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رئيس مكتب لجنة المقاطعة بالجزائر، وحينها هاجم الرئيس بن بلة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بسبب موقفه القاضي بحل الدولتين، بل هدد بإعادة النظر في العلاقات بين البلدين، فلم تقف الجزائر عند حد عدم التطبيع مع إسرائيل بل كانت لا تقبل أن تتعامل مع دولة تقيم علاقات طبيعية مع إسرائيل.

* **عهد الرئيس "هواري بومدين "**: بقيت الجزائر ثابتة في الموقف من القضية ومن مسار التسوية فهي ترفض التطبيع أو القبول بالتفاوض مع الكيان الإسرائيلي يتأكد هذا من خلال المواقف التالية:

- انسحاب الوفد الجزائري من الدورة العاشرة للجنة الدولية للتحرير في كنشاسا بالزئير في 30-01-1967 بسبب مشاركة سفير إسرائيل.[2]

- رفضت الجزائر قرارات وقف إطلاق النار على إثر حرب 1967 أو الاعتراف بإسرائيل حيث نجد أن كل الدول العربية قبلت بالقرار 2-4-2 ما عدا منظمة التحرير الفلسطينية، وسوريا والجزائر، وفي مؤتمر عدم الانحياز المنعقد بالجزائر عام 1973 أقنعت الجزائر الدول الإفريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل.[3]

- رفضت اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل وشاركت في التأسيس جبهة الصمود والتصدي لمقاومة كل الحلول الجزئية والحلول السلمية غير المشرفة[4] حيث جاء في تصريح للرئيس هواري بومدين أدلى به لصحيفة النهار اللبنانية : « إن كل اتفاق تبرمه مصر أو سوريا أو الأردن يعتبر اتفاقا لاغيا من دون منظمة التحرير الفلسطينية وأن العرب لا يمكن أن يستعيدوا أراضيهم على حساب الفلسطينيين».

* **عهد "الشاذلي بن جديد"** : بقيت الجزائر على نفس الموقف السابق.

- بعد عام 1992 حدث تغير في الموقف الجزائري أملته الظروف الداخلية والخارجية التي تمر بها الجزائر، فالعزلة التي فرضها المحيط الدولي على الجزائر على إثر الازمة السياسية التي عاشتها منذ عام 1992، دفع ذلك أصحاب القرار إلى اتخاذ مواقف أقل حدة من ذي قبل تجسدت في مظاهر التراجع بزيارة وفد من الصحافيين إلى إسرائيل، ولا يمكن أن تكون مثل هذه الزيارات قد حدثت بعيدة عن السلطة خاصة أن أصحابها كانوا يمارسون وظائفهم في قنوات إعلامية كانت قريبة من دوائر صنع القرار الجزائري.

* **عهد الرئيس "عبد العزيز بوتفليقة"** : فقد صرح بأن لا تطبيع إلا بعد انسحاب إسرائيل من الجولان وجنوب لبنان والقدس الشرقية مع الاعتراف بالدولة الفلسطينية، وظل الموقف ثابتا باستثناء اللقاء المفاجئ الذي صافح فيه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رئيس وزراء إسرائيل يهود براك بإسبانيا 25- 07 – 1999، أو السماح بعودة ماسياس أنريكو إلى الجزائر.[5]

* **عهد "عبد المجيد تبون"**: رفضت الجزائر مسار التطبيع التي انخرطت فيه الدول العربية كالإمارات والبحرين والمغرب، حيث قال رئيس الجمهورية عبد الجيد تبون: "نلاحظ نوعا من الهرولة نحو التطبيع، لن نشارك فيها، ولن نباركها ولا حل للقضية إلا بقيام الدولة الفلسطينية في حدود عام 1967 وعاصمتها القدس الشريف".[6]

ب – شعبيا: فالشعب الجزائري مع فلسطين ظالمة أو مظلومة، عبر عن مواقفه من خلال الأهازيج التي كان يرددها في الأندية والملاعب الرياضية، ورفعه للأعلام في كل مناسبة بل إن كثيرا من اللاعبين الجزائريين قاطعوا دورات رياضية دولية بسبب مشاركة الوفد الإسرائيلي.

3-الاتجاهات السياسية المعارضة :

أ – الاتجاه الوطني: وتمثله جبهة التحرير الوطني فموقفها من القضية يتناغم وموقف السلطة فقد اعتبرت جبهة التحرير الوطني أن اتفاق التطبيع بين الإمارات والكيان الصهيوني خنجرا في ظهر القضية الفلسطينية.

ب – الاتجاه الإسلامي: فقد نددت بالتطبيع الذي تسلكه بعض الدول العربية مع إسرائيل فاعتبر حزب العدالة والتنمية بقيادة عبد الله جاب الله أن تطبيع المغرب مع دولة

الاحتلال الإسرائيلي هو ترسيم ما كان موجودا من قبل وما كان سرا أصبح علنا . أما حركة حمس بقيادة عبد الرزاق مقري فقد اعتبرت بأن التطبيع قرار مشؤوم، واعتبرت حركة البناء الوطني بقيادة بن قرينة أن التطبيع اعتداء على حق الشعب الفلسطيني.

ج - **الاتجاه العلماني**: قام بعض أعضاء حزب الأرسدي في عهد السعيد سعدي بزيارة إسرائيل من بينهم "فرحات مهني" و" خليدة مسعودي ". أما حزب العمال بقيادة لويزة حنون فيرفض التطبيع ويعتبره خيانة للقضية الفلسطينية، وتعتبر لويزة حنون أن اتفاق أوسلو يعد النكبة الثانية. وقريب منها موقف حزب الأفافاس الذي كان يتعرض لضغوط من قبل الأممية الاشتراكية لمواقفه.

خاتمة

ما زالت الجزائر وفية لقناعاتها وخياراتها في الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني حتى تحقيق أهدافه وترفض كل مسعى للتطبيع قبل تحقيق هذه الأهداف، كما تدين كل المواقف العربية المتخاذلة التي تقوم بتقديم تنازلات بدون مقابل كالذي قامت به الإمارات والمغرب والبحرين، ولا يمكن تفسير هذا التخاذل إلا بالخيانة والخضوع للإملاءات من القوى الأجنبية الاستعمارية.

الهوامش والاحالات:

1- فرحات الطاهر، **"قضية فلسطين بين مشروعي المقاومة والمفاوضات"**، رسالة دكتوراه بجامعة الشهيد حمة لخضر بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، تحت إشراف: أ.د. علي غنابزية، 2020، ص168.

2- محمد تامالت، العلاقات الجزائرية الإسرائيلية، دار الأمة.

3- الطاهر فرحات، مرجع سابق ص 221.

4- نفسه ص 145.

5- محمد تامالت، المرجع السابق.

6- تصريحات للرئيس مسجلة.

القسم الخامس

الصحافة الجزائرية وقضية فلسطين

مواقف الصحافة الجزائرية من ميلاد اسرائيل
(صحيفة المغرب العربي أنموذجا)

د/ محمد بك – جامعة عنابة

مقدمة

يعود اهتمام الجزائريين بالقضية الفلسطينية الى إصدار وعد بلفور في 02 نوفمبر 1917 وفرض الانتداب البريطاني على فلسطين بعد مساهمة مؤتمر سان ريمو 1920م بتقسيم سوريا الكبرى بين فرنسا وبريطانيا، هنا استنكر الجزائريون التآمر الذي تعرض له الشعب الفلسطيني على أيدي التعاون الإنجليزي الصهيوني، وتجلت المواقف الجزائرية في المحاضرات والدروس والكتابات الصحفية والأشعار[1]. ومن أهم الصحف الجزائرية الصادرة بعد قيام الكيان الصهيوني. جريدة المغرب العربي، فما هو خطها، وفيما تركزت مواقفها؟

جريدة المغرب العربي: هي صحيفة أسبوعية ناطقة باسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، كانت تصدر باللغة العربية عدا بعض الأعداد الخاصة التي صدرت باللغة الفرنسية، وقد استمرت تصدر من جوان 1947 إلى نهاية سنة 1949.[2]

أولا - مو اقف صحيفة المغرب العربي من تقسيم فلسطين:

كانت فكرة التقسيم من وسائل بريطانيا السياسية لحل المشاكل الاستعمارية المستعصية عليها، لقد نددت حركة انتصار الحريات الديمقراطية بقرار تقسيم فلسطين في 29 نوفمبر 1947م، عندما أرسل أحمد مصالي الحاج إلى هيئة الأمم المتحدة مذكرة يحتج فيها على قيام دولة يهودية في فلسطين وأعلن تضامنه وتضامن الجزائريين مع الشعب الفلسطيني في حربه ضد اليهود الصهاينة، وبعث بنسخة من هذه المذكرة إلى عزام باشا أمين الجامعة العربية بواسطة الشاذلي المكي مندوب الحركة بالقاهرة. [3]

وكتبت جريدة المغرب العربي: لقد اعتنى حزب الشعب الجزائري، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية بقضية فلسطين، وكانت الدعوة لمناصرتها الهدف الأساسي للحركة الوطنية لذلك عملت على نشر العديد من المنشورات عن فلسطين العربية. [4]

وكتبت جريدة المغرب العربي مقالا بعنوان" تقسيم فلسطين بين العرب واليهود" تؤكد فيه أن هيئة الأمم المتحدة تحكمت بتقسيم فلسطين وأعطت اليهود ما لا حق لهم فيه وهو حكم جائر مجحف بحق العرب أصحاب البلاد الشرعيين، وهو حكم غير قابل

للتنفيذ بأية حال وغاية ما في هذا الحكم هو أن هيئة الأمم المتحدة قد برهنت مرة أخرى على أنها لا تزال سياستها تضرم صدورهم بالأحقاد والضغائن والنزاعات الصليبية التي يشنها على الإسلام لا تزال منذ أكثر من ثلاثة قرون، وأن ساسة هذه الأمم الكبرى يتسابقون إلى خدمة الصهيونية ويترامون على أقدامها ... إن العرب واقفون تمام الوقوف على جميع الحركات والأعمال الإجرامية التي تمارسها المنظمات الصهيونية في هذه البلاد تحديا واستفزازا للشعور القومي في الجزائر، كما أنهم على أساس الأهبة والاستعداد لمقابلة النشاط الصهيوني بالمثل ولا تستطيع أي قوة في العالم أن تمنع العرب الجزائريين من الالتحاق ببقية إخوانهم المجاهدين...".[5]

كذلك كتبت مقالا بعنوان:" يجب أن تبقى فلسطين عربية مستقلة "، أكدت فيه أن هيئة الأمم المتحدة اتخذت قرارا خطيرا أصبحت به العربة بأيدي الاستعمار الصهيوني وذلك بمصادقتها على تقسيم فلسطين، فهيئة الأمم المتحدة أنشئت للمحافظة على الحق المقدس للشعوب وهو حقها في حكم نفسها، لكنها نكثت عهدها ووضعت اليوم شعبا عربيا بمنزلة العبيد لفئة قليلة من المستعمرين الصهيونيين، ومهمة المنظمة الدولية هذه هي إنشاء عالم جديد يسوده العدل والديمقراطية، بعد هذه الحرب الطاحنة لكنها نقضت مبادئها وأهانت العرب والعروبة؛ لأنها استعملت القوة الغاشمة في فصلها لقضية فلسطين.[6]

ثانيا - مو اقف صحيفة المغرب العربي من ميلاد اسرائيل:

لقد نددت حركة انتصار الحريات الديمقراطية بقرار إعلان قيام إسرائيل في 15 ماي 1948م ودعت العرب حكاما وشعوبا إلى التكاتف لإنقاذ فلسطين من الاستعمار الإنجليزي البغيض والتهويد. وكانت جريدة المغرب العربي مرآة لحركة أحمد مصالي الحاج ومعارضته لقيام إسرائيل، حيث كتبت: "فأرسل مصالي الحاج مذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة يحتج فيها على قيام دولة يهودية في فلسطين ويعلن عن تضامن المسلمين الجزائريين مع الشعب الفلسطيني في حربه ضد اليهود الصهاينة وبعث بنسخة من هذه المذكرة إلى عزام باشا واستلم الرد من عزام باشا بالشكر لإخوانه على اهتمامهم وجهادهم في سبيل القضية الفلسطينية".[7]

وكتبت الجريدة أيضا: "بحلول عام 1948م اشتدت على العرب وأصبحت الحرب بينهم وبين الصهاينة قاب قوسين أو أدنى، فشعر العرب المسلمون بضخامة المسؤولية وبوجوب مضاعفة مساعدتهم لإخوانهم الفلسطينيين".[8]

كذلك كتبت في مقال آخر تحت عنوان: "هل تحتل الجيوش العربية فلسطين قريبا؟ أكدت فيه أن الأخبار الواردة من مختلف المصادر تقول الدول المنخرطة في الجامعة العربية قد قررت في الاجتماع الذي عقدته لجنتها السياسية تنفيذ القرارات التي تقضي أن تشن جيوش الجامعة العربية هجوما على أوكار البريطانيين في فلسطين وذلك فيما إذا كان حكم هيئة الأمم المتحدة في غير مصلحة هيئة العرب سكان البلاد.

ومما لا شك فيه أن ولادة الكيان الصهيوني وجد الدعم الكامل من الدول الأوروبية الاستعمارية، ونخص بالذكر هنا فرنسا التي صوتت مؤيدة تقسيم فلسطين في 1947م، حيث ذكرت جريدة المغرب العربي على أن الفرصة كانت سانحة لفرنسا أن تنتهزها وتظهر صداقتها وولائها للأمة العربية الكبرى، غير أن الساسة الفرنسيين برهنوا على أنهم العربة في أيدي الصهيونية لا يملكون منها لأنفسهم أي شيء، كذلك كان بإمكان الوفد الفرنسي في هيئة الأمم المتحدة أن يضرب عن التصويت بتاتا في قضية فلسطين كما فعلت بريطانيا العظمى.

-تشكيل الهيئة العليا لإغاثة فلسطين:

في سنة 1947م أسس الطيب العقبي بنادي الترقي لجنة الدفاع عن فلسطين وتدويل القضية الفلسطينية، والظاهر أن العقبي لم يرد العمل الفردي من أجل القضية الفلسطينية فكان يرى في العمل الجماعي القوة الناجحة وأنه حان الوقت لتوحيد الرأي العام الجزائري لتدعيم فلسطين، ولهذا اتصل بالهيئات والأحزاب الوطنية، ودعا محمد البشير الابراهيمي ممثل الجمعية إلى الاجتماع للتشاور والحوار حول ضرورة تكوين لجنة مشتركة.[9] فنشأت الهيئة العليا لفلسطين، وتشكلت لجنة تنفيذية وفروع تابعة لها في المدن الجزائرية تمثل أهم نشاط قامت به هو تعبئة الجماهير وجمع الأموال.[10]

وضمت الهيئة العليا لإغاثة فلسطين كل من: محمد البشير الابراهيمي رئيسا لها، فرحات عباس كاتبا عاما، الطيب العقبي أمينا عاما، إبراهيم بيوض نائبا له.

وذكرت جريدة المغرب العربي أن حزب الشعب الجزائري رفض المشاركة فيها، فأسس النواب الجزائريون المنتمون لحزب الشعب الجزائري الهيئة الجزائرية العليا لمساعدة فلسطين العربية، هذا الاختلاف بين الهيئات والأحزاب على من يرأس الهيئة العليا لإغاثة فلسطين، ولذا لم تشارك حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وقد واصلت منفردة في دعم القضية الفلسطينية التي قام زعماؤها بجمع التبرعات لحركة الجهاد المقدس.[11]

وذكرت جريدة المغرب العربي أيضا: لقد أراد الوطنيون إنشاء اللجنة على قواعد

صحيحة وأسس متينة لكي لا يكون مصيرها كمصير المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936م، الذي راح ضحية المسائل الحزبية والشخصية وكذلك الأمر بالنسبة لأحباب البيان والحرية عام 1944م.[12]

ثالثا - موقف صحيفة المغرب العربي من مشاركة الجزائريين في حرب 1948م:

عندما انفجرت الأحداث في فلسطين عام 1948م، وتعالت صيحات التطوع التي أطلقها مفتي فلسطين الأكبر محمد الأمين الحسيني، ورددتها الجامعة العربية في القاهرة، حتى هب الشباب العربي من كل صوب ومن ضمنهم الشباب الجزائري الذين أقبلوا على التطوع للقتال في فلسطين، وكان دافعهم في ذلك دافعا دينيا وقوميا يتمثل في الجهاد في سبيل الله، وحماية العتبات المقدسة الإسلام في القدس الشريف ودافعا قوميا يتمثل في صد الاعتداء الأجنبي عن الأمة العربية، فتحرير فلسطين في نظرهم هو بمثابة تحرير الأمة العربية جمعاء من الصهاينة.[13]

وقد ساهمت الإذاعات العربية والصحافة العربية في عملية التعبئة للقتال في فلسطين، ولما وصل إلى مسامع الجزائريين نداءات من زعماء الحركة الوطنية ورجال الإصلاح للجهاد في فلسطين، نظم كل من حزب الشعب الجزائري، وجمعية العلماء حملات تعبئة ومساندة لجمع المال بهدف دعم الثوار في فلسطين.[14]

وذكرت جريدة المغرب العربي أن الطيب العقبي أسند مهمة التطوع والتعبئة لحرب فلسطين 1948م إلى مصالي الحاج لما لحزبه من شعبية كبيرة واقترح أحمد مزغنة نائب مصالي الحاج في اجتماع الهيئة إرسال فصائل من المتطوعين الجزائريين علنا إلى ميدان الشرف في فلسطين.[15]

وكتبت جريدة المغرب العربي "وقد احتج وفد من حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على الإجرام الصهيوني في الجزائر وتهريب اليهود إلى فلسطين لمقاتلة العرب، لكن الحكومة الفرنسية لم تأبه لهذا الاحتجاج، هنا تحداها الوطنيون الجزائريون ونشطوا في التطوع لتحرير فلسطين".[16]

ونشرت عدة مقالات لجريدة المغرب العربي منها مقال بعنوان: " الجزائر تهب لنصرة فلسطين " أكد فيه أن الإنجليز والفرنسيين يقفون في وجه المتطوعين والدليل على ذلك أن السلطة العسكرية البريطانية اعتقلت في ليبيا في الأيام الأخيرة عددا من الشباب العرب الجزائريين، فمنهم من زجت به في السجون، ومنهم من سلمتهم إلى السلطة العسكرية

الفرنسية بالجنوب التونسي.[17]

وكتبت جريدة المغرب العربي: "... اعتقل الفرنسيون عددا آخر من شبان الجزائر والمغرب الأقصى وهم على وشك أن يجتازوا الحدود إلى طرابلس الغرب وجميع هؤلاء الشبان الجزائريون والمراكشيون كانوا في طريقهم إلى مصر كانوا ينوون الالتحاق بمجموع المقاتلين العرب الذين يستعدون لخوض غمار الجهاد لإنقاذ فلسطين".[18]

وكتبت جريدة المغرب العربي أيضا: لكن السلطات البريطانية اعتقلت في ليبيا عددا كبيرا من الشباب العرب الجزائريين فمنهم من وضعته في السجن ومنهم من سلمته الى السلطات العسكرية الفرنسية بالجنوب التونسي، كذلك اعتقل الفرنسيون عددا من شبان الجزائر والمغرب الأقصى وهم على وشك أن يجتازوا الحدود إلى طرابلس الغرب، وجميع هؤلاء الشباب الذين تم القبض عليهم كانوا يريدون الالتحاق بالمتطوعين العرب لإنقاذ فلسطين[19]. وتوزعت مشاركة المتطوعين الجزائريين للقتال في فلسطين على قسمين هما :

- قسم شارك على الجبهة الشمالية من فلسطين ضمن الفوج التاسع السوري.
- قسم شارك على الجبهة الجنوبية من فلسطين ضمن القوات المصرية الخفيفة مع فيالق الإخوان المسلمين المصريين تحت قيادة أحمد عبد العزيز.[20]

وكتبت جريدة المغرب العربي: "شارك المتطوعون الجزائريون في القطاع الجنوبي مع إخوانهم التونسيين في كثير من المعارك الدفاعية والهجومية التي خاضها الإخوان المسلمون في جنوب فلسطين، من بينهم الهجوم على مستعمرة كفر داروم بالقرب من بلدة دير البلح، وبمساعدة الجيش المصري استطاعوا اقتحامها وتكبيد الصهاينة خسائر معتبرة وذلك في ماي 1948م، ومن المناضلين الجزائريين الذين شاركوا في هذه المعركة نذكر منهم حرشاوي عبد القادر من الأصنام، بلقاسم عبد القادر من الجزائر، عبد القادر المليانى ومصطفى من معسكر، وقد استشهد في المعركة تسعة مجاهدين أربعة من تونس وخمسة من الجزائر." [21]

بلغ عدد المتطوعين في حرب فلسطين سنة 1948 م بين 220 و260 مجاهد ضمتهم الكتيبة المغاربية الأولى بالنقب وبيت لحم والكتيبة الثانية التي سميت بالفوج التاسع بالجبهة الشمالية مع الجيش السوري بشمال قطاع غزة وبعض المتطوعين بجيش الجهاد المقدس للحسيني ولا يدخل في هذا الإحصاء المجاهدون الجزائريون القاطنون بفلسطين وسوريا والمقدر عددهم بالمئات وبقي عدد آخر ينتظر في مراكز التطوع في سوريا ومصر.[22]

خاتمة

وختاما يتضح لنا أن الوازع الديني والحس القومي في الجزائر حرك الزعماء والرجال والأقلام النيرة، حيث كانت المشاركة والمساهمة في حركة الجهاد المقدس ودعم المقاومة والنضال في فلسطين بالرغم من خضوع الجزائر لأبشع استعمار استيطاني الذي كبّل وقيّد مواقفها وأفعالها إزاء فلسطين في سنة 1948م.

الهوامش والاحالات:

1-أحمد مريوش، **الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2007 ، ص ص 414 – 415 .

2- عواطف عبد الرحمان، **الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954 – 1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 ، ص 44 .**

3- أحمد شفيق أحمد أبو جزر، **العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي**، دار هومة للطباعة والنشر،2004 ، 204 .

4- جريدة المغرب العربي، العدد 25 في 07 جويلية 1948 .

5- جريدة المغرب العربي، السنة الأولى العدد 15 ، 3 صفر 1367 هـ / 1948م.

6- جريدة المغرب العربي، العدد 15 ، 1948 .

7- جريدة المغرب العربي، العدد 44 في 09 جمادي الثانية 1368 هـ .

8- جريدة المغرب العربي، العدد 25 في 07 جويلية 1948 .

9- أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية، المرجع السابق ، ص ص 414 – 415 .

10- حمدي أبوبكر الصديق، **دراسات وأعلام في الحركة الإصلاحية الجزائرية**، دار المتعلم للنشر والتوزيع، 2015 ، ص121 .

11- جريدة المغرب العربي، العدد 34، يوم 05 نوفمبر 1948م.

12- جريدة المغرب العربي، السنة الأولى، العدد 25، يوم 07 جويلية 1948 م.

13- أحمد شفيق أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص244 .

14- عبد الغني إبراهيم بلقيروس، **صفحات من جهاد الجزائريين بفلسطين1928 -1949**، ط1، دار الخلدونية، 2010 ، ص69 .

15- جريدة المغرب العربي، العدد 25، يوم 07 جويلية 1948م .

16- جريدة المغرب العربي، العدد 16، يوم 26 ديسمبر 1947م.

17- جريدة المغرب العربي، السنة الأولى ، العدد 16، صفر 1367 هـ.

18- جريدة المغرب العربي، العدد 44 في 09 جمادي الثانية 1368 هـ.

19- جريدة المغرب العربي، العدد 16، يوم 26 ديسمبر 1947م.

20- أحمد شفيق أحمد أبو جزر، المرجع السابق ، ص257 .

21- جريدة المغرب العربي، العدد 32، يوم 02 أكتوبر1948م.

22- عبد الغني ابراهيم بلقيروس، المرجع السابق ، ص ص72 – 77.

انطلاق الانتفاضة الفلسطينية سنتي (1987-1988)
من خلال كتابات النخبة الصحفية في مجلة المجاهد الجزائرية

أ.د/ علي غنابزية - جامعة الوادي

مقدمة

كانت البلاد الإسلامية عزيزة الجانب، موفورة الكرامة في زمن السيادة التي بلغتها الأمة الإسلامية شرقا وغربا، ولم تشعر البلدان التابعة لسلطانها بالغربة أو التخلي عن أرضها عند مداهمة المعتدين من المستعمرين، بل تنهض جميعها وترد كيد الظالمين.

ولما ضعفت الأمة في القرن العشرين، وتهاوت معاول الهدم على الخلافة العثمانية، الحارسة لبلاد العرب والمسلمين، ضاعت فلسطين وغيرها من البلدان. ولما وقعت المحنة، قامت قيامة العرب، وثار الفلسطينيون، منذ الثلاثينيات، واستمر جهادهم لليهود إلى وقت كتابة هذه الصفحات، بدون كلل أو ملل، وبشتى الوسائل والسبل.

وتعتبر الانتفاضة الشعبية التي انطلقت في العقد ما قبل الأخير من القرن العشرين، نقلة نوعية في المواجهة؛ لأنها نابعة من صحوة الشعوب الإسلامية، من الدعة والاستكانة، والرجوع إلى منابع الإسلام، ولذاك قاد الانتفاضة شباب المساجد، وسلاحهم الحجارة والمولوتوف، ولكن ذلك أزعج اليهود ومن يدعم وجودهم من حكام الغرب. وأمام هذه الانطلاقة، تعددت مواقف الدول العربية، وكان للنخب نظرتهم للانتفاضة، وخصوصا الكتابات الجزائرية في عامي 1987-1988، ولا سيما في الصحف والمجلات. واخترت مجلة المجاهد الجزائرية، وهي لسان حال حزب جبهة التحرير الوطني – قبل التعددية السياسية – وموقفها من القضية الفلسطينية من خلال أحداث الانتفاضة، وما تلاها من مواقف ومؤتمرات عقدت في الجزائر وغيرها، فما هو موقفها، وهل اتبع الصحفيون في مقالاتهم، وتغطية الأحداث، الموضوعية في الطرح؟

وهذا التساؤل يجيب عليه هذا المقال التاريخي، والعبرة في تحليل ومناقشة ما ورد من أفكار في الصفحات التي غطت مجريات الانتفاضة. واخترت خمسة أعداد من المجلة، أولها بتاريخ جانفي 1988، والخامس في أكتوبر 1988، وكلها تحدد الرؤية القريبة من الجهات الرسمية.

1-الانتفاضة الفلسطينية (1987-1988):

عندما تيقن الفلسطينيون من مكر اليهود وعملهم المتواصل، وهم في صراع مرير، أخذ أشكالا من الصدامات والحروب، ولا سيما بعد إعلان الكيان الصهيوني المغتصب للأرض، وتواصلت الصدامات والثورات الشعبية. ولا تخلو مناسبة من التعبير الثوري من الفلسطينيين، ففي يوم 29 نوفمبر 1987، انتفض الشعب بمظاهرات عنيفة وحاشدة في جميع المدن والقرى والمخيمات بالضفة الغربية وقطاع غزة المحتلتين، بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، ووقعت اشتباكات مع قوات العدو.[1]

ومن هذا المنطلق، تعتبر الانتفاضة الأولى 8 ديسمبر 1987 - في أساسها - امتدادا طبيعيا للعمل الثوري السابق، ولكن في حقيقتها، هي صورة معبرة عن دخول الشعب الفلسطيني في صدام شديد، وبأسلوب جديد، كان وقود معركته الشباب والأطفال على وجه الخصوص، سلاحهم الحجارة، والتي أربكت الآلة العسكرية الصهيونية.

أ. أسباب الانتفاضة:

إن ظروف الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال، كلها أسباب متراكمة جعلت الشعب ينتفض عند كل حادث أو سلوك سلبي تمارسه السلطات الصهيونية، ولكن في هذا الوقت، تفجرت الانتفاضة الأولى، وكانت شرارة اشتعالها هي الحادثة التالية:

إن الجذور الأولى للانتفاضة بدأت يوم 6 ديسمبر1987، عندما قُتل رجل الأعمال الإسرائيلي (شلومو سيكل) طعنا بالسكين في مدينة غزة. ولكن تطور الأمر في يوم 8 ديسمبر، ليكون يوما مميزا، وبداية انطلاق الانتفاضة. عندما صدمت شاحنة إسرائيلية كبيرة شاحنتين صغيرتين، فقتلت أربعة فلسطينيين من مخيم جباليا شمال قطاع غزة. وحينها أشيع أن سائق الشاحنة من أقارب(سيكل). ويومئذ بدأت الاضطرابات في مخيم جباليا، ثم عمت كامل قطاع غزة وامتدت إلى مختلف أرجاء الضفة الغربية، وكان المتظاهرون يحرقون الإطارات المطاطية، ويرمون الحجارة وزجاجات المولوتوف وغيرها على الشرطة اليهودية، وواجهتهم القوات الإسرائيلية بقنابل الغاز المسيل للدموع والهراوات ومدافع الماء والذخيرة الحية، وبكل ما حشدت إسرائيل من وسائل تفريق الجموع ووضعتها في تصرف الجيش.[2]

ومما حققته الانتفاضة هي وحدة الفصائل والقوى الوطنية، وحققت وحدة الشعب المحتل عام 1948، وعام 1967، وأخذت تحقق وحدة الكفاح المسلح بينهم، وصارت

الانتفاضة بكل أسلحتها، والشعارات موحدة والتي رفعت في نفس الأماكن في القدس وغزة ونابلس والخليل، بل وتعدتها إلى الجولان. وكسرت عامل الخوف في نفوس الفلسطينيين.[3]

2-مسار الانتفاضة من خلال تغطية مجلة المجاهد في الأشهر الأولى من عام 1988:

عندما تصفحنا بعض أعداد مجلة المجاهد في الأشهر الأولى من عام 1988، وجدناها في أغلبها بقلم أحد الصحفيين الذي أشار إلى اسمه بحرف إلى لقبه، واسم واضح، (ع. يونس). وهي كتابات اتضح منها خط المجلة، والتي تمثل اللسان الناطق باسم الحزب الواحد في الجزائر آنذاك، وهي من ميراث الثورة الجزائرية، وهو حزب جبهة التحرير الوطني.

. المجلة الأولى: بتاريخ 1 جانفي 1988:

واحتوت على عدة مواضيع حول فلسطين:

- موضوع: فلسطين -الأرض والشعب، كتبه: عمر قادري مسؤول الاعلام الفلسطيني في الجزائر.

- موضوع بعنوان: إنها فلسطين، كتبه ج ي:

تمثل الشهر الثاني من الانتفاضة:

هل كانت الانتفاضة مفاجئة؟

- تفاجأ الصهاينة، وحاولوا تغييب الانتفاضة وطمس نتائجها.

- شارك فيها معظم الشعب، وامتدت إلى أراضي 1948.

- المزيد من العنف من الاحتلال الصهيوني، مثل إطلاق النار على العزل، ملاحقة الجرحى في المستشفيات وضربهم واعتقالهم وقتلهم. مداهمات، ومحاكمات فورية، واعتقال في صفوف تلاميذ المدارس الابتدائية والاعدادية.

- استعمال الذخيرة الحية ضد المتظاهرين.

- أهداف ونتائج:

حققت الانتفاضة مجموعة من الأهداف:

- أظهرت أن طريق التحرير هو التضحية والفداء والتماسك.

- أبرزت شموخ الشعب، وبينت كيف هو واحد موحد تحت راية منظمة التحرير.

- أظهرت للرأي العام العالمي الحقيقة العدوانية للكيان الصهيوني.

- أكدت أن التضحية الفلسطينية قضية كفاح وتحرر وطني في مقدمة قضايا التحرر الوطني في العالم الراهن.

- أبرزت حدود التأييد والتعاطف العالمي مع القضية النبيلة.

- وضحت خشية المفكرين الصهاينة من الأجيال الفلسطينية الجديدة، فهذا (بنيامين بن اليعازرا عضو الكنيست) يصف أطفال الحجارة، بأنهم يتمتعون بسواعد قوية في إلقاء الحجارة وسيقان أقوى في الهرب كما أنهم يعون قضيتهم رغم صغر سنهم.. أما هؤلاء الأطفال الذين يرتدون الجينز والأديداس أكثر تفجراً وحقداً لإسرائيل من غيرهم وأنهم لا يهاجمون الجنود بالحجارة والعصي فحسب بل وبالفؤوس والسكاكين.

وأكد في آخر مقاله أن الثورة الفلسطينية التي انطلقت 1 جانفي 1965 ما زالت متواصلة، وختمه بقوله: (فبوركت أيها الشعب العظيم بوركت حجارتك المقدسة. ودماؤك الطاهرة. وبوركت فلسطين عربية مستقلة).[4]

المجلة الثانية: بتاريخ 15 جانفي 1988:

كتب المقال: ع يونس: مهرجان الجزائر في ذكرى انطلاق الثورة الفلسطينية (تكامل الانطلاقة والانتفاضة).

إحياء الذكرى الثالثة والعشرين لانطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة بقيادة حركة فتح، نظم يوم الأربعاء 6 جانفي 1988 بقاعة ابن خلدون بالجزائر العاصمة، مهرجان سياسي كبير تحت إشراف رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ياسر عرفات، وقياديين آخرين، والسلك الدبلوماسي في الجزائر.

- كلمة نايف حواتمة الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وأكد أن الانتفاضة الجماهيرية المباركة تؤكد شموليتها، ووحدة الشعب الفلسطيني وعدم قابليته القسمة، كما تؤكد رفض الصروح التصفوية كمؤامرة كامب ديفيد ومؤامرة الحكم الذاتي، ومؤامرة التقسيم الوظيفي.. وأكد أن الانتفاضة تدخل شهرها الثاني وتعلن وحدة الشعب الفلسطيني.

- وألقيت كلمة جبهة التحرير الوطني من قبل الصادق زواتن، دعا فيها إلى الالتفاف في ذكرى الانتفاضة، وكلمة للشهداء وعائلاتهم، وتحية باسم الرئيس الشاذلي بن جديد للثورة والانتفاضة، كما أشار إلى المعاناة التي تكبدها الشعب الفلسطيني، وأكد أن اللغة الواحدة التي يفهمها الصهاينة هي لغة الكفاح المسلح.

- كملة ياسر عرفات، كانت كلمة الثورة الفلسطينية، أبرز فيها قوة العلاقة بين الثورة الجزائرية والثورة الفلسطينية، وكلاهما تصونان الوطن العربي من مطامع الصهيونية

والإمبريالية.

- أكد أن الانتفاضة تراكم نضالي طويل يمتد سبعون سنة.

- دعا كافة الدول العربية والإسلامية إلى دعم الانتفاضة والثورة ومساندة القضية المركزية للعرب والمسلمين.[5]

المجلة الثالثة: بتاريخ 11 مارس 1988:

المقال الأول: كتبه هارون محمد السعيد، جماهير فلسطين في انتظار تحرك عربي.

-الرئيس الشاذلي بن جديد عبر عن قلقه من عواقب الصمت العربي، وأكد أن الجزائر لن تسكت وستظل وفية لالتزاماتها وواجباتها التاريخية العربية، ومستعدة لتقديم كل ما يتطلبه الموقف الراهن من دعم للشعب الفلسطيني المكافح.

-الجزائر تدعو الأمة [الإسلامية] إلى دعم الانتفاضة، عبر قمة طارئة عربية لهذا الغرض.

-يجب على الأنظمة العربية أن تتحمل مسؤوليتها التاريخية. (ولقد أثبت هذا الشعب [الفلسطيني] عبر ثورة الحجارة أنه أكبر من كل الطروحات والحلول الانهزامية).

-وكل طرح لا يرقى إلى مستوى الانتفاضة، ولا يأخذ بعين الاعتبار حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، وهو طرح مرفوض رفضا قاطعا، وغير مؤهل لوقف الانتفاضة المباركة.[6]

المقال الثاني: ع يونس: فلسطين إصرار.. واستمرار.

الشهر الرابع للانتفاضة:

-الجماهير المجاهدة وقيادتها الموحدة.

-التحركات التآمرية ومحاولات الاحتواء والعزل والإجهاض ومحاولات التعتيم وخطف الأضواء وتسويفات الدعم العربي الرامية إلى التأجيل أو التعطيل لحاجة في نفس الأنظمة العربية.

-الانتفاضة تتواصل رغم البطش والتنكيل.

- الصهاينة شددوا الحصار الإعلامي بالأعمال التالية:

1- منع المراسلين الصحفيين من دخول المدن والمخيمات وجعلها مناطق عسكرية.

2- الاعتداء بالضرب والاعتقال للصحفيين وحتى البرلمانيين الذين يصلون إلى تلك المناطق. والسبب انتشار الانتفاضة وتعاطف شعبي وعالمي. من أجل ذلك جاء تشديد الحصار العسكري والإعلامي.

3-إحراق وقتل عدد من الشبان والأطفال.

4-إطلاق العنان للمستوطنين ضد الأهالي العزل في القدس والخليل وقلقيلية ورام الله وسائر مدن وقرى ومخيمات الضفة والقطاع.

- مرور ثلاثة أشهر ما زالت المواقف الرسمية العربية تراوح مكانها في دائرة الصمت والتفرج.

- دعوة الرئيس الشاذلي إلى قمة عربية طارئة تخصص لدعم الانتفاضة على كافة الأصعدة وفي جميع المجالات.

- تأكيد إسحاق شامير وزير الداخلية عن لاءاته الثلاثة:

1-لا للانسحاب من القدس العربية.

2-لا للعودة إلى حدود 1967 .

3- لا للدولة الفلسطينية المستقلة.

كما أكد ذلك نائب رئيس الوزراء شمعون بيريز.

-إصرار أمريكا على غلق مكتب بعثة منظمة التحرير لدى الأمم المتحدة، الكيد للفلسطينيين، ودعم اليهود. الهدف صرف الأنظار عن القضية.

-الانتفاضة أكدت اعتماد الشعب الفلسطيني على نفسه وعلى إمكانياته الذاتية المتواضعة.

ويؤكد الشعب على إرادته الصلبة في مواصلة المسيرة الجهادية.[7]

المجلة الرابعة: بتاريخ 18 مارس 1988:

مقال: ع. يونس: فلسطين الانتفاضة ولائحة الانتظار

الشهر الرابع: سجلت خطوات تصعيدية هامة في الوسائل والأدوات منها:

-مقاطعة منتوجات العدو.

-مقاطعة العمل في المزارع والمؤسسات التابعة له.

-الامتناع عن دفع الضرائب للاحتلال.

كما تميزت الانتفاضة:

-باستعمال السكاكين والقنابل المصنوعة من قبل الأهالي.

-الحجارة والعصي والقضبان الحديدية.

ما استعمله العدو من رد عنيف:

-الغازات السامة والخانقة.

-الرصاص الناري المطاطي.

ماذا خلف ذلك؟

-ازدياد عدد الشهداء.

-إقدام المستوطنين الصهاينة على شنق طفل فلسطيني في الحادية عشرة من عمره.

-الإحراق ودفن الأحياء (مذابح جماعية).

-انحياز الإدارة الأمريكية السافر لصف الصهاينة وإقدامها على غلق مكتب منظمة التحرير لدى الأمم المتحدة دون مبالاة بالأمين العام للمنظمة.

موقف الجزائر: جاء استنكارا لهذا القرار في مقدمة ردود الفعل العربية، فقد وصفت الجزائر قرار أمريكا التعسفي، بأنه تأييد للإرهاب الصهيوني.[8]

المجلة الخامسة: بتاريخ 21 أكتوبر 1988:

مقال: ع ي، فلسطين تطورات الانتفاضة والقضية.

الشهر الحادي عشر: مواصلة الانتفاضة ضد العدو، وأسفرت عما يلي:

-إعلان الإضراب الشامل.

-التصدي لحملات القمع والإرهاب الصهيوني (مواجهات عنيفة في الضفة والقطاع).

-رد فعل الصهاينة:

1-حشود عسكرية، وأدوات قمعية.

2-فرض الحصار وحضر التجوال في معظم المدن والقرى والمخيمات .

-سير الانتفاضة:

1-الاشتباك مع العدو باستخدام الحجارة والزجاجات الحارقة، مواجهة للقنابل والرصاص، والنتيجة.

2-ازدياد عدد الشهداء.

3- إصابة عدد من جنود الصهاينة وإحراق العديد من سياراته.

-اعتراف بالفشل:

-اعتراف وزير الحرب الصهيوني إسحاق رابين أن قواته فشلت في خنق الانتفاضة رغم الحصار، وهدم المنازل، والاعتقال، وإطلاق الرصاص.

-محاصرة المساجد وخاصة المسجد الأقصى، ومنع صلاة الجمعة.
-تعاطف بعض البلدان في أوروبا وآسيا مع القضية.
-علاقة ما يجري بالانتخابات في واشنطن وتل آبيب.
-سوف تنعقد الدورة الاستثنائية للمجلس الوطني الفلسطيني في هذا الشهر أكتوبر.[9]

3-تقييم خط المجلة ونظرتها للأحداث ومو اقفها المبدئية:

لقد غطت المجلة جوانب هامة من يوميات الانتفاضة، وبعض نشاطاتها الثورية، لكنها من وجهة نظر واحدة، ووفق أيديولوجية مشتركة بين جبهة التحرير، ومنظمة فتح التي تشرف على المشهد السياسي، وتتلقى الدعم من الدولة الجزائرية بدون قيود.

ويظهر أن المقالات والتغطيات الإعلامية حول قضية فلسطين، غلب عليها الطابع العام، ومصدرها هو ما يصرح به مسؤول الإعلام الفلسطيني في الجزائر، وهو السيد عمر قادري، أو التغطية الإعلامية لكل ما يجري من لقاءات مع القيادات الفلسطينية التابعة لحركة فتح، وعرض مواقف وآراء مسؤوليها وخصوصا رئيس المنظمة ياسر عرفات.

وقد أكدت المجلة على الجانب العلماني للانتفاضة، وقفزت عن الحقيقة الإسلامية، والمعاني الروحية التي تشبع بها الشباب الفلسطيني، وكانت الصحوة الإسلامية مؤثرة في مسارهم النضالي، ومثلت المحرك الكبير الذي دفعهم للمجازفة، ولم يبالوا بالمخاطر المحدقة بهم، وهو المقصد الذي انتظره الشعب الفلسطيني منذ زمن طويل، وهو راسخ الجذور في أعماق النفوس، والتي اقتنعت أن الحديد لا يفله إلا الحديد، وأن العقيدة الإسلامية هي السلاح الحاد المؤثر على اليهود وحركتهم الصهيونية الاستيطانية.

يذكرنا التاريخ أنه حدث في صبيحة اليوم السابع من شهر حزيران عام 1967م ، أن وصلت طلائع القوات "الإسرائيلية" إلى حائط البراق، ودخلت ساحات المسجد الأقصى، وهتف الجنود مع قائدهم موشى ديان: (يا لثارات خيبر، هذا يوم بيوم خيبر، حط المشمش على التفاح دين محمد ولى وراح)، واحتفلوا بهذا النصر، وعربدوا، وشربوا الخمر في ساحات المسجد الأقصى، وهكذا أصبح المسجد الأقصى منذ ذلك اليوم يخضع للاحتلال الصهيونيّ، لتبدأ أكبر عملية لتهويد المدينة وفصلها عن أصلها الإسلامي والعربي[10].

ولما قامت الانتفاضة، كانت هتافات الشباب، وصيحات أطفال الحجارة، أو أطفال المساجد هي رد مفحم: "خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود". وهو إعلان عن تسلم مشعل المقاومة من الشارع المسلم بالخصوص، وهذا الذي أزعج اليهود، وأربك أصحاب

المصالح من المسؤولين الفلسطينيين، ولذلك بقي التعتيم على هذا الواقع، ولم تشر مجلة المجاهد إلى أي شيء من ذلك لأنه يخالف الأيديولوجية التي تتبناها فتح في المقاومة، فلا بد أن تغيب الفكرة الإسلامية العميقة عند الشعب، حتى لا تتهم فتح بالتطرف والعصبية، ولكن اليهود في الأقصى يعربدون، وينتهكون الحرمات، ويقيمون الصلوات بدون حرج، بل بكل عزة وتمجيد لدينهم.

وحركة فتح تعتبر نفسها إسلامية المنشأ، وشعاراتها هي ما يجسد في الميدان، وذكر القيادي في فتح "أبو إياد " في حوار مع مجلة المجتمع، مؤكدا تلك الحقيقة: (أنا أعتقد أن "فتح" عندما نشأت كانت تعبيرا عن صحوة إسلامية حقيقية، فالإسلام علمنا ليس صون الكلمات فقط.. الكلمات والشعارات مهمة، ولكن الأهم ممارسة هذه الشعارات...نحن نقول دائما "الجهاد في سبيل الله أسمى أمانينا" فإذا لم نجاهد يبقى هذا شعارا لا أكثر.. و"فتح" جسدت شعار "الجهاد في سبيل الله").[11] ونسي أن هذا الشعار رفعته الحركة الإسلامية منذ الثلاثينيات، ولكن بعبارة البذل والجود بالنفس، وهو "الموت في سبيل الله أسمى أمانينا". ولكن موقف "فتح" مبدئي، وهو رفض التعامل مع الحركة الإسلامية، وقال في نفس الحوار: (نحن الذين نمد أيدينا للتيار الإسلامي وهم الذين يرفضون ويقاطعون).[12] ويومها لم تكن الحركة -التي يقصدها- مهيكلة، ولكن بعد انطلاق الانتفاضة، كانت الحركة فاعلة فيها، ووزعت بيان تأسيس هيكلها الواضح الصريح بعد أسبوع واحد، يوم 15 ديسمبر 1987، وعرفت باسم حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ومؤسسها الشيخ أحمد ياسين. وترى أن تحرير فلسطين لا يمكن إلا بالجهاد، بعيدا عن الاعتراف بإسرائيل، وبعيدا عن التسوية السياسية المنقوصة. وأدرك اليهود قيمة هذه الحركة، وخاصة في شهر أفريل 1988، وقاموا بإبعاد ثمانية من رموز الانتفاضة وعلى رأسهم الشيخ خليل القوقا القيادي في الحركة. كما أقدمت الحركة على نشر ميثاقها يوم 18 أوت 1988، والذي بين خطها السياسي، ومواقفها في شتى القضايا.[13]

وكل هذا التاريخ، لم نلمس ولو إشارة عابرة تلفت الانتباه لدور الحركة الإسلامية في الانتفاضة، لأنها انتفاضة شعب بكامل فصائله السياسية والجهادية، ومختلف فئاته، ولو كانوا بدون لون أيديولوجي، ولكن مظلة فلسطين تجمعهم، والعمل من أجل تحريرها هو همهم جميعا.

الخاتمة

لقد عايشت المجلة جوانب هامة من أحداث الانتفاضة، معبرة عن رؤية حزب جبهة التحرير، وهي لا تحيد عن مبدأ السلطات الجزائرية، واكتفت بالتمجيد للأفعال، دون التأكيد على عمقها داخل الشعب الفلسطيني، الذي أخذ زمام المبادرة دون الالتفات إلى القيادات السياسية الفلسطينية المتنفذة.

قامت المجلة بتغطية للأحداث من قبل الصحفي الذي أشار إلى اسمه بعبارة (ع.يونس) والذي أشاد بالدعم الجزائري للانتفاضة، مؤكدا على موقف الجزائر المبدئي.

تغافلت المجلة عن الفاعلين الحقيقيين من فئة الأطفال والشباب المنطلقين من المساجد، والرافعين للشعارات الوطنية والإسلامية، والتي ردت كيد الصهيونية على أعقابها.

الهوامش والاحالات:

1-انظر: **نشرة الصخرة الإعلامية الأسبوعية**، الصادرة عن حركة فتح ، الكويت، العدد 171، 8 ديسمبر 1987، ص 16.

2-عدنان عبد الرحمن أبو عامر، **الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة1987م- 1993م**، المركز العربي للبحوث والدراسات، غزة -فلسطين، 2005، كتاب الكتروني، ص 55.

3- عبد الوهاب المسيري، **الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية -دراسة في الإدراك والكرامة**، جمعية الرعاية المتكاملة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2000، كتاب الكتروني، ص 198.

4- جريدة المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، الجزئر، 1 جانفي 1988، العدد 1430، ص 37.

5- المجاهد، 15 جانفي 1988، العدد 1432، ص 36-37.

6- المجاهد، 11 مارس 1988، العدد 1440، ص 37.

7- المجاهد، 11 مارس 1988، العدد 1440، ص 42.

8- المجاهد، 18 مارس 1988، العدد 1441، ص ص 36-37.

9- المجاهد، 21أكتوبر 1988، العدد 1472، ص 28.

10- انظر: مقال" في ذكرى سقوطها: لا... لن تضيع القدس"، نشر يوم 7 حزيران 2008، في **موقع: مدينة القدس**، تم الاطلاع يوم الأربعاء 16 نوفمبر 2022، على الساعة 10:50 صباحا. الرابط: https://alquds-city.com .

11- انظر: **نشرة الصخرة الإعلامية الأسبوعية**، الصادرة عن حركة فتح ، الكويت، العدد 170، 1 ديسمبر 1987، ص 06.

12- المصدر السابق، ص 06.

13- انظر: ف. أمين"حركة المقاومة الإسلامية حماس، هوية ومواقف"، في **مجلة الإرشاد**، العدد الأول، السنة الثانية، ديسمبر – جانفي 1991/90، ص ص 14-15.

التغطية الاعلامية للقضية الفلسطينية في الصحافة الجزائرية الرسمية - جريدة الشعب أنموذجا –

د/ هابة طارق – جامعة الوادي

مقدمة

تعتبر القضية الفلسطينية جوهر القضايا العربية المعاصر، حيث لا زال يعاني الفلسطينيون من ويلات الاحتلال الصهيوني، قرابة القرن من الزمان، فالصراع العربي الصهيوني ما زال وسيبقى أكبر النزاعات وأخطرها على المنطقة العربية بشكل عام والفلسطينية بشكل خاص، ذلك لكونه صراعا وجوديا وحضاريا ودينيا يلقي بأبعاده على جميع أطراف النزاع ، وعلى الرغم من العديد من مشاريع التسوية بين الفلسطينيين ودولة الاحتلال إلا أن جل هذه المشاريع لا زالت حبرا على الورق، وبالرغم من هرولة بعض الدول العربية مؤخرا إلى التطبيع مع هذا الكيان الغاصب للأرض والعباد إلا أن بعض الدول لا زالت متمسكة بمبدئها الرافض تماما له، ولعل من أهم هذه الدول الجزائر التي بقيت ثابتة في رسم موقفها وسياستها الخارجية منذ الاستقلال والتي تقوم أساسا على نصرة ودعم القضايا العادلة في العالم، ورفض كل أشكال الاحتلال والاستعمار.

وتعتبر القضية الفلسطينية من أهم القضايا التي دعمتها الجزائر سياسيا وعسكريا وماديا فقد شاركت الجزائر في الحروب العربية الصهيونية في عامي 1967 و1973، كما دعمت الجزائر القضية الفلسطينية في الهيئات والمنظمات الدولية، ويعد إعلان قيام الدولة الفلسطينية في الجزائر يوم 15 نوفمبر 1988م خير مثال على الدعم السياسي لهذه القضية العادلة.

وعلى اعتبار الإعلام أحد أهم الوسائل المستخدمة في نقل الأخبار ووصف الأحداث والوقائع فإن اهتمام الصحافة المكتوبة في الجزائر- خاصة العمومية منها - والتي تعتبر كقناة اتصالية وإعلامية للسلطات الجزائرية بالقضية الفلسطينية يعود أساسا إلى الموقف الرسمي للدولة الجزائرية المؤيد تماما للقضايا التحرر في العالم وعلى رأسها القضية الفلسطينية التي لا تكاد تمر مناسبة إلا وأكدت الدولة الجزائرية وقوفها الدائم واللامشروط معها، حيث تهدف هذه الدراسة إلى كشف النقاب عن كيفية التغطية الإعلامية للصحافة الرسمية الجزائرية للقضية الفلسطينية، وذلك من خلال اختيار جريدة الشعب كنموذج للدراسة، وجاء التساؤل الرئيسي للدراسة كالتالي : كيف تغطي صحيفة الشعب الجزائرية القضية الفلسطينية إعلاميا؟ وما هي أشكال وطبيعة المواضيع

التي تغطيها؟

وتتفرع عن هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية وهي:

- ما هو الموقع الذي خصصته صحيفة الشعب الجزائرية لتغطية القضية الفلسطينية؟

- ماهي المصادر الإعلامية التي اعتمدت عليها صحيفة الشعب في تغطيتها القضية الفلسطينية؟

- ما هي أشكال القضية الفلسطينية التي غطتها صحيفة الشعب الجزائرية؟

- ما هي الفئات الفاعلة الأكثر نشاطا في القضية الفلسطينية حسب صحيفة الشعب الجزائرية؟

- ما هي الدوافع والأسباب وراء زيادة الصراع الفلسطيني والصهيوني حسب صحيفة الشعب الجزائرية؟

أولا : الصحافة المكتوبة .

1- مفهوم الصحافة المكتوبة: لقد تعددت التعاريف حول الصحافة واختلفت حيث نذكر منها :

1- 1- التعريف اللغوي: ورد في لسان العرب لابن منظور "الصحيفة هي التي يكتب فيها، وجمعها صَحَائف وصُحُف وصُحْف. (ابن منظور، 1119هـ، صفحة 2404).

وفي قاموس أوكسفورد تستخدم كلمة صحافة بمعنى press وهي شيء متعلق ومرتبط بالطبع والطباعة ونشر الأخبار والمعلومات وهي تعني أيضا journal ويقصد بها الصحيفة وjournalisme بمعنى الصحافة وjournaliste بمعنى الصحيفة فكلمة الصحافة تشمل إذن الصحيفة والصحفي في الوقت نفسه. (شعبان و صبطي، 2012، صفحة 42).

1 –2- التعريف الاصطلاحي: إن الصحافة في تعريفها المبسط هي: "رواية الأخبار وعرضها بطريقة ما على القراء، وبعبارة أخرى هي:" أوراق محدودة مطبوعة يوميا أو أسبوعيا أو شهريا أو دوريا تحمل الأخبار أو العلم وتوزع على القراء للاطلاع والإلمام بما تنقله إليهم فهذا التعريف يشمل الصحافة والجريدة والمجلة". (العاني، 1993، صفحة 50).

فالصحافة المكتوبة إذن عبارة عن دورية تصدر بصفة مستمرة وثابتة تضم مجموعة من المواضيع والأخبار الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية التي تساعد في زيادة الوعي الفكري لدى الأفراد داخل المجتمع.

2- وظائف الصحافة المكتوبة: تتميز الصحافة المكتوبة بجملة من الوظائف نلخصها

في النقاط التالي (جبريل، 2020) :

1. **تقديم إيضاحات حول قضايا تهمّ الجمهور:** تعمل الصحافة المكتوبة على تسليط الأضواء على بعض قضايا المجتمع التي تكتشفها وتقوم بتوصيله إلى الجمهور بكل سهولة والعمل على تفسيرها وذكر أسبابها، ومن هنا تجعل المواطن يطلع بشكل مستمر على القرارات مما يساعد الجمهور على قيامه بعملية الضغط المناسبة على أصحاب صناع القرار وكسب التأييد. الدور الرقابي: فهي تقوم على ممارسة دور مهم وهو التأثير على الأشخاص في صنع القرارات.

2. **وظيفة الاستطلاع ومر اقبة البيئة:** وهي من أهم وظائف وسائل الإعلام فهذه الوسائل الإعلامية بما تملكه من شبكات واسعة في جميع أنحاء العالم من مراسلي الصحف والتلفزيون تستطيع أن تجمع المعلومات التي قد نعجز نحن أنفسنا على الوصول إليها . (الدليمي، 2011، الصفحات 75-76) .

3. **الإمتاع أو التسلية:** على الرغم من أن الترفيه أو التسلية يعد من الحاجات الأساسية للإنسان إلا أن اهتمام غالبية الصحف به عادة ما يكون محدودا أو تزداد نسبته في الصحف الشعبية ومن خلال أشكال مثل: الألغاز والكلمات المتقاطعة والألعاب، الرسوم الهزلية الساخرة. (أشرف، 2004، صفحة 146).

4. **وظيفة التاريخ :** بمرور الوقت وبتعدد وظائف الصحافة وبتنوع أغراضها وشمول مدتها لغاية أوجه النشاط الإنساني، صارت الصحافة تقوم بوظيفة الخامسة وهي تسجيل وقائع الحياة الاجتماعية وبالتالي صارت مصدرا من مصادر التاريخ، والصحف تكون مصدرا رئيسيا للمؤرخ حيث يتعلق الأمر بتسجيل وقائع الحياة اليومية أو حين يتعلق الأمر برصد الاتجاهات الفكرية للأحزاب والأفراد أو دراسة التاريخ الصحافة نفسها. (أبو زيد، 1986، الصفحات 67-68).

5. **وظيفة خلق مشاعر التضامن في المجتمع:** من خلال الصحافة المكتوبة يتم الإعلان عن القضايا الكبرى التي توجد في البلاد والتي يكون لها أهمية كبيرة مما يدفع الجمهور إلى التضامن معها سواء كان فكري أو عاطفي، وهذا يساعد على حفظ واستعلام المجتمع وتحقيق التوازن. (جبريل، 2020).

3- أهمية الصحافة المكتوبة : تلعب الصحافة المكتوبة دورا مهما في المجتمع، يتمثل عادة في ما يلي (الشرابي، 2017) :

- تُسلِّط الضوء على مكامن الخلل والمشاكل التي تحدث في الدولة، فكل شيء

يحدث في الدولة يمكن من خلال الصحافة أن يتم الكشف عنه وملاحقته إلى أن يتم تصويبه وعلاجه.

– وسيلة هامة في الدعاية الانتخابية، حيث تكون منبرا للمرشحين، لبيان أفكارهم وآرائهم ووعودهم.

– فضح الممارسات الخاطئة للحكام وتسليط الأضواء على مواطن الخطأ في تصرفاتهم، مما يسبب انتباه الجمهور إليها والعمل على تقويمها. (أبو عيشة، 2010، صفحة 50).

ثانيا : القضية الفلسطينية .

1- **مفهوم القضية الفلسطينية : تعني** القضية الفلسطينية الصراع التاريخي والسياسي والمشكلة الإنسانية في فلسطين منذ المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م وحتى يومنا هذا، كما تعتبر قضية فلسطين جزءاً جوهرياً من النزاع العربي الإسرائيلي الذي نتج بنشوء الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، وما نتج عنها من حروب وأزمات في منطقة الشرق الأوسط، ودور الدول العظمى في أحداث المنطقة، وتتمحور قضية فلسطين حول شرعية دولة إسرائيل واحتلالها للأراضي الفلسطينية خلال عدة مراحل، والقرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة، ومن أبرزها: قرار 194 وقرار 242، فقضية فلسطين هي قضية العالم التي لم يستطع حلها حتى الآن. (سعودي، 2018).

وأعادت القضية الفلسطينية تعريف نفسها تحت وهج النار والمعاناة والاستعداد لتحمل كلفة المواجهة بالعودة إلى الجذور، أصول الصراع العربي – الإسرائيلى، فلا هي قضية لاجئين كما نظر إليها إثر النكبة مباشرة، ولا هي قضية الفلسطينيين وحدهم، فهي قضية عربية بالأساس وقضية إنسانية في المضمون، ثم إنها في أول الأمر وآخره قضية تحرر وطني لشعب يتعرض لأبشع صور التمييز العنصري. (السناوي، 2021).

2- الموقف الجزائري من القضية الفلسطينية :

ربما لا نغالي إن قلنا أن لفلسطين في قلوب الجزائريين مكانة خاصة، ومرتبة عالية، حيث تحتل القدس مكانة مرموقة في وجدان الجزائريين، فهم في تحنان وشوق دائم لها منذ العصور التاريخية الكنعانية الفينيقية الأولى، وربما أصدق تعبير عن ذلك ما قاله علامة الجزائريين الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: «لأنه عربي أولا، ومسلم ثانيا، وفلسطين بحكم العروبة والإسلام ثالثا ، فله بعروبته شرك في فلسطين من يوم طلعت هوادي خيول أجداده على البلقاء والمشارف ، وتصاهلت جيادهم باليرموك، تحمل الموت

الزؤام لأورام، وله بإسلامه عهد لفلسطين من يوم اختارهم الباري للعروج، إلى السماء ذات البروج، وله إلى فلسطين نسبة من يوم قالوا: غزة هاشم . (أحمد شنتي ، 2015، صفحة 115).

لقد ارتبط الجزائريون بفلسطين ارتباطا وثيقا روحيا باعتبار أن فلسطين أرض مقدسة ومباركة بنص القرآن في قوله سبحانه وتعالى: "**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ". وقول الرسول الكريم : «لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى»، ولهذا كان الجزائريون لا يميزون بين مدينة القدس وبين مكة المكرمة والمدينة المنورة، ودرجوا على اعتبار أن من حج ولم يصل بالمسجد الأقصى ولم يتبرك برحابه الطاهر، أن حجه ناقص وأنه لم يتم مناسك الحج. (أحمد شنتي ، 2015، صفحة 11).

أما الموقف الرسمي الجزائري اليوم فيتجسد أكثر فيما تقوم به الدبلوماسية الجزائرية من مساعٍ حثيثة في القضية الفلسطينية حيث أكد الممثل الدائم للجزائر لدى الأمم المتحدة السفير نذير العرباوي أمام مجلس الأمن في نيويورك، موقف الجزائر الثابت وأبرز جهود الرئيس عبد المجيد تبون دعما للقضية الفلسطينية والاتصالات التي أجراها مع الأطراف الدولية لوقف الاعتداءات والانتهاكات ضد الفلسطينيين في القدس. (https://www.aps.dz/ar/algerie/125004-2022-04-25-22-31-25)

ثالثا: التغطية الإعلامية للقضية الفلسطينية في جريدة الشعب الجزائرية

1. مفهوم التغطية الإعلامية: هي طريقة تتناول فيها المؤسسة الإعلامية مختلف الجوانب المتعلقة بالحدث من خلال رصد مجريات الخبر وتحليل أبعاده وآثاره، وذلك بغرض إيصال رسائلها إلى جمهور الرأي العام والتأثير عليه بهدف إحداث التغيير. (حمدي و بوفلفل، 2019، صفحة 07).

2. جريدة الشعب الجزائرية: هي أول جريدة أصدرتها الجزائر بعد الاستقلال وكان ذلك في 19 سبتمبر 1962، حيث كانت آلات الرقن والطبع متوفرة بالفرنسية دون مشكل، وتم اختيار هذا التاريخ لتزامنه مع ذكرى تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، قد قرر تكليف صالح لوانشي بتأسيس النسخة العربية لجريدة "الشعب" وبعدها تم تعيين الراحل محمد الميلي، الذي كان أول مدير للجريدة، لتحضير الانطلاقة والتي تم الاتفاق عليها لتكون في 11 ديسمبر 1962، وهو التاريخ الذي

يتزامن وذكرى مظاهرات 11 ديسمبر 1960، وقد اختار محمد خيضر اسم الجريدة، لأنها لسان "الشعب"، وكانت فكرة قديمة تعود لـ1937، حيث فكر الراحلان محمد خيضر ومفدي زكرياء في تأسيس جريدة اسمها "الشعب"، لكنها توقفت بعد العدد الأول (يومية الشعب).

3- منهج الدراسة : تم الاعتماد على المنهج الوصفي باتباع أسلوب تحليل المضمون، وهو أسلوب وأداة البحث العلمي، يمكن أن يستخدمها الباحث في المجالات البحثية المختلفة، وعلى الأخص في علوم الإعلام والاتصال من خلال وصف محتوى الظاهرة والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون، وذلك من أجل الإجابة على تساؤلات الدراسة. (سلطاني ، 2014، صفحة 85) ، ويهدف الباحث من خلال استخدامه لهذه الأداة إلى تحليل أعداد معينة من جريدة الشعب الجزائرية، وذلك من أجل التعرف على المعالجة الإعلامية للخطاب في الجزائر.

4- مجتمع الدراسة وعينته: يتشكل مجتمع دراستنا في مجموعة من الأعداد الصادرة عن جريدة الشعب الصادرة في الفترة الممتدة من 01 جانفي 2022 إلى 20 أكتوبر 2022، وقد تم اختيار هذه الفترة الزمنية لكونها فترة عرفت فيها القضية الفلسطينية عدة أحداث وتطورات على الساحة السياسية والعسكرية بالإضافة إلى تحسن العلاقات الدبلوماسية الداخلية والخارجية مع العديد من الدول.

ولكون مجتمع الدراسة كبير نسبيا ويصعب حصره بأسلوب الحصر الشامل لجأ الباحث إلى اختيار 30 عدد من الجريدة (مفردة)، وهو عدد كافٍ للتحليل حسب الباحث يوسف تمار الذي يرى بأن الباحث هو الذي يتحكم في عينة دراسته (تمار، 2007، صفحة 26)، وقد اعتمد الباحث على طريقة المعاينة غير الاحتمالية القصدية حتى يتسنى له الوقوف بشكل دقيق على موضوع الدراسة .

5. أدوات الدراسة: من بين الأدوات العلمية التي استخدمها الباحث في دراسته نذكر ما يلي:

1. الملاحظة: تعرف الملاحظة بأنها: "هي حصر الانتباه نحو شيء معين (سلوك أو ظاهرة أو مشكلة ما) للتعرف عليها وفهمها وهي وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات في البحوث المختلفة. (دعمس، 2008، صفحة 207)، وقد قمنا بالاستعانة بالملاحظة في دراستنا لمعرفة ما تنشره جريدة الشعب الجزائرية من أخبار ومعلومات حول القضية الفلسطينية محل الدراسة، بالإضافة إلى القراءة العلمية للجداول الإحصائية وما

تضمنته من تكرارات ونسب من خلال شرحها وتفسيرها.

2. أداة تحليل المضمون: تمثل مرحلة تصميم استمارة تحليل المضمون واحدة من أهم الخطوات التي ينبغي على الباحث الاعتناء بها، كونها تؤثر بشكل كبير على النتائج التي سيتوصل إليها، ومن منطلق هذه الأهمية التي تحظى بها مرحلة تصميم استمارة التحليل هناك بعض المؤاخذات العلمية، والسلبيات التي تطرأ عليها، وربما أخطاء يقع بها الباحث بقصد أو بدون قصد، في عملية بناء استمارته وتصميمها. (حسني، 2020)، وضمت الاستمارة العناصر التالية:

1- البيانات الأولية للصحيفة: مثل اسم الصحيفة ، تاريخ الصدور، رقم العدد.

2- فئات التحليل: تعتبر الفئات بمثابة العناصر الدالة في الوثائق التي نريد تسجيلها قبل تثبيتها نهائيا. (أنجرس، 2013، صفحة 278)، وتحاول فئات التحليل الإجابة عن تساؤلات الدراسة من خلال إجابتها عن أسئلتها الآتية:

أ-فئات الشكل: كيف قيل؟ ونقصد بها الفئات التي تصف الشكل الذي قدم به المحتوى في جريدة الشعب الجزائرية، وقد تم تحديد فئات التحليل من حيث الشكل كالتالي:

- **فئة موقع النشر:** أي موقع القضية الفلسطينية في صفحات جريدة الشعب الجزائرية، وتتمثل عناصره فيما يلي: الصفحات الأولى، الصفحات الداخلية، الصفحة الأخيرة.

ب- فئات المضمون: ماذا قيل؟ ونقصد هنا المضمون الذي قدم به المحتوى، وتتمثل هذه الفئات في:

- **فئة الموضوع:** وهي أكثر الفئات استخداما وتصدر عن السؤال على ماذا يدور المحتوى؟ أو ما هي المواضيع التي عالجها المحتوى؟ ويعتمد تصنيفها وفق إشكالية الدراسة وتساؤلاتها، ويمكن أن يضمنها الباحث فئات فرعية خاصة، شريطة أن يلتزم بتعريفها وضبط مؤشراتها لتستكمل شروط التفيئة وهي: الاستقلالية والشمول والدقة والوضوح (بن طبة ، 2015، صفحة 324)، وتمثل عناصر هذه الفئة في أشكال القضية الفلسطينية: الحرب والصراع، العنصرية والتحريض، العنف والاعتداء، القتل، التضامن، السجن والاعتقال، الاحتجاجات والمظاهرات والاستيطان.

- **فئة المصدر:** تستخدم لتحديد المصدر أو المرجع الذي له علاقة بمعالجة القضية الفلسطينية والتأثير في اتجاهات المحتوى، ومراكز الاهتمام، وتتمثل في الصحفيين.

المراسلين، وكالات الأنباء، دون مصدر.

- **فئة الفاعل:** وتفيد هذه الفئة في التعرف على الفئات الفاعلة في القضية الفلسطينية، وتقوم بأدوار فيها، وتتمثل في الشخصيات الشعبية، الشخصيات الرسمية، الهيئات الدولية، الهيئات الوطنية .

- **فئات أخرى:** توضح هذه مجموعة من التساؤلات يبحث الباحث عن إجابة عنها، ومن بينها نجد:

- فئة **الدو افع والأسباب**: وتفيد هذه الفئة في التعرف على دوافع والأسباب التي تؤدي إلى القضية الفلسطينية: أسباب سياسية، أسباب اجتماعية، أسباب أيديولوجية، أسباب دينية، أسباب اقتصادية.

- **فئة الوسائل المستخدمة:** وتفيد هذه الفئة في التعرف على الأساليب والوسائل التي تم استخدامها في القضية الفلسطينية: الخطابات الرسمية، الصحافة المكتوبة، مواقع إلكترونية، وكالات أنباء، تلفزيون، أخرى.

3-وحدات التحليل: وحدة التحليل هي مقطع من رسالة أو مجموعة من الرسائل ممثلة لنفس خصائص وطبيعة الفئة، والفئة في أبسط معانيها هي الشيء الذي نقوم بحسابه فعلا واختيار إحداها تتحكم فيها طبيعة الإشكالية. (تمار، 2007، صفحة 83)، وعلى هذا الأساس تم اعتماد الموضوع كوحدة للتسجيل في إطار سياق الموضوع، وهي وحدة يقصد بها الوقوف على العبارات أو الأفكار الخاصة بمسألة معينة ويعتبر الموضوع أهم وحدات تحليل المضمون (سلاطنية و الجيلاني، 2012، صفحة 57)، والعد كأسلوب لقياس عدد ورود التكرارات حيث تسجل من خلاله مرات ظهور الفئة.

رابعا: الاستنتاجات العامة للدراسة: بعد التحليل الإحصائي لنتائج استمارة المضمون توصلنا إلى عدة استنتاجات نناقشها على الشكل التالي:

— توصلت الدراسة إلى أن موقع نشر الموضوعات المتعلقة بالقضية الفلسطينية في صحيفة الشعب الجزائرية يكون عادة في الصفحات الأولى بنسبة تقدر ب 14.63 % ، تليها الصفحات الداخلية بنسبة 82.92 % وفي الأخير الصفحة الأخيرة بنسبة تقدر ب 2.43%، ولعل الارتفاع الكبير لتواجد الموضوعات المتعلقة بالقضية الفلسطينية في الصفحات الداخلية، راجع لطبيعة الموضوع وعلاقته بالمواقف السياسية الرسمية والشعبية في الجزائر حول القضية الفلسطينية، والتي تكون الأخبار الحساسة والمهمة للرأي العام عنصرا مهما فيها، خاصة أن الصفحات الداخلية تهتم بالأحداث العربية والعالمية وتأتي

تحت تسمية العالم، بينما تكون الصفحات الأولى خاصة صفحة الافتتاحية تهتم بالمواضيع والأخبار المهمة والمرتبطة مباشرة بالقضية الفلسطينية، بينما الصفحة الأخيرة تكاد تخلو من معالجة القضية الفلسطينية إلا نادرا مع كتابة العمود الصحفي الذي يعبر فيه الكاتب عن رأيه الخاص القضية.

– توصلت الدراسة إلى أن مصادر التغطية للقضية الفلسطينية جاء فيه دون مصدر بنسبة 68.08 % تليها الصحفيون العاملون بالجريدة بنسبة تقدر 29.78 %، ثم من وكالات الأنباء بنسبة 2.12 %، وتنعدم التغطية الخاصة بالمراسلين، ولعل ارتفاع نسبة انعدام المصدر راجع إلى مبدأ السرية والحماية المهنية، خاصة أن هذه المواضيع تتسم بالحساسية الكبيرة والخوف من الاعتقال والاعتداء خاصة إذا كان كتابها من المراسلين الموجودين في الأراضي المحتلة، ويعود ارتفاع مصادر التغطية الصحفية للقضية الفلسطينية من طرف الصحفيين العاملين بالمؤسسة، راجع إلى التمرس والمهنية في الكتابة الصحفية عند معالجة مثل هذه القضايا .

– أكدت الدراسة بأن أبرز المواضيع المتعلقة بالتغطية الإعلامية للقضية الفلسطينية، هي التضامن بنسبة تقدر ب 30.76% يليها السجن والاعتقال بنسبة تقدر ب23.07 %، ثم المقاومة بنسبة 10.76%، ثم الاستيطان بنسبة تقدر ب9.23% . وفي الأخير نجد العنصرية والتحريض، القتل، الاحتجاجات والمظاهرات، ولعل ارتفاع الأخبار المتعلقة بالتضامن راجع إلى طبيعة الموقف الرسمي الذي تتبناه الجزائر حول القضية الفلسطينية، كما طغت الأخبار المتعلقة بسعي الجزائر إلى تحقيق الوحدة والمصالحة بين الفصائل والأشقاء الفلسطينيين، تليها المواضيع المتعلقة السجن والاعتقال، وهذا راجع إلى طبيعة الاحتلال العدوانية والمنتهكة لكل العهود والمواثيق الدولية خاصة في الاعتقالات العشوائية للمتظاهرين والمحتجين المطالبين بحقوقهم، والمعتكفات والمرابطات والمرابطين في المسجد الأقصى وما يتعرضن له من اعتداءات شبه يومية واعتقالات .

– توصلت الدراسة إلى أن الفئات الفاعلة في القضية الفلسطينية تتمثل في الشخصيات غير الرسمية الشعبية بنسبة تقدر ب 40 % تليها الشخصيات الرسمية بنسبة 29 % ثم الهيئات الوطنية بنسبة 21.81%. وفي الأخير نجد الهيئات الدولية 9.09. % ولعل ارتفاع فئة الشخصيات الشعبية راجع إلى طبيعة المقاومة التي يقودها عادة الشعوب، بالإضافة إلى الشخصيات الرسمية المتمثلة في رؤساء الدول وقادة المقاومة والدبلوماسيين والذين يعتبرون همزة الوصل بين السلطة والشعب سواء على المستوى

الوطني أو الدولي.

– أكدت الدراسة على أن فئة الوسائل المستخدمة في التغطية الإعلامية للقضية الفلسطينية جاءت بنسبة تقدر ب 58.82% للخطابات والتصريحات الرسمية، تليها الشخصيات غير الرسمية بنسبة 25.49%، وجاءت الصحافة المكتوبة كأحد الوسائل المستخدمة في القضية الفلسطينية بنسبة تقدر ب 13.72 % تليها نسبة 01.96% لوكالات الأنباء في حين انعدمت في الوسائل الأخرى .

– توصلت الدراسة إلى أن الدوافع والأسباب وراء القضية الفلسطينية حسب التغطية الإعلامية تتمثل في الأسباب السياسية بنسبة 33.92 % خاصة المتعلقة بالعلاقات الدبلوماسية بين فلسطين والدول العربية والمفاوضات الدائمة والمستمرة مع الاحتلال، بينما جاءت الأسباب العسكرية بنسبة 30.35% والتي تجسدت في الاعتداءات والاعتقالات للفلسطينيين، بالإضافة إلى القصف وتحطيم البنى التحتية للمدن الفلسطينية خاصة الضفة الغربية وقطاع غزة، وجاءت الأسباب الاجتماعية بنسبة 10.71 % وتتعلق أساسا بالحصار الذي تعاني منه غزة، ومعاناة الأسرى في السجون الفلسطينية والانتهاكات العنصرية للمواطنين الفلسطينيين.

الخاتمة

وفي الأخير يمكن القول بأن الصحافة الجزائرية الرسمية والمتمثلة في صحيفة الشعب لعبت دورا كبيرا ومهما في التغطية الإعلامية للقضية الفلسطينية، خاصة على المستوى الوطني والدولي فعلى المستوى المحلى لم تتوان صحيفة الشعب في التعريف بالقضية الفلسطينية والأحداث والوقائع التي تجري على الساحة الفلسطينية، أما على المستوى الدولي فكانت الصحيفة لسان حال الجزائر في الرد على الهجمات والانتهاكات العدائية التي تعرضت لها فلسطين، وفي تحديد موقف الجزائر الدائم والداعم لقضايا التحرر في العالم وبالأخص في فلسطين المحتلة حيث لم تتوان الصحيفة أن تكون منبرا مهما للسلطات الجزائرية في نصرة القضية الفلسطينية حيث لا يكاد يكون يمر عدد إلا هناك حيز إعلامي للقضية الفلسطينية فيها .

أبو اليقظان وجهاده الصحفي حول القضية الفلسطينية
– جريدة ميزاب أنموذجا 1930 –

ط.د/ الحبيب سالم – جامعة البليدة

مقدمة

كانت القضية الفلسطينية تمثل مادة دسمة بالنسبة لكتاب المقالة الصحفية الجزائرية عبر مختلف الجرائد والمجلات العربية، فمن بين أعمدة الصحافة في الجزائر نجد الشيخ إبراهيم أبو اليقظان الذي تصدى بقلمه السيال يكتب آراءه ويعبر عن مواقفه من المسألة الفلسطينية والاعتداءات الصهيونية المتكررة على المسلمين، ولا تأخذه في الله لومة لائم فكان يجاهد بالكلمة بكل حرية وطلاقة في زمن اغتيلت فيه كلمة الحق. وكان الشيخ يمضي مستمرا في إصدار الصحف العربية الخاصة به ودائما لا تخلو هذه الصحف من المقالات والأخبار عن فلسطين حتى أن جريدته الثانية (ميزاب) صدر منها عدد واحد فقط سنة 1930 وكان فيه مقال تحت عنوان مسألة فلسطين، فما الذي جاء فيه من أفكار يا ترى؟ وما هي مواقف الشيخ أبو اليقظان من القضية الفلسطينية من خلال هذا المقال؟

1) ترجمة للشيخ إبراهيم أبو اليقظان 1888- 1973:

ولد أبو اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى يوم 15 نوفمبر 1888 بالقرارة (غرداية) ويعد من العلماء الأعلام في ميزاب تعدت شهرته الحدود الوطنية، بدأ مشواره العلمي بالكتاب في مسقط رأسه واستظهر القرآن عند الشيخ الحاج إبراهيم بن كاسي، ثم درس في معهد الشيخ عمر بن يحي ثم انتقل للدراسة في معهد القطب اطفيش ببني يزقن سنة 1907، وكان من أبرز تلامذته. وقد رافقه في الدراسة بالمعهد في هاته الفترة كل من الشيخ أبو إسحاق اطفيش والشيخ سليمان الباروني، وأصبح تواقا للسفر نحو تونس، وتمكن من ذلك سنة 1912 وانتسب للزيتونة ثم ترأس أول بعثة علمية ميزابية بتونس سنة 1914، ولكنه عاد مع بداية الحرب العالمية الأولى إلى مسقط رأسه وأنشأ سنة 1915 مدرسة نظامية بالقرارة تعد الأولى بها[1].

عاد سنة 1917 إلى تونس وترأس البعثة الميزابة مرة ثانية (1917- 1925) والتحق بالمنظمة السرية التي أنشأها الشيخ عبد العزيز الثعالبي لمقاومة الاحتلال الفرنسي في المغرب العربي، وصار عضوا فاعلا في الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920، وبعد

عودته نهائيا من تونس سنة 1926 استقر بالجزائر العاصمة وأصدر بها أول صحفه (وادي ميزاب 1926- 1929)، ليبدأ جهاده الصحفي الذي استمر 12 سنة أنشأ خلالها ثماني صحف وطنية مجاهدة في الفترة الممتدة بين 1926- 1938 وهي: وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، النور، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان. (للتوضيح أكثر حول هذه الصحف ينظر الجدول أدناه).

كما شارك الشيخ أبو اليقظان سنة 1931 في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم أصبح نائب أمين مالها وفي نفس السنة أسس المطبعة العربية[2] بالجزائر العاصمة التي أدت خدمات كبيرة للثقافة العربية في الجزائر بما كانت تنشره من كتب وتطبعه من صحف[3].

أما في صيف 1938 وبعد ما قامت سلطة الاحتلال الفرنسي بتعطيل آخر صحف الشيخ أبي اليقظان "الفرقان" وقرب اندلاع الحرب العالمية الثانية، رجع إلى مسقط رأسه القرارة متفرغا للتأليف والعمل الاجتماعي التربوي. هذا وقد تم اختياره سنة 1948 عضوا فعالا في لجنة إغاثة فلسطين، وجمع بمجهوده الخاص مالا وفيرا لصالح القضية، وفي شهر أفريل 1957 أصيب بمرض الشلل النصفي، وظل يجاهد بقلمه. ورغم المرض، ألف العديد من الدراسات في التاريخ والفقه والشعر، وكان مرجع الباحثين من داخل القطر وخارجه وكون علاقات وطيدة مع الأعلام المصلحين في العالم العربي والإسلامي، وترك تراثا مهما من المخطوطات كتبا ومراسلات ومقالات صحفية، انتقل الشيخ إبراهيم أبو اليقظان إلى رحمة ربه يوم 30 مارس 1973 بمسقط رأسه وبها دفن في جنازة مهيبة (رحمة الله عليه) [4].

ترك حوالي 60 مؤلفا في شتى العلوم الإنسانية من بينها:

- ديوان أبي اليقظان في جزأين (مطبوع).
- سليمان الباروني باشا في جزأين (مطبوع).
- سلم الاستقامة كتاب مدرسي في الفقه الإباضي (مطبوع في ثمانية أجزاء).
- فتح نوافذ القرآن (مطبوع).
- إرشاد الحائرين (مطبوع).
- سبيل المؤمن البصير إلى ربه (مطبوع).
- ملحق سير الشماخي في ثلاثة حلقات (مخطوط).

- الإباضية في شمال إفريقيا (مخطوط).[5]

جدول يوضح صحف الشيخ إبراهيم أبو اليقظان التي صدرت بين سنوات (1926-1938)[6]:

اسم الجريدة	تاريخ صدورها	تاريخ تعطيلها	مجموع أعدادها
وادي ميزاب	01 أكتوبر 1926	18 جانفي 1929	119
ميزاب	25 جانفي 1930	25 جانفي 1930	01
المغرب	29 ماي 1930	09 مارس 1931	38
النور	15 سبتمبر 1931	03 ماي 1933	78
البستان	27 ماي 1933	13 جويلية 1933	10
النبراس	12 جويلية 1933	23 أوت 1933	06
الأمة	08 سبتمبر 1933	06 جوان 1938	170
الفرقان	05 جويلية 1938	03 أوت 1938	06

2) أهداف الشيخ أبو اليقظان من إصدار الصحف:

بقي إبراهيم أبو اليقظان يقاوم سياسة فرنسا العنجهية ضد كل ما يخدم المسلمين الجزائريين، وكلما تم تحجير أحد جرائده إلا وأصدر رصيفتها بعد بضعت شهور دون كلل أو ملل، رغبة منه في تحقيق أهدافه ومراميه، هذه الأهداف التي صرح بها في افتتاحية جريدة ميزاب وهي نفس الأهداف التي عمل بها في كل صحفه المتعاقبة:

- تأييد الحق والحرية والعدالة والمساواة بأتم معنى الكلمة بين كافة الأجناس المتساكنة بالقطر الجزائري.

- السعي في بث روح الاتحاد والتضامن بين سائر المسلمين على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم بتأييد الصلات المتعددة بينهم ومعاضدة الصحافة الأهلية الحرة في كل ما ترتاده من طرق الإصلاح وبذل الجهد في إزالة الشحناء والبغضاء وسوء التفاهم بينهم بتتبع أصول الداء وتحكيم الدليل والبرهان والعقل بكل نزاهة وإنصاف.

- أن حسن الوساطة بين الأمة والحكومة بإزالة سوء التفاهم بينهما وتشخيص أدواء الأمة وآلامها وإبلاغ رغائبها لها بكل هدوء وأدب.

- بذل الجهد في مقاومة الرذائل ونشر الفضيلة قدر المستطاع ومقاومة الخرافات

والبدع.

- حث الأمة على اغتراف العلوم والمعارف وإحياء اللغة العربية وتربية أبنائها تربية إسلامية صحيحة ومقاومة سموم الزيغ والإلحاد السارية في الشبان المسلمين سريان الوباء في الأوساط المريضة.

- نقل ما يهم الأمة من الأخبار العالمية عموما والإسلامية خصوصا، وشرح ما يهم شرحه للعظة والاعتبار.

- خطتها الحكمة والاعتدال لا التهجم على الأحوال، وسلوك مسلك الدفاع لا الهجوم والافتراء، وتحري الصدق في الأخبار قدر الإمكان، والإخلاص التام في النصيحة والنزاهة في الإبلاغ ونقد الأخلاق نفسها والأعمال ذاتها مجردة عن أشخاصها وبقطع النظر عن أصحابها مع اختيار اللطف في التعبير وتجنب الهجين منها وانتقاء أوضح المعاني وترك المبهم والمجمل منها قدر الإمكان.

- ترقية مدارك الأمة ورفع مستواها المادي والأدبي وإحلالها المحل اللائق بين الأمم الحية والناهضة[7].

3) مو اقف الشيخ إبراهيم أبو اليقظان من القضية الفلسطينية 1930:

تجلت مواقف الشيخ أبو اليقظان تجاه القضية الفلسطينية فيما كان يكتبه من مقالات وينشره في صحفه الخاصة من آراء ومواقف، فكما عرفنا مسبقا أن صحفه كثيرة ومقالاته فيها حول القضية الفلسطينية كانت غزيرة ونحن في هذا العنصر لا نريد إحصاءها أو تعديدها وإنما نأخذ مثالا واحدا فقط (مقالا فريدا) وندرس حيثياته ونرى ردود فعل سلطة الاحتلال الفرنسي مما كانت تكتبه النخبة الجزائرية حول القضية الفلسطينية، والمثال هو مقال لإبراهيم أبو اليقظان عنوانه (**مسألة فلسطين**) نشره في أول عدد من جريدته الثانية **ميزاب** بتاريخ **25 جانفي 1930**، فما الذي جاء في هذا المقال من أفكار يا ترى؟ وما هو موقف أبو اليقظان من مسألة فلسطين في هذا المقال؟ وما هو رد فعل سلطة الاحتلال الفرنسي حول المقال؟

حينما أصدر أبو اليقظان أول جريدة له المسماة وادي ميزاب (1926- 1929) كانت هذه الجريدة تطبع في تونس وتوزع في الجزائر ونظرا لتقصيها عن الحقيقة وكتابة مقالات شديدة اللهجة صدر قرار من وزارة الداخلية الفرنسية في 18 جانفي 1929 يأمر بتعطيل

هذه الجريدة وتحجير بيعها وطبعها وتوزيعها، كما أمر بتعطيل كل ما سيصدر مما يشبهها في شدة اللهجة باسم أبي اليقظان أو غيره[8]. استمر هذا التعطيل لمدة سنة كاملة وبحلول سنة 1930 سمحت الإدارة الفرنسية لأبي اليقظان بمعاودة إصدار الصحف فأصدر صحيفة ميزاب بتاريخ 25 جانفي 1930 ومما جاء في هذا العدد الأول مقال لصاحبها بعنوان مسألة فلسطين[9]، علما أن الظروف التي كتب فيها جاءت بعد الحوادث الدامية التي انفجرت بين العرب والصهاينة حول حائط المبكى سنة 1929 بعد ادعاء ملكية هؤلاء له، حادثا تاريخيا حرك مشاعر كتاب المقالة الصحفية في حماس جماعي عارم[10]، سنذكر فيما يأتي بعض أفكار المقال انطلاقا من عباراته وفقراته على النحو الآتي:

- إن أهم مسألة وأعظم مشكلة أشغلت بال العالم الإسلامي والمسيحي في الحالة الراهنة هي مسألة فلسطين تلك المسألة التي أخذت شطرا كبيرا في الأندية السياسية وفي عالم الصحافة.

- إن كل من يمعن النظر ويدقق البحث في قوادم المسألة وخوافيها يجد أن المسألة ليست مسألة المبكى والبراق وإنما حقيقة المسألة هي السرطان الصهيوني الناشب مخالبه في غلصمة العالم الظاهرة عوارضه الراهنة في فردوس الإسلام وجنته الأرضية ومقر أنبياء الله (فلسطين).

- (...وليست في الواقع السياسة الإنجليزية تجاه هذه المسألة الأساسية ما سورة مسخرة لا إرادة لها إزاء السياسة الصهيونية الخفية العتيدة وإلا لما أرخت العنان للطغيان الصهيوني إلى هذه الدرجة...)

- (...تلك البقاع المقدسة لأجل أقلية ضئيلة ختم الله عليها بالتبديد والتشريد في العالم لما اقترفوه مع أنبيائهم من الجرائم ولأجل إشباع نهمها بحقوق غيرها كل هذا بما يحط من قيمتها بين الدول ويزلزل مركزها في الشرق).[11]

* مجمل الفقرات الأربعة التي ذكرناها تعبر عن إيمان الشيخ إبراهيم أبو اليقظان بالقضية الفلسطينية وعدالتها وإبدائه عميق ضجره وتبرمه من السياسة الصهيونية المنتهكة لأرض فلسطين وحقوق شعبها.

- (...فلو كانت سياسة الإنكليز سياسة حرة من كل تأثير فهل يرضى شرفها أن تقوم بوظيفة بوليس لخدمة السياسة الصهيونية وأن تقدم على مذبح مطامعها قرابين من

الأموال والرجال والعتاد؟)

- (...وإذا حملها سخاؤها على أن تتكرم على أي طائفة شاءت فذلك شأنها ولا دخل لنا في ذلك، وإنما نقول لها: يجب أن يكون السخاء من جيبك ومن بلادك، لا من جيوب الناس وبلادهم) .

- (...فإرسال لجنة التحقيقات لفلسطين ومواصلة البحث والتنقيب فيها ما هو إلا من قيبل ذر الرماد في الأعين).

- (...إزالة جرثومة المسألة من أصلها -وعد بلفور-).

- لقد حار عقلي والله في حكومة كحكومة إنكلترا تعد حكومة مسيحية ذات رسوخ ومهارة في سياسة العالم ثم هي نفسها ترتكب أغلاطا فادحة لفائدة الصهيونية التي هي تعتقد أنها سلالة الذين صلبوا سيدنا المسيح عليه السلام! فهل يوجد في الدنيا تناقض أكبر من هذا؟[12]

تعبر هذه الفقرات عن شدة استغراب الشيخ أبو اليقظان من سياسة بريطانيا المتناقضة مع نفسها، والتي تميزت بنكث العهد مع المسلمين والوفاء به للصهاينة؛ هذا العهد الذي ضربته للعرب للمسلمين سنة 1915 أثناء الثورة العربية التي قادها شريف مكة الشريف حسين ضد الدولة العثمانية، ودعمته بريطانيا ووعدته بأن تنصبه ملكا على العرب فلم تف بريطانيا بهذا العهد الزائف وحققت للصهاينة ما ضربته لهم في وعد بلفور سنة 1917 بمنحهم أرض فلسطين لتكون وطنا قوميا لهم وجمع شتاتهم النشاز عبر دول العالم.

إن مقال مسألة فلسطين الذي كتبه الشيخ إبراهيم أبو اليقظان بأسلوب شديد اللهجة، عبر فيه عن مشاعره الفياضة تجاه القضية الفلسطينية وأورد فيه مصطلحات وكلمات قوية مثل السرطان الصهيوني، الطغيان الصهيوني، البقاع المقدسة. كان وقعها قويا على رؤوس المسؤولين الفرنسيين في الجزائر وفي مقدمتهم الحاكم العام هنري كارد Henri Carde ورئيس الشؤون الأهلية جان ميرانت الذي قال عنه مفدي زكريا: " كان على رأس الشؤون الأهلية قهرمان عجوز ومن لفيف المستشرقين يقال له ميرانط وهو من أخبث الثعالب الاستعمارية التي بليت بها الجزائر " [13].

أما الحاكم العام كارد فما كان منه إلا أن يكتم أنفاس جريدة ميزاب في المهد وأمر

بتعطيلها وتوقيفها عن الصدور، بعدما ظهرت مرة واحدة فقط، كل هذا بسبب مقال "مسألة فلسطين"؛ لأنه لا يتوافق مع السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر.

بالرجوع إلى جريدة ميزاب والبحث في محتوياتها الصادرة في عددها الوحيد يوم 1930/01/25 لا نجد فيها أي شيء يدعو الحاكم العام ليوقفها، فقد جاء فيها افتتاحية العدد الذي يتحدث عن الجريدة ثم بعض الإعلانات ومقال مسألة فلسطين وأخبار حول الأدب والتاريخ وصفحة إشهارية، هذا ما يعني أن مقالا واحدا كلف أبو اليقظان تحجير جريدته من أول أعدادها بعدما كان ممنوعا عليه إصدار أي جريدة منذ سنة كاملة، هكذا كانت مواقف النخبة الجزائرية من القضية الفلسطينية، وكذلك كانت ردود فعل الإدارة الفرنسية راديكالية وتعسفية.

الخاتمة

عرف عن الشيخ إبراهيم أبو اليقظان بأنه مقاوم لسياسة المنع، تلك السياسة التي اتبعتها دوائر سلطة الاحتلال الفرنسي ضد إصدار صحفه، فقد قالوا عنه أنه شيخ الصحافة الجزائرية، كيف لا وهو الذي أصدر ثماني صحف عربية وطنية وأسس مطبعة خاصة به لنشر جرائده (المطبعة العربية). فقد كان المسؤوليون الفرنسيون يتتبعون ويترصدون ما يكتبه وما ينشره وما يتخذه من مواقف أملا في اصطناع ذريعة ومنعه من نشر الصحف.

وفي هذا الإطار كانت لأبي اليقظان مقالات عديدة حول القضية الفلسطينية كانت مرآة عاكسة لمواقفه تجاه هذه القضية، ومن بين ما كتبه مقالا عنوانه: "مسألة فلسطين" كان قد نشره في أول عدد من جريدته الثانية (ميزاب) يوم 25 جانفي 1930، فسبب له هذا المقال تحجير جريدته الجديدة، ومنعها من الصدور، كل ذلك في إطار ما سمته فرنسا برسالة التمدين التي تريد نشرها وترسيخها في أمة جاهلة ومتخلفة! لكن هيهات فعزيمة أبو اليقظان كانت أكبر من سياسة المنع ولم تثنه عن التوقف والكتابة، فقد واصل إصدار جرائد جديدة وفيها مقالات عن القضية الفلسطينية.

الهوامش والإحالات:

1- عبد القادر عزام عوادي، **هجرة بني مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة1881- 1956**، د. ر. ط، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية، الجزائر، 2018، ص 125.

2- **المطبعة العربية**: أنشأها الشيخ أبو اليقظان سنة 1931 بالعاصمة، ولعلها مشروع اشترك فيه التجار الميزابيون وغيرهم وهم أصحاب مبادرات مفيدة من هذا النوع، وكانت المطبعة العربية هي التي تطبع الصحف التي أنشأها الشيخ أبو اليقظان، كما طبعت مجموعة من الكتب، وكانت تقع في القصبة (شارع روفيقو سابقا- ذبيح الشريف الآن). وبقيت إلى عهد الاستقلال ثم نقلت إلى وادي ميزاب (غرداية). للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص .311

3- محمد ناصر: **الشيخ إبراهيم بيوض مصلحا وزعيما و أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، مج03، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2015، ص .13

4- نفسه، ص .13

5-عبد الرحمان بن عمر بابا واعمر: "دور صحافة الحركة الوطنية في الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري صحافة أبي اليقظان (1926- 1938) أنموذجا"، **مجلة الحوار المتوسطي**، الجزائرن ع03، مج09، 30 ديسمبر 2018، ص .250

6- نفسه، ص .256

7- م. م: "بسم الله الرحمن الرحيم (افتتاحية العدد)"، **جريدة ميزاب**، الجزائر،ع01. 25 جانفي 1930، ص .01

8- محمد ناصر: **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954**، ط2، ألفا ديزاين، المحمدية، الجزائر، 2006، ص .81

9- محمد ناصر: **تاريخ الصحافة العربية الجزائرية المقالة الصحفية الجزائرية**، مج01، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2015، ص .145

10- محمد ناصر، تاريخ الصحافة، مج 02، ص .406

14- م.م: "مسألة فلسطين"، **جريدة ميزاب**، الجزائر، ع01. 25 جانفي 1930، ص 02.

12- نفسه، ص .02

13- مفدي زكريا: **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، جم وتح أحمد حمدي، د. ر. ط، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، د.م.ن،2003، ص 165.

جريدة "المساواة" (égalité)، وجريدة "الجمهورية الجزائرية" (République Algérienne) وقضية فلسطين (1947 – 1948)

د/ محمد بك – جامعة عنابة

مقدمة

تأسست صحيفة المساواة في 15 سبتمبر 1944 واستمرت إلى غاية 1956 وعنوانها الفرعي "مساواة الناس والأعراق والشعوب" وكانت لسان حال حركة أحباب البيان والحرية (AML) وكانت تصدر في 8 صفحات . ومنذ أوت 1946 أصبحت الصحيفة تصدر باسم حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA)، وبعنوان فرعي لسان حال بيان الشعب الجزائري، وصارت بداية من يوم 18 جوان 1948، تعرف باسم (République Algérienne) أو (الجمهورية الجزائرية).[1]

انتقدت الصهيونية والحرب الإسرائيلية العربية الأولى 1948 ومواقف الدول العظمى المتحيزة للصهاينة وطالبت بإنصاف الشعب الفلسطيني. وكتب في الصحيفة أقلام حرة من أطياف الحركة الوطنية ساهمت في إثرائها وتأكيد توجهها الوطني.

في هذا المقال سوف أتناول مواقف هذه الصحيفة وحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من قضية فلسطين خلال الفترة 1947 – 1948 .

1-اهتمام جريدتي المساواة والجمهورية الجزائرية بالقضية الفلسطينية :

لقد اهتم حزب البيان لصاحبه فرحات عباس بالمسائل والقضايا العربية سواء من خلال نشاطه على الصعيد العربي أو كتاباته الصحفية، وكانت القضية الفلسطينية في طليعة اهتماماته، وحتى قبل الحرب العالمية الثانية كان فرحات عباس كثيرا ما يكتب حول القضية الفلسطينية في الصحافة الجزائرية خاصة جريدة " الوفاق ".[2]

بينما خصصت جريدة المساواة ركنا خاصا للقضية الفلسطينية المعنونة بـ : "هل ستعيش إسرائيل؟"، وبعد اجتماع اللجنة المركزية لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في مدينة الجزائر بتاريخ 31 ديسمبر 1947م أذاعت بيانا حول فلسطين نددت فيه بالصهيونية وبطابعها الاستعماري والعنصري، كما استنكرت مشروع التقسيم الأممي

وتوصلت إلى نتيجة وهي أن الأمم المتحدة خيبت آمال الإنسانية ومثلها العليا، وفي الأخير اعتبرت الحل الوحيد هو استقلال فلسطين وأن يعيش العرب واليهود الأصليون كمواطنين متساوي الحقوق. [3]

وقبل إعلان تأسيس الكيان الصهيوني أصدر المكتب السياسي للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بيانا ومما جاء فيه :(يستنتج المكتب السياسي أن الحزب ليس خارج الحسابات رغم الوعود المقطوعة من هيئة الأمم المتحدة، يندد بالإمبريالية الصهيونية باعتبارها السبب في النزاع القائم بين اليهود والعرب، والتي هدفها تحطيم الجهود العربية القائمة لأجل تحررها). [4] وتحت عنوان "المأساة الفلسطينية" تأسفت جريدة "الجمهورية الجزائرية" كيف تمكنت الامبريالية العالمية المتحالفة مع الحركة الصهيونية من أن تفرض نفسها بمنطق القوة الغاشمة على الدول العربية حديثة الاستقلال، ولكننا حسبها مقتنعون بأن هذه الجيوش العربية لن تتراجع مهما كانت التضحيات جسيمة من أجل تحرير الشعب الفلسطيني الشقيق، وأن تضع حدا للكابوس الذي يعيشه الفلسطينيون منذ 32 سنة. إن القضية العربية في فلسطين هي قضية عادلة والشعب الجزائري يدعمها بكل ما لديه من قوة وإمكانيات".

2-رفض جريدتي المساواة والجمهورية الجزائرية ادعاءات الحركة الصهيونية:

رفضت الصحف الوطنية الفكرة التي روّج لها الصهاينة التي تستند على معطيات دينية توراتية، وقد استنكرت جريدة "الجمهورية الجزائرية" الادعاءات الدينية الصهيونية، والمتمثلة في المفهوم الديني للدور الدنيوي لإسرائيل الذي لا يخفى على أحد من اليهود مهما كان مستواهم الثقافي أو قناعتهم الإيديولوجية أو مستوى اندماجهم في الأمة التي ينتمون إليها. أما نحن الذين كانوا أكثر تعبيرا عن الروح الليبرالية المتسامحة، فإنه لا يمكن تغليطنا بأفكار دينية تعود للزمن القديم. [5]

واعتبرت جريدة "المساواة" أن الحركة الصهيونية من صنع الامبريالية العالمية أوروبا وأمريكا من أجل الحفاظ على مصالحها ونفوذها في المنطقة، حيث إن بريطانيا العظمى هي التي ساهمت في تكوين ودعم الصهيونية، بعدها رأت أن الدول العربية قد استفاقت وشعرت بالروابط الحضارية التي توحدها، فقامت بمواجهتها بأسطورة دينية صهيونية.

هذه الحركة ليست لها أهداف أخرى غير خدمة سيدتها الامبريالية، وتقوم بنشر دعاية كبيرة للمطالبة ب"أرض الميعاد لليهود" وجعلت تلك الدعاية من اليهود في أوروبا وأمريكا يشعرون بأن لهم رسالة مقدسة يجب أداؤها في أرض إسرائيل، لكنهم وبعد هجرتهم إلى أرض فلسطين وبمجرد وصولهم أصيبوا بخيبة أمل.[6]

3-استنكار جريدتي المساواة والجمهورية الجزائرية نشاط الحركة الصهيونية في الجزائر:

عبّر بيان اجتماع لحزب(إ د ب ج) الذي انعقد بتاريخ 31 ديسمبر 1947م عن احتجاجه ضد نشاط الحركة الصهيونية في الجزائر، وضد معسكرات تدريب الشباب اليهود السرية، وضد التدريب العسكري الممنوح لعناصرها، وضد ترحيلهم إلى فلسطين انطلاقا من موانئ الجزائر، واعتبر البيان أن تلك الأعمال موجهة ضد فلسطين، هي في الأصل أعمال عدائية ضد الشعب الجزائري، وقد يؤدي حتما إلى تفجير الروح العنصرية ويعكر العلاقات بين مختلف العناصر التي تقطن الجزائر.[7] وبينت جريدة المساواة كيف أن المنظمات الصهيونية في الجزائر أصبحت تنشط علانية في وضح النهار، وكأن السلطات لا ترى ولا تسمع، فتقوم بتوزيع المنشورات الدعائية، ولا تتوانى الفيدرالية الصهيونية لدعم فلسطين اليهودية في النشاط ولا تتورع البتة حتى في إظهار عملها ونشر مخططها وحتى مكان مقرها.[8]

4-استنكار جريدتي المساواة والجمهورية الجزائرية المواقف الدولية المؤيدة للمشروع الصهيوني:

لقد استنكرت جريدة "المساواة" التوافق الأمريكي الروسي على تقسيم أرض فلسطين، واعتبرت القرار الذي صدر عن هيئة الأمم المتحدة، قراراً ظالما وغير عادل، ومخيبا للآمال، ونقلت المساواة آخر تطورات القضية الفلسطينية حيث أعلنت انجلترا الانسحاب من فلسطين في 15 ماي 1948م، وقيام الجماعات اليهودية المسلحة بالهجوم على مدينة حيفا واحتلالها. وكان رد فعل الدول العربية إعلان قرار بالمشاركة الكاملة في العمليات العسكرية في فلسطين.[9] وعبرت جريدة "المساواة" بسخرية عن التعاطف الدولي مع اليهود بقولها: (الامبريالية العالمية تكتشف التعاطف مع إسرائيل، وذلك على أنقاض قبور آلاف

الضحايا العرب، هيئة الأمم المتحدة في ظل الارتياح الأمريكي، بينت النيات الطيبة التي عبّرت عنها عند تأسيسها، مقابل إقامة أحسن حارس للمصالح التي تقود العالم يوما بعد يوم إلى خرابه وتدميره).[10] وفي بيانه النهائي أعلن المؤتمر الثالث(ل إ د ب ج) المنعقد في مدينة قسنطينة أيام 7- 8 - 9 ديسمبر 1951م، تنديده بعجز الأمم المتحدة والمنظمات الدولية لحل قضية مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين الموجودين في الصحراء، واعتبر ذلك بمثابة جريمة دولية.[11]

5-مساندة جريدتي المساواة والجمهورية الجزائرية المواقف العربية والثقة فيها لتحرير فلسطين:

لقد صرحت جريدة الجمهورية الجزائرية عن تأييدها لدخول حرب 1948م ضد الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين: "العرب لا يقومون بحرب مقدسة ولا بحرب صليبية معادية للسامية ضد اليهود، بل هم يدافعون عن حقوقهم والأسلحة في أيديهم وهذا عكس الرأي الذي يتم تداوله في الدعاية المغرضة، إن الحقيقة واضحة جلية وأكثر بساطة وأكثر إنسانية ".[12]

وبعد إعلان ميلاد دولة إسرائيل في 15 ماي 1948م كتبت جريدة "الجمهورية الجزائرية": "المأساة الفلسطينية، القضية العربية قضية عادلة". وتناولت أيضا إعلان بن غريون ميلاد الدولة اليهودية تحت اسم إسرائيل، وبعد ساعات قامت الجيوش العربية باختراق حدود فلسطين لإنقاذ الشعب العربي الفلسطيني الذي تعرض لهجمة استعمارية دينية متطرفة.[13]

6-حل القضية الفلسطينية حسب وجهة نظر جريدتي المساواة والجمهورية الجزائرية:

نقلت جريدة "الجمهورية الجزائرية" الوضع المأساوي الذي يعيشه اللاجئون الفلسطينيون، ونشرت جريدة "الجمهورية الجزائرية" تقريرا خاصا لصحيفة التايمز بلندن جاء فيه أن ثلثي سكان فلسطين العرب هم في مرحلة الانهيار والزوال، إذا لم تتحرك الأمم المتحدة بشكل سريع لمساعدتهم، ضاعت أرضهم، لا يمتلكون وسائل رزقهم سواء كانوا في داخل فلسطين المحتلة أو خارجها.[14] وذكرت جريدة "المساواة" أن الحكمة تقضي

بإقامة أمة فيدرالية لكل أجزاء فلسطين كنموذج سويسرا، من خلال مواطنة تحفظ الحريات الأساسية لكل المواطنين، وتجنب التمايز الاجتماعي الذي يكون أساسه اللغة والدين والعرق، وقد رفض الصهاينة هذا الاقتراح وكان مخططهم احتلال الأرض ونفي العرب.[15] وبالتالي إن الحل يظهر جليا في دولة مدنية، تجعل حقوق المواطنة أعلى من كل الاعتبارات العرقية والدينية واللغوية، وذكرت أن الدول العربية عبّرت عن إرادتها في تحرير فلسطين من المغتصب الصهيوني واقترحت بدل ذلك تأسيس دولة فلسطينية مستقلة يتمتع فيها العرب الذين يمثلون الأغلبية واليهود الدخلاء والأقل عددا بنفس الحقوق.[16]

الخاتمة

وخلاصة القول أن صحافة حزب(إ د ب ج)، والناطقة باسمه جريدتي "المساواة " و"الجمهورية الجزائرية"، قد تأثرتا بنشاط الحزب ومواقفه، وتطور نظرته إزاء الاستعمار الفرنسي في الجزائر، فكانت مواقفها رغم اعتدالها تعارض الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين العربية، وتؤيد تدخل الجيوش العربية لإنقاذ الشعب الفلسطيني حتى يتمكن من تقرير مصيره ودحر المشروع الصهيوني في فلسطين.

الهوامش والاحالات:

1- عبد السلام عكاش : **الحركة الوطنية في الصحافة الاستعمارية والجزائرية 1945 – 1954 دراسة تحليلية مقارناتية ، جامعة قسنطينة 2 ، 2016 – 2017 ، ص ص 122 - 124 .**

2- l 'Entente,09 décembre1937 .l'Entente, 10 juillet 1939.

3-عبد السلام عكاش، المرجع السابق، ص 330 .

4- Egalité , 07 mai 1948.

5- Egalité , 21 mai 1948

6- Egalité , 16 mai 1948

7- Egalité, 09 juin 1948

8- Egalité, 23 mai 1948

9- Egalité, 07 mai 1948

10- Egalité, 28 mai 1948 .

11- République Algérienne ,21 septembre 1951

12- République Algérienne, 23 juillet 1948

Egalité, 21 mai 1948 . -13

République Algérienne, 16 mars 1949 .-14

Egalité, 21 mai 1948 .-15

Egalité , 07 mai 1948 . -16

القسم السادس

كتابات الجزائريين حول قضية فلسطين

نماذج من كتابات النخب الثقافية بوادي سوف حول قضية فلسطين في بدايات القرن الحالي

أ.د/ علي غنابزية – جامعة الوادي

مقدمة

إن فلسطين قضية الشرفاء، ورسالة الكرماء من أبناء الجزائر، ولها في قلوب أبنائها مكانة لا تضاهيها إلا البقاع المقدسة في الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، ولهذا جعل الأجداد يتجهون نحو القدس الشريف ويصلون في المسجد الأقصى، تطبيقا للسنة، وأخذا للأجر، وحتى يختم الحج بالتقديس، ويقولون على كل من تمكن من زيارته للمسجد الأقصى الشريف، (حج وقدس) تعبيرا عن ذلك الإنجاز الروحي، الذي يرفع مقام صاحبه في الآفاق، ويحلق به في معالي الأرواح الطيبة.

وكان الجهاد، وحب الاستشهاد من أجل الأقصى غاية الجزائريين في شتى الحروب التي قامت حول الأقصى سواء حرب 1948، وحرب 1967، وحرب 1973، والتي شاركوا فيها بالمال والرجال. وظل الشعب الجزائري وفيا لفلسطين في كل المحطات ولا سيما في الانتفاضة 1987، وعام 2000، وفي حروب غزة، وغيرها من المدن الفلسطينية. وعم الدعم كل المدن الجزائرية.

وكان لوادي سوف دور في قضية فلسطين، فيما تمثل؟ وما هو دور رجالها؟ وكيف تعاملت النخبة المثقفة مع ثورات الفلسطينيين وانتفاضاتهم المسلحة؟

ولعل هذه المداخلة تكشف عن دور النخبة المثقفة، ورجال التربية والتعليم في نصرة القضية، لأنهم وجدوا أن أحسن سبيل يمكن أن يخدموا به القضية، هو إصدار كتب حول الموضوع، واخترت ثلاثة نماذج، عرفت بصاحب الكتاب، والتعريف بالكتاب المقصود، وتقييم المحتوى المعرفي، وحصر النقاط البارزة، وجعلتها في عناوين مميزة تختصر الأفكار وتجمعها، وكانت الكتب المنتقاة متنوعة، أولها كتاب سرد فيه صاحبه خطابات وتصريحات الرئيس الجزائري بومدين والذي يعبر عن رؤية الجزائر ومواقفها الثابتة حول القضية، كتبه الأستاذ سعد العمامرة من وادي سوف.

والكتاب الثاني، هو قصة قصيرة، كتبها الأستاذ المربي مصطفى ضو، وعرض فيها الواقع الفلسطيني في قالب قصصي روائي، وفصل الحياة اليومية للفلسطينيين في قلب

القدس ومعاناتهم، وصمودهم وتحديهم للآلة الصهيونية بكل ثقة وتضحية ووفاء، والتي مثلها الشاب البطل مراد الميكانيكي الشهيد.

أما ثالث الكتب، فهو عبارة عن أحاسيس ومشاعر، خطتها يد المربي الأستاذ عمر طليبة، الذي تشبع بالروح الوطنية، وعرض تلك المشاعر في مقطوعات قوية الكلمة، فيها رمزية، وصراحة في نفس الوقت، وتخللها نقد لاذع للواقع العربي، مبرزا إلى جانبها معاناة فلسطين من الظلم المتواصل من أطراف عديدة، وانتشار الخيانة المأجورة من الصهاينة، لبعض العرب الذين باعوا ضمائرهم للشيطان.

1-مكانة فلسطين في نفوس النخب بوادي سوف:

كل جزائري يعبر عن حبه العميق لأرض الاسراء والمعراج، وعرف سكان وادي سوف بمحبتهم الكبيرة لفلسطين، ولا زالوا على ذلك، ومن خلال تتبعنا للواقع الفلسطيني والأحداث التي تتفاعل في ساحات الأقصى وفي مختلف المدن في القدس وسائر الأراضي المقدسة، وحجم الاعتداءات عن فلسطين. وأبرز فيها وادي سوف الشكل الحقيقي للتضامن المستمر من أهلها ، والذي تشكل في مظاهرات، وجمع التبرعات في المساجد وفي البيوت، والخطب المنبرية والدروس المسجدية التي تنشر الوعي بالقضية، والملتقيات التي كانت تحتوي على فقرات حول فلسطين وقضاياها المستجدة. والحصص الإذاعية، والكتابات في الصحف والمجلات، والرسائل العلمية، والتي توجت بعدد من الرسائل الجامعية في جامعة الوادي.

ونختار في هذه الدراسة الأولية، نماذج من المكتب المطبوعة حول القضية، بأقلام رجال التربية والتعليم، وهم النخبة الأولى والبارزة في وادي سوف، والذين خطوا بأناملهم صفحات مشرقة حول القضية المركزية للمسلمين.

2-نماج الكتابات النخبوية حول فلسطين:

أولا: كتاب بعنوان: الرئيس هواري بومدين والقضية الفلسطينية 1967-1978:

أ) المؤلف الأستاذ سعد العمامرة:

الاستاد سعد بن البشير العمامرة، ولد بحاسي خليفة سنة 1946، وهو ابن شهيد، ودرس في مختلف المدارس، ونال شهادة في التعليم، ومارس مهنة التعليم ما بين أكتوبر 1969 إلى أفريل 1990. وكان متشبعا بالروح الوطنية، وله اهتمامات سياسية وثقافية

معتبرة، نذكر منها:

- عضو مؤسس للجمعية الوطنية محمد الأمين العمودي، وتولى رئاستها ما بين 1989 إلى 2001، وكانت من أخصب الفترات نشاطا، وأثبتت الجمعية جدارتها في عهدته العشرية.

-عضو مؤسس للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء 1989، وأول أمين ولائي لها بالوادي.

-نائب بالمجلس الشعبي الوطني عن دائرة الوادي 1987/1982.

-رئيس اللجنة الولائية للتضامن مع الشعب الصحراوي.

-رئيس اللجنة السياسية الولائية بولاية الوادي لمراقبة الانتخابات 2012/1997.

-انتمى للجامعة، ونال شهادتي ليسانس، وماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر. وعرف بنشاطه الكثيف في عالم التأليف، في التاريخ المحلي والوطني والعالمي، وكتب نحو 20 كتابا مطبوعا.[1] وأخرى تنتظر النشر.

ب) تقييم محتوى الكتاب:

عنوان كتاب: الرئيس الجزائري هواري بومدين والقضية الفلسطينية 1967-1978، الصادر عن مطبعة سامي، الوادي – الجزائر، 2016.عدد الصفحات 32 صفحة. وهو يحتوي على مقتطفات من خطب وتصريحات الرئيس هواري بومدين في فترة حكمه ما بين 1967-1978، وقد رصد فيه المقاطع الهامة حول الأمة العربية، والتي تبرز مكانة الجزائر، ومواقفها من قضية فلسطين.

يعبر كتاب الأستاذ سعد العمامرة، عن اهتمام النخبة في وادي سوف بقضية فلسطين، والتي عبر عنها بالجمع، ولم يعلق على أي فقرة مما جمعه، وفي هذه الدراسة نحاول الإشارة إلى قيمة معنوية نستخلصها من الفقرات المنتقاة:

-فلسطين قضية مقدسة:

قال الرئيس يوم 19 جوان 1968:(فالكفاح المقدس من أجل تحرير فلسطين واسترجاع الأرض السليبة، لا يمكن فصله رغم ما تردده أبواق الصهيونية العالمية من أن اليهود سيبادون ويلقى بهم في البحر، عن الكفاح من أجل القضاء على الاستعمار وتصفية مناطق النفوذ الامبريالي في الوطن العربي).

والرئيس نبه إلى مسألة هامة، يروج لها الغرب الذي يساند الصهيونية ويعتبر العرب خطرا على اليهود، فهم يصرحون برميهم في البحر، وأن لليهود الحق في العيش؛ ونسوا أن الفلسطينيين أصحاب أرض مسلوبة ومحتلة، ووجودا يمثل حلقة في سلسلة المستعمرات التي تحتاج إلى تحرير. لأن الوجود اليهودي في فلسطين هو قاعدة استعمارية، تعرقل التطور العربي، ومما قاله الرئيس:

(لأن هذه الظاهرة الصهيونية هي في الواقع عبارة عن قاعدة عسكرية أوجدها الاستعمار لهدف عرقلة تطور وتقدم الوطن العربي وبالتالي المحافظة على مصالحه). [2]

-العرب لا يمكنهم تحرير فلسطين:

تحدث الرئيس عن العرب بلغة حادة، ونقد جارح، وأن أعمالهم مجرد شعارات فارغة، بينما العمل في الميدان يكاد ينعدم، وحتى الحروب التي خاضوها لم تحقق المطلوب لفلسطين، ونلاحظ ذلك في خطاب الرئيس بومدين أمام إطارات الدولة الجزائرية، يوم 5 فيفري 1969.

ومما قال: (فمنذ عام 1948 إلى عام 1967 والعرب يتكلمون عن تحرير فلسطين، ولكن النتيجة هي أنهم لم يحرروا فلسطين، فهل البلدان العربية تستطيع في المستقبل تحرير فلسطين؟)

وأبرز صراحة منقطعة النظير، في وصف العرب بالعجز عن تحرير فلسطين في المستقبل، ولم يحدد البعد الزمني لهذا العجز والتخاذل عن تقديم الجهد المقبول للقضية، ومما قاله في نفس الخطاب السابق:

(وإذا كان يجب علي أن أكون صريحا في هذا الموضوع فأنا أشك في كونها قادرة على تحرير فلسطين، وإذا كانت السياسة عبارة عن استعمال أسلوب معين وعدم جرح عواطف الغير، فإن هذا الموضوع لا يسمح بأن تشمله مثل هذه السياسة، ولهذا فأنا أقول أن هذه البلدان لا تستطيع تحرير فلسطين). [3]

-قضية فلسطين ليست قضية مادية:

إن قضية فلسطين ليست قضية مادية، كما يتصورها الماديون، تحل بمجرد تحقيق الرفاهية، والتسليم لليهود في الأرض، وتوفير الخبز، بل هي قضية وطن مقدس يجب تحريره ولو طال الزمن، وعظمت التضحيات.

وما ورد في خطاب الرئيس بومدين يوم 5 ماي 1969: (إن القضية بالنسبة للفلسطينيين ليست قضية خبز، بل هي قضية وطن، وليس لهم الحق للتسليم فيه، ولو بقوا 200 سنة فاليهود انتظروا 2000 سنة) [4].

-فلسطين قضية الأمة العربية:

إن قضية فلسطين في نظر الرئيس الجزائري بومدين هي قضية الأمة العربية جمعاء، والواجب عليها بذل جهدها ورسم مخططها لتحريرها من الغاصبين الصهاينة. وسوف تصطدم جهودهم بكره من الصهاينة والإنكليز، والغرب بأكمله، وتلك سنة البشر، كل حزب يعمل لصالح أفراده وجماعته.

ومما قاله في خطابه بسيدي بلعباس يوم 4 جوان 1967: (وإن قضية فلسطين هي قضية كل عربي، وقضية الأمة العربية كلها، لا بد أن يوجد لها الحل، وأن يوجد لها الحل الحقيقي سواء أحب الصهاينة أو كرهوا، وسواء أحب الإنكليز أيضا أو كرهوا، وسواء أحب الغرب أو كرهوا). [5]

-فلسطين ليست للمساومة ولا للمتاجرة العربية:

يعتبر الرئيس القضية الفلسطينية قضية أصحاب الأرض بالدرجة الأولى، والعرب هم السند، ولكن الكلمة الأخيرة لأصحاب الشأن، وكل تدخل من العرب واستغلال مواقعهم للمساومات أو المتاجرة بالقضية مع أي طرف أجنبي، يعد عقوقا، والواجب على الجميع، تقديم الدعم بدون مَنٍّ أو شرط، لأن فلسطين تحتاج إلى تزويد بالوسائل المادية المتاحة التي تفيد الفلسطينيين في معركة التحرير، وهم على استعداد للموت والتضحية في سبيل قضيتهم النبيلة.

ومما قاله الرئيس في خطابه يوم 5 فيفري 1969: (فلسطين للفلسطينيين وليس هنا حق لأي دولة عربية أن تساوم في فلسطين، وإذا حق لنا أن نفتخر بعروبتنا رغم مشاكلنا وهزائمنا، فنحن نقول للكل: كفانا من المتاجرة بالقضية الفلسطينية، وعلى كل واحد أن يقدم الوسائل الكافية واللازمة للفلسطينيين لكي يموتوا من أجل تحرير وطنهم المغتصب). [6]

-باسم الثورة الجزائرية: فلسطين هي التي تقرر مصيرها:

إن الجزائر خاضت نفس المصير، وجاهدت الفرنسيين، ورفض الجزائريون كل الحلول الجزئية التي فيها مؤامرة على الثورة والاستقلال، ولم ترض بتقسيم البلاد ولا

التنازل عن شبر واحد من أراضي الجزائر وصحرائها الغنية بثرواتها، ولم ترض لأي طرف خارجي أو عربي أن يتدخل ضد الجزائر، ومن هذا المنطلق أخذ الرئيس بومدين العبرة، ونبه العرب إلى ترك الفلسطينيين يتخذون قرارهم بأنفسهم، ولا يكون الثمن المدفوع زهيدا.

ومما قاله الرئيس في أوت 1970: (من حق أي بلد عربي التصرف في أراضيه كما يشاء، ولكن من حقنا أن نقول باسم الجزائر والثورة الجزائرية، بأنه ليس من حق أي مسؤول عربي أن يتصرف في القضية الفلسطينية حتى لا تكون حقوق الشعب الفلسطيني هي الثمن).[7]

-لا بديل عن النضال وخوض معركة التحرير:

يرى الرئيس بومدين أن الطريق الوحيد لحل القضية هو النضال، ولا بديل عنه بأي حال من الأحوال؛ لأن خوض معركة التحرير والتعاون العربي على ذلك من أوليات الأمور بل الواجبات الأساسية، والتي سلكتها الجزائر وحققت النصر المبين، وصارت قبلة للثوار والأحرار في العالم، وما على فلسطين إلا أن تقتفي أثرها، ويكون نصرها محققا، بحول الله وقوته.

ومما قاله في هذا الصدد في خطابه في 4 جويلية 1972: (فإذا أردنا نحن العرب أن نسترجع كرامتنا وأن نساعد الشعب الفلسطيني على استرجاع حقوقه المغتصبة فعلينا أن نكون شاعرين بأنه ليس أمامنا إلا المعركة والنضال والتضحيات وليس هناك طريق آخر بديل غير طريق الهزيمة وطريق الاستسلام).[8]

ثانيا: كتاب الأرض الطاهرة:

أ) المؤلف الأستاذ مصطفى ضو:

هو الأستاذ مصطفى بن سعد ضو، ولد يوم 29 جانفي 1963 بالوادي، زاول تعليمه بالمنطقة، حتى صار أستاذا في التعليم المتوسط في مادة الرياضيات، ولكن طموحه دفعه إلى الالتحاق بجامعة التكوين المتواصل بالوادي، ثم جامعة الوادي، ونال شهادة الليسانس في علم النفس التوجيه المدرسي والمهني سنة 2006. وتواصل الجد والاجتهاد عنده حتى نال شهادة الماستر في علم النفس العيادي من جامعة الوادي عام 2012.

ولكن كانت له رسالة ثقافية، ويؤمن بالمبدأ الذي كلل بالنجاح، وسطر بأنامله عدة

كتب، منها مجموعة قصص بعنوان موسم الحصاد، وروايتين هما اغتصاب حمامة، ورواية الأرض الطاهرة. ونال عدة جوائز تشجيعية، وتم تكريمه عدة مرات.[9]

ب) تقييم محتوى الكتاب:

عنوان كتاب: "الأرض الطاهرة"، الصادر عن دار خيال، برج بوعريريج – الجزائر، 2020. نوعها: رواية قصيرة، عدد الصفحات 68 صفحة. وهي رواية، بل قصة كفاح، وقصة وجود، قصة الفلسطيني الذي يعيش في قلب الأحداث في رحاب الأقصى، وداخل أراضي 48، وأصحابها يتجرعون مرارة العيش، ولكنهم عاشوا بعزة، رغم الاعتداءات المتواصلة من المستوطنين الصهاينة.

يعبر كتاب الأستاذ مصطفى ضو، عن اهتمام النخبة في وادي سوف بقضية فلسطين، بشتى ألوان الكتابة، ومنها القصة، وقد أبرز الكاتب من خلالها منزلة الفلسطيني وثباته في الدفاع عن الوطن، واستعداده التضحية بكل ما يملك، وفي هذه الدراسة نحاول الإشارة إلى قيمة شخصيات الرواية، وهي نموذج يتكرر في كل حي ومدينة فلسطينية:

-قصة أبو محمود المقدسي:

هو شاب في مقتبل عمر الشباب، يعيش مع والده وأمه، وهي عائلة من أصول جزائرية، هاجر جدهم الثاني من الشرق الجزائري، واستقر - بعد وعد بلفور المشؤوم – في فلسطين، وسكن في مدينة القدس، ورابط للدفاع عن الأقصى، ولكن الهجرات اليهودية، استوطنت القدس، وحينها طرد أبو محمود من بيته، وسكن في أطراف القدس، ويومئذ ولد ابنه مراد في تلك النواحي، وشاهد كيف يعامل الفلسطيني على أرضه من قبل عصابات المستوطنين. وكان لمراد أصدقاء منهم رافع، وحسام اليهودي، وهذا الأخير ينحدر أجداده من الشرق الجزائري كذلك.[10]

-نشأة مراد وممارسة عمله:

درس مراد في المدارس العربية بالقدس، وتشبع بالقيم الدينية والوطنية، وأتقن العربية والعبرية والانجليزية، ودخل الجامعة وتخرج منها مهندسا في ميكانيك السيارات، وفتح ورشة لتصليح عطب السيارات قرب بيتهم الصغير، وتوسعت الورشة، وأقبل عليه الزبائن بكثرة. قصدت محله فتاة يهودية فاتنة الجمال، بارعة في سلب قلوب الرجال، لإصلاح سيارتها، ولكن في نفسها غرض آخر، لأنها مستأجرة من الموساد الإسرائيلي، ولكنها

أثرت في نفس مراد، وأحدث اضطرابا في نفسه.[11]

-الخيانة تحاصر مراد من كل ناحية:

أكد الكاتب على الخيانة، وانتشار الجواسيس المأجورين من قبل الموساد، وهم يُزرعون بخبث في كل موضع يتجمع فيه الفلسطينيون، ويتم اختيارهم من الفلسطينيين المستهترين، ومنهم أحد العمال الذي زرع في ورشة مراد، يدعى "أبو خمرة" لأنه مدمن على شرب الخمر، وهو على حذر منه، ولديه شكوك أنه عميل لليهود، زُرع من قبل الموساد بين عماله، ليتجسس عنهم بسهولة.[12]

-مراد يستلم القيادة في العمل الوطني:

أما المشهد الأساس، فهو زيارة صديق مراد في ورشته، فتظاهر بإصلاح سيارة صديقه، والذي قدم لأمر مهم، فقام مراد بصرف العميل "أبو خمرة" حتى يعرف قصد صديقه، والذي أخبره أن المجموعة مستعدة، وتنتظر الأمر من مراد، وقائدهم "أبو خالد" يريد الالتقاء به في باحات الأقصى في عصر ذلك اليوم، والأمر لا يحتمل التأجيل.

ورغم المتابعة الشديدة التي خطط لها أبو خمرة، استطاع مراد الإفلات، واجتمع في الوقت المحدد مع القائد أبو خالد في باحات الأقصى، واتفقوا على الاجتماع الموسع مع المجموعة في مزرعة الزيتون الواقعة في أطراف القدس. والتقى الجميع، وقدم "أبو خالد" صديقه مراد للمجموعة الثورية، وقال لهم: هذا قائدنا مراد الميكانيكي، فاستلم الكلمة وحث الجميع على المثابرة، والتمسك بالمبادئ، والذود عن الوطن، وضرب مثلا بالثورة الجزائرية التي قدم فيها الشعب الجزائري جحافل الشهداء الأبرار حتى سميت بثورة المليون ونصف شهيد. وقسم القائد مراد أفراده إلى رؤساء خلايا، وهكذا تمت هيكلة الشباب لبداية العمل ضد العصابات الصهيونية.[13]

-محاولة اغيال القائد الشاب:

رغم التخفي والسرية التي اتبعها مراد، إلا أن الموساد كان له بالمرصاد، وحاصره من قبل أصدقائه، فزاره صديقه اليهودي المدعو حسام(يهودا) في ورشته، وكان جاسوسا متخفيا، وطلب منه إصلاح سيارته، ولكنه كان يناور -وهو يبطن الغدر -وذكر صديقه بالمرأة اليهودية الفاتنة، وضغط عليه بشكل خفي، كأنما يريد ربطه بتلك الفتاة، أو إثبات علاقة بينهما. وخاف مراد بأن أمره قد انكشف، وهم يحضرون لتصفيته أو سجنه، كما

شك أن تكون السيارة ملغمة، وفعلا كان تخمينه في محله، وانفجرت السيارة ولكن بعيدا عنه، فما كان منه إلا أن قتل صديقه اليهودي حسام، وأوصى قريبه العامل معه، بإدارة الورشة في غيابه، وامتطى دراجته واختفى عن الأنظار، لأنه صار مطلوبا من اليهود.[14]

-رد فعل السلطات اليهودية الظالمة:

حضرت الشرطة اليهودية في الحين، واعتقلت كل من وجدته في الورشة، وحتى المارة في الطريق، وأغلقت الورشة، وهدمتها مع بيت أبو محمود، وأصبح مع زوجته في العراء، بدون مأوى، ففضل الذهاب إلى قطاع غزة والعيش هناك. أما ابنه مراد، فصار مطاردا تترصده أعين العملاء في كل مكان.

وأقيمت محكمة عسكرية للمعتقلين والفارين، حتى تثبت دولة الاحتلال أنها تمارس العدالة، ولفقت التهم، وحكمت على مراد الميكانيكي غيابيا بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة. والبقية ما بين خمسة عشر سنة وسنتين نافذتين، أما الرجل المار في الطريق، فنال البراءة مع التعويض للمحكمة، ومنعه من المرور في نس الطريق، والرجل الكهل الذي كان متواجدا في الورشة صودرت سيارته، وأطلق سراحه. أما العميل أبو خمرة، فخفف حكمة، بتعويض مادي، ويبقى تحت المراقبة المستمرة مدة ثلاثة أشهر.[15]

- مراد ينتحل صفة الحاخام ويقيم الصلاة للجنود والضباط:

خاف مراد على نفسه، وظل مختفيا، وشاع خبره باغتيال يهودا، وتشكيله مجموعة فدائية، تحت اسم "مجموعة أبو فراس". تذكر حادثة جمعته مع أحد زبائنه من اليهود وهو الحاخام مردخاي، والذي أخبره أنه يشبهه تماما، فأراد أن يستثمر ذلك، ويصل إلى الحاخام الذي كان يدير كنيسة في القدس، وأراد الوصول إليه قبل القاء القبض عليه من قوات الاحتلال. ولكن فكر في اغتيال الحاخام وانتحال شخصيته، والإشراف بنفسه على القداس الذي يقام للقوات الأمنية، وفعلا اتصل بأحد أعضاء مجموعته، الذي اغتال الحاخام في الدير الذي يسكنه، وأخذه بعيدا، ولبس مراد ملابسه، واتجه إلى مكان القداس، وتخطى كل الشكوك والصعاب، وطلب من حاخام آخر أن يقنع قائد القوات بإقامة القداس لكل الجنود والضباط نظرا للظرف الأمني الصعب. وتم الأمر كما خطط له.[16]

-تفجير مكان الصلاة واستشهاد مراد:

لعب مراد دور الحاخام بكل إحكام وإتقان، ولما انتهت الصلاة أمرهم أن يلتفوا به ليباركهم في هذا المشهد المهيب، وبدأ يدعو لهم ثم فجر نفسه، فتحول الجميع إلى أشلاء متناثرة، ولم ينج منهم أحد. أما مراد فقد ارتفعت روحه إلى مثواها العظيم، وسجل في عداد الشهداء. ولكنه لم يمت، وخلف جيلا يحمل القيم والمبادي، وعنده الوفاء الكبير للقائد والمربي مراد الشهيد.[17]

-خاتمة القصة وعبرها:

كتب مصطفى آخر كلمات، واعتبر القصة مشهدا للأمل فقال: (رسم بهذه العملية الفدائية لوحة مشرقة، تنير طريق الآمال اللاحقة وسراج متوهج يضئ العقول).[18]

أما أثرها على القضية، فاعتبرها نجاح باهر، ونكسة أصابت الاحتلال، فقال: (تصدرت هذه العملية البطولية والجريئة والتي وقعت في معقل الاحتلال الديني، بأن المقاومة قادرة أن تصل إلى المبتغى في المكان والزمان المناسبين، رغم ما يملك من ترسانة العملاء والخونة وقوة السلاح والإعلام).[19]

ثالثا: كتاب فلسطين الحجر وتد القضية الفلسطينية:

أ)المؤلف الأستاذ عمر بن أحمد طليبة:

هو الأستاذ عمر بن أحمد طليبة، ولد بجبل الجلود بتونس بتاريخ 15 فيفري 1949، زاول التعليم الابتدائي بمدرسة النهضة بالقرجومة في نفس الحي، والتعليم الثانوي في المدرسة الصادقية بالعاصمة تونس. نال العديد من الشهادات، منها الباكالوريا، وشهادة الكفاءة لأساتذة التعليم الاعدادي (لغة عربية وآدابها)، وشهادة الليسانس (شريعة وقانون) وختمها في نفس الاختصاص بشهادة الماستر من جامعة الوادي.

عاش مربيا للأجيال، ومعلما في مخلف الأطوار، وإداريا يسير هذا الحقل العلمي، فدرس في الابتدائي في اللغة العربية منذ 1967، وصار أستاذا للتعليم الإعدادي من 1978، ومستشارا للتربية من 1986، ومديرا للتعليم المتوسط من 1998. ولم يتقاعد عن العمل إلا شكليا، بل زاد عطاؤه بإكمال دراسته الجامعية، وتأليف الكتب التالية بالترتيب:

-جبل الجلود المغاربية، مطبعة مزوار، 2014.

-جالية ونضال جبل الجلود 1954-1962. مطبعة سامي، مارس 2021.

-فلسطين، الحجر وتد الثورة الفلسطينية، مطبعة سامي، سبتمبر 2021.

- عالم العقلاء والدراويش، مطبعة سامي، ديسمبر 2021.

-مدرس ومسيرة (سيرة ذاتية)، مطبعة سامي، جوان 2022.

ومما كتبه عن رسالة التعليم: (التعليم رسالة تؤدى في طبق من البراءة للنفوس والمهجات والعقول من طرف المعلم الذي شبه بالرسل أنبل خلق الله في هذا الوجود(صلى الله عليه وسلم) جاءوا يعلمون البشرية الخلق الحسن والسجايا النبيلة، يعلمون الناس الاعتماد على النفس، يعلمونهم الصبر، يعلمونهم الإيثار والمحبة والإتقان في العمل، والكسب الحلال إلى غير ذلك من المثل الكريمة، يا أيها المعلم الرسول، لا تترك نفسك تستهويك نحو ضباب المادية بعناوين:(تغيرت الأحوال ثقلت علينا متطلبات الحياة، عصر جديد، علينا فعل ما يمارس الآخرون).. الخ.[20]

ب) تقييم محتوى الكتاب:

عنوان كتاب: "فلسطين الحجر وتد الثورة الفلسطينية"، الصادر عن مطبعة سامي، الوادي – الجزائر، 2021. عدد الصفحات 100 صفحة. وهو يحتوي على خواطر وآهات جزائري مهموم بقضايا العرب والمسلمين، ومشحون بالروح الثورية، والتي انبعثت من خلال آلام لم تبق حبيسة الروح، بل تناثرت دررا تنبض بالقيم والمبادي، عبر عنها بشاعرية رغم ما اكتنفها من غموض لا يدركه إلا من تعمق في فهمها وتقليب عباراتها على شتى الأوجه وقرأ ما كان كامنا بين السطور.

يعبر كتاب الأستاذ عمر طليبة، عن رجل من النخبة في وادي سوف ملكت عليه قضية فلسطين نفسه، فعبر عنها بالمقطوعات، ولم يعلق على أي منها، وفي هذه الدراسة نحاول التعليق والشرح لبعض النماذج المنتقاة، ومحاولة عرض القيم والمبادئ التي ضمنها الكاتب في أفكاره التالية:

-المنطلق في الكتاب:

كتب الأستاذ عمر طليبة أول كلمة في مقدمته، فيها نقد صريح وجهه للعرب والمسلمين على شكل سؤال تقريعي: (هل تصرفاتنا تحرر فلسطين؟) [21]

وهذا يدل بالتأكيد على الهاجس الذي يملأ نفوس فئة واسعة في المجتمع، تحمل هذا الهم ولها نفس الإحساس، وترغب في معركة التحرير التي ينشدها معظم الناس الذين شغفوا بفلسطين واعتبروها قضية عقيدة، والكاتب عرض أفكاره في شكل زفرات وآلام

تملأ النفس، وتفيض على المجتمع.

-فلسطين عذاب وألم:

واقع العالم العربي، وردود فعل شعوبه وحكامه عما يحدث يوميا في فلسطين، ولم يحركوا ساكنا، بينما يختصر الكاتب عذابه في نقطتين:

-الأولى: نقطة التعجب ! والتي أكثر منها في كتابه، وقال: (ولذا لا تتعجب إن أنا أكثرت منها في تأملاتي الكتابية، وذلك تعبيري على العذاب الداخلي الفاتك بمزاجي دون رأفة، المسيطر على شعوري النفسي).

-والثانية: نقطة استفهام؟ وهي ما تجده غامضا، ويحتاج إلى تأمل حتى تفهم المغزى الذي يريد تبليغه، ومما قاله في هذا المجال: (أيضا في تأملاتي ألغاز وخفايا لا يمكن التصريح بها في ظل الأوضاع الحالية لعالمنا العربي وكل حسب فهمه للآلام والأوجاع).[22]

-تعريف جغرافي تاريخي لفلسطين:

عرف بفلسطين بشكل مقتضب، جغرافيا، بذكر مساحتها، وأرضها وسواحلها وجبالها. واقتصادها وزراعتها وصناعتها، ومدنها الشهيرة.[23]

أما التاريخ، فهو تاريخ المؤامرات على فلسطين منذ اتفاقية سايكس بيكو 1916، والتي جعلتها قسما تابعا للإنكليز، والذين سمحوا لليهود بالهجرة إليها في ظل الانتداب البريطاني، والذي صرح من خلاله وزير خارجيتها الصهيوني بلفور يوم 2 نوفمبر 1917 بوعده المشئوم بمنح فلسطين لليهود، وكيف تم ذلك على مراحل بصدور قرار التقسيم من الأمم المتحدة 1947، وانسحاب بريطانيا 14 ماي 1948، وإعلان اليهود قيام دولة الكيان الصهيوني، وقيام الحرب العربية الصهيونية، وحرب حزيران المهزلة 1967، وحرب 1973 المؤامرة، وتلتها كامب ديفيد 1978 بين مصر والكيان الصهيوني، والاستسلام المصري 1979. والانتفاضة الفلسطينية 7-8 ديسمبر 1987، وختمها بكلمة بن غوريون، أن الزمن ينسي هذا التاريخ: (الكبار يموتون، والصغار ينسون).[24]

-عيون شعر الحرية العربي المشارب:

- توج الكاتب صفحاته بمقطوعات لفطاحل الشعراء العرب الذين تغنوا بالحرية، ودافعوا عن الكرامة العربية منذ العصر الجاهلي وإلى زمننا الراهن، وهي مادة يريد أن يطلع عليها الشباب، باعتبارها تهز الجامدين، وتنبه الغافلين، مثل قول عنترة بن شداد:

لا تسقني ماء الحياة بذلة * بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم * وجهنم بالعز أطيب منزل.

-وكيف يسفك الدم على الشرف والعرض والبلد، حتى يحصل الأمان، وهو قول المتنبي:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم.

-والشعر المعاصر منه قول على محمود طه، وهو يستنفر البلدان العربية للدفاع عن حماها:

أخي جاوز الظالمون المدى * فحق الجهاد وحق الفدا
أنتركهم يغصبون العروبة * مجد الأبوة والسؤددا.[25]

-تأملات الكاتب ومقطوعاته الشاعرية:

هي تأملات، وعبارات مزج فيها بين الخاطرة العابرة، والشاعرية الطموحة، والكلمات الغاضبة المزمجرة، نفثها معبرًا عما اختلج في نفسه من أحاسيس، وذكر أنه كتبها لنفسه، ومما قاله في هذا المضمار عن منبع تأملاته:

(ما كنت يوما ما متحصلا على ملكة الشعر ولا مواهبه، ولكن الأوضاع الحالية للعالم الإسلامي والعربي فجرت الامي وأوجاعي كأي عربي يعيش الغبن والهوان والسخط والأسقام !

لله در هذه السلطات والانظمة!

-إنني أكتب تفريجا عن النفس لا غير!

- إن لكل تألم محطة في تاريخ السياسة الحالية لعالم المكر العربي والغربي! خواطر لا غير).[26]

ولكنها كلمات مضيئة، وهذا أحد مجالات بروزها، وستبقى خالدة أبدا الدهر، وهي التالية:

-الحجر سلاح المقاومة وليس أداة الاهاب:

لقد جعل من الحجر والصخر رموزا للمقاومة، وأداة للدفاع عن الشرف، والرد على قوى الطغيان التي جعلت من المقاوم، صاحب الحق، إرهابيا يستحق الردع. فقال في

مقطوعته التالية:

أصروا ! أني إرهابي خلق من حجر! نعم!

أحب الحجر هو أصلي، إنه الصخر.

وتتقاطر دمائي على الحجر! [27]

-الأمة العربية صماء كالحجر:

وتحدث عن التخاذل العربي، وهي عند "أمة الحجر" ، أمة صماء عما يحدث في فلسطين، وفي أرض الإسراء والمعراج، ومما قاله واصفا الحال المزري:

فلسطيني يندب أمة الحجر.

فلسطينية تنام على رصيف الحجر.

تنادي ألست بشر!

يا أمة الحجر! [28]

-استغاثة الأم الفلسطينية المفجوعة:

تعاني الأم الفلسطينية، يقتل ولدها بين أضلعها، يهدم بيتها أما ناظريها، تشرد عائلتها ويفرق بينها وبين أهل بيتها في الملاجئ والمخيمات والسجون والمعتقلات، فكيف لا تستغيث، بذوي القربى، وهم العرب، ولكن لا حياء ولا نخوة، وكل في حياتهم يتنعمون! ومما قاله في الأم الفلسطينية الثكلى:

تنادي أمي وتستغيث

أين أنتم يا عرب؟!.....

أجيبوها بكل صراحة! عن السبب!

لا مروءة! لا حياء! لا إحساس بكم!

لا شجاعة لا ..... ما السبب؟ [29]

-الحجر سلاح شريف في أيدي أطفال فلسطين:

عبر الكاتب عن الحجر، وكيف تطور من حجر فوق بساط الأرض لا يؤبه له، إلى سلاح أقض مضاجع الصهاينة، في القدس، وغزة، وبيت لحم وغيرها من الأراضي الفلسطينية الأسيرة:

كنت حجر، والآن حجر!

ستبقى مع مر الأزمنة حجر

في يد طفل القدس الأغر

من الفجر إلى حين السمر

طفل غزة! طفل قدس "عمر"

طفل بيت لحم! كل في أرض الحجر.[30]

-اللاجئ الفلسطيني وألم الكاتب:

هذا هو اللاجئ الفلسطيني الذي ولد غريبا خارج الأرض المباركة، فهو يتألم، ولكن عمر طليبة هو الآخر يتألم معه، ويبث له أوجاعه وآلامه، بكل صدق:

ولدت في المهجر غريبا

رجعت إلى الوطن الأم، فوجدتني غريبا

حللت بربوع الأجداد والآباء

أيضا غريبا!

لا..... ! لا.... ! لا وطن!؟

خذوا كل شيء إلا الوطن![31]

-قصة الفأر القاضم للمهراس:

استلهم الكاتب قصة من التراث السوفي، ومثلها مع واقع الصهاينة ومعاملاتهم للفلسطينيين، فالفأر الذي يقضم المهراس النحاسي أمر مقبول عند أصحاب الاستسلام والتطبيع، والفأر يثقب كيس الدقيق، مرفوض عندهم ويعتبرونه بهتان عظيم، هكذا يتعامل الطغاة مع حقوق الفلسطيني، ويغتصب الصهاينة الحرية!

قال (الرجل) الثري:

" قضم الفأر مهراسي النحاسي"
أيد الحاضرون افتراءه وقالوا:
" الفأر لا حياء له! عاث فسادا إنه لا يستحي"
نطق بائس بذلة:
" ثقب الفأر كيس الدقيق "
صاحت الجماعة:
"أي بهتان هذا؟ (يا سخيف!)
أما سمعت باتفاق السماسرة؟
اغتصب الفلسطينيون حقوق الصهاينة
احتلوا الأرض القدسية،
ما امتثلوا للتعاليم السداسية!
أسيكون فأرك فلسطينيا؟
يلتهم حرية الصهيوني والصهيونية [32]!

-سلسلة أراضي المسلمين المغتصبة:

ربط الكاتب بين مختلف الأراضي الإسلامية التي ضاعت بداية بالأندلس، وفلسطين وما جاورها، في أرض سيناء، والجولان، وهي إحدى زفرات الشاعر بعنوان: "أين المفر؟"
الأندلس! فلسطين! أين السلام؟
سيناء! الجولان! أين مقر الأمان؟
أي مقر؟ تشرد الجد، والأب ما استقر
ورث الحفيد ظلام المقر
دون التقاء مع صباح السفر
أي صباح؟
أحجم الديك عن الصياح
طالت الأيام مع الأوجاع
تعمقت وذابت في مهب الرياح
خسنا!
وحكامنا مستبشرون ببعد الصباح! [33]

-معارضة الشاعر الفلسطيني محمود درويش:

أورد الشاعر عمر طليبة قطعة شعرية لمحمود درويش وهي صرخة عن الحرية، وأجابه عمر طليبة وبين له من يخاطب الشعب الثائر، أم القيادة المتخاذلة، أم الخسائر الجسيمة:

قال محمود درويش الشاعر الفلسطيني الثائر:

"ولا الامام ولا الوراء
حاصر حصارك لا مفر
سقطت ذراعك فالتقطها
واضرب عدوك... لا مفر
وسقطت قربك فالتقطني
واضرب عدوك بي...
فأنت الآن حر
حر.... حر....." [34]

الإجابة: (من عمر)

أنت يا محمود!
أأنت تخاطب شعبا ثائراً
أم تخاطب سلاطين من شياطين البشر؟
أنت تألمت وتأسفت
لشعب تشرد وصمد وما انتحر
واجهت عجائز القيادة:
النتيجة غضب وحذر
ازداد الوجع والألم
لا القناع شفعت
لا الحصار! لا القلاع صمدت!
والذراع التوت
كبلك العميل شقيقك
وارجل الصهاينة ركلت وداست

استشهدت حرا،
لا تأييد، لا سكوت
لا خروج من نفق!
لا يدك صفقت
لا اضراسك قهقهت
هكذا الأبطال من قبلك .[35]

-عوائق وسلاسل الافتراء على الفلسطيني المسلم:

وتحدث عن العوائق التي تقف في وجه المقاوم الفلسطيني الشهم، وأولها تسلط الأنظمة عن مقدرات الشعوب، واستغلال الريع لخدمة الغرب الظالم المستبد، وإمداد بني صهيون من وراء حجاب، واستسلام الحكام لبني صهيون، ومجاراتهم في بغيهم وتسلطهم، ونصرة ادعاءاتهم بان المسلم إرهابي، والفلسطيني المقاوم إرهابي، بينما الصهيوني رجل مظلوم، وقع عليه الشر من الفلسطيني المتوحش، هكذا يعتقدون، ولكنه بهتان مبين:

قال في مقطوعة بعنوان:

الإرهاب

من.... الإرهاب؟
من: أداة استفهام؟
من أسس وشيد الإرهاب؟
من صدر وسوق الاستسلام؟
من أحرق غصن الزيتون وَسعَّرَ النار؟ من شهر السلاح وتبنى الدمار؟
هكذا الأبطال من قبلك .[36]

الخاتمة

لقد أبرزت الدراسة للكتابات المعاصرة حول قضية فلسطين، من خلال استعراض نماذج للنخبة في وادي سوف، ومثلها رجال التربية والتعليم، والذين أظهروا مكانة المعلم، ومكانته في صنع التاريخ، رغم قلة ذات أيديهم، تجشموا الصعاب، وبذلوا ما وفروه من مال وطبعوا أعمالهم، لا يبتغون جاها ولا مالا، في وقت زهد الناس في القراءة، وضربوا

صفحا، بل قاطعوا المطالعة، وزهدوا في الاطلاع على الكتاب، أيا كان، ويمكن الوقوف عند النتائج التالية:

-كل الكتابات المعروضة للدراسة والبحث، احتوت على الرمزية، والأفكار المشفرة، والتي لا يستطيع السياسي مثل الرئيس بومدين، أو القاص مثل مصطفى ضو، أو كاتب الخواطر الشاعرية، مثل الأستاذ عمر طليبة، أن يبوح كل واحد بكل ما يؤمن به، لأن وراء ذلك أخلاقيات تحترم، وعوائق اجتماعية وسياسية تمنع التصريح. ورغم ذلك ففيها جانب من الإبداع المؤثر في النفوس التي تتذوق الكلمة المسؤولة.

-إن الثورة الجزائرية حضرت في الأعمال المعروضة بقوة، فالرئيس بومدين تكلم باسمها، وجعلها رمزا للقدوة لكل الفلسطينيين، يستلهمون منها التضحية والبذل والفداء. وكذلك الشأن عند صاحب الأرض الطاهرة، الذي جعل بطل قصته مراد، من أصول جزائرية، وهذا البعد بوأه مركزا قياديا، وعندما اجتمع بمجموعته الفدائية، تحركت النخوة، واستلهم العظة من ثورة أجداده، وقال لهم خذوا العبرة من الثورات، وخاصة ثورة الشعب الجزائري الذي ضحى بمليون ونصف من الشهداء.

الهوامش والاحالات:

1-سعد بن البشير العمامرة، **الرئيس الجزائري هواري بومدين والقضية الفلسطينية 1967-1978**، مطبعة سامي، الوادي – الجزائر، 2016، صفحة خلفية الكتاب.

2-نفسه، ص 12.

3- نفسه، ص 12.

4- نفسه، ص 13.

5- نفسه، ص 21.

6- نفسه، ص 25.

7- نفسه، ص 25.

8- نفسه، ص 27.

9-مصطفى ضو، نبذة حول حياته أرسلها إلي إلكترونيا، يوم 8 أكتوبر 2022 - كتابه اغتصاب حمامة، دار الماهر، ط1، سطيف، 2019، صفحة خلفية الكتاب.

10-مصطفى ضو، **الأرض الطاهرة**، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر، 2020، ص ص9-12.

11- نفسه، ص ص12-14.

12- نفسه، ص ص 16-24.

13-نفسه، ص ص 25-30.

14-نفسه، ص ص 36-.42

15-نفسه، ص ص46-.52

16-نفسه، ص ص 53-.61

17-نفسه، ص ص 61-.64

18-نفسه، ص .65

19-نفسه، ص .65

20- انظر: عمر أحمد طليبة، **مدرس ومسيرة**، دار سامي، ط1، الوادي – الجزائر، 2022، ص 55-131.

عمر أحمد طليبة، **جبل الجلود المغاربية**، مطبعة مزوار، الوادي -الجزائر،2014، صفحة الخلفية.

عمر أحمد طليبة، **جالية ونضال جبل الجلود 1962/1954**، مطبعة الرمال، الوادي - الجزائر،2021، صفحة الخلفية.

21-عمر بن أحمد طليبة، **فلسطين الحجر وتد الثورة الفلسطينية**، دار سامي، الوادي – الجزائر، 2021، ص 55-131. دار سامي، ط1، الوادي – الجزائر، 2022، ص.5

22-نفسه، ص .07

23-نفسه، ص .13

24-نفسه، ص .16

25-نفسه، ص ص 11-.12

26-نفسه، ص .08

27-نفسه، ص .23

28-نفسه، ص .25

29-نفسه، ص .28

30-نفسه، ص .30

31-نفسه، ص .37

32-نفسه، ص ص 44-.45

33-نفسه، ص ص 55-.56

34-نفسه، ص .58

35-نفسه، ص .59

36-نفسه، ص 80.

جمعية العلماء وقضية فلسطين من خلال الكتابة الشعرية "لمحمد العيد آل خليفة"

د/ الطاهر فرحات – جامعة الوادي

مقدمة

حظيت القضية الفلسطينية باهتمام واسع من قبل نخبة الإصلاح، أي رجال جمعية العلماء المسلمين؛ وهذا لأهمية فلسطين ومكانتها الدينية والتاريخية في وجدانها، وكان في طليعة هذه النخبة الشعراء الذين تغنوا بفلسطين ورثوا حالها، وفي مقدمتهم شاعرنا محمد العيد آل خليفة، فكان شعره مرآة تعكس معاناة الشعب الفلسطيني والتواطؤ الدولي الإنجليزي والأمريكي خاصة مع الصهاينة لاغتصاب فلسطين. فمن هو الشاعر محمد العيد؟ وكيف تجلى شعره في الموقف من القضية الفلسطينية؟

- **التعريف بالشاعر**: ولد محمد العيد آل خليفة في مدينة عين البيضاء بتاريخ 28 أوت 1904م من أسرة دينية عريقة تنحدر من وادي سوف وهاجرت إلى عين البيضاء التي فيها نشأ الشاعر وحفظ القرآن الكريم، وتعلم بمدرستها الابتدائية ثم انتقل إلى بسكرة سنة 1918 حيث تابع دراسته على المشايخ: "علي بن ابراهيم العقبي" و"الجنيدي أحمد المكي" ثم رحل إلى تونس والتحق بالجامع المعمور الزيتونة وفيه نال شهادة التطويع عام 1920 ثم عاد إلى بسكرة ثم عين معلما في جمعية الشبيبة الإسلامية بالعاصمة عام 1928، وعند تأسيس جمعية العلماء عام 1931 انظم إليها الشاعر وظل يتنقل في المدن الجزائرية : بسكرة، باتنة ، وعين مليلة ، معلما بمدارسها وقد بدأ الشاعر قرظ الشعر في سن مبكرة حيث لم يتجاوز من العمر سبعة عشر عاما، فكتب في جرائد الجمعية وأهم القضايا التي جادت بها قريحته هي القضية الوطنية وقضية فلسطين التي أخذت نصيبا وافرا من شعره .[1]

1- موقف نخبة الإصلاح من القضية الفلسطينية ممثلة في الشاعر محمد العيد آل خليفة: وقفت نخبة الإصلاح إلى جانب القضية وكان من بينها الشاعر محمد العيد آل خليفة؛ فقد واكب القضية بشعره وعايش كل مراحلها وتفاعل مع أحداثها، وهذا بحضور القضية بقوة في شعره، فقد نظم الكثير من القصائد منددا بسياسة الاستعمار البريطاني المتواطئ مع الحركة الصهيونية، ومتفاعلا مع القضية الفلسطينية، ومصورا بعاطفة الأسى معاناة الشعب الفلسطيني؛ وهذا انطلاقا من:

أ – **التزام ديني:** هو واجب نصرة المسلم لأخيه المسلم تبعا لرابطة الأخوة الدينية، كما أن فلسطين جزء من دار الإسلام لا يجوز استباحتها ففي عنق كل مسلم واجب الدفاع عنها خاصة.

ب – **التزام قومي**: فانتماء الشاعر إلى العروبة التي تمثل أحد مقومات شخصيته، وهو ما يبرز في كثير من قصائده وهو ما حمله على التفاعل مع القضية الفلسطينية فهي جزء من الوطن العربي .

ج – **التزام إنساني**: لا يمكن للإنسان من أي مذهب كان خاصة النخبة الفكرية والأدبية أن تكون بمعزل عما يجري من ظلم وقهر واستعمار للشعوب الأخرى، فالشعراء بما امتازوا به من رهافة الحس وقوة البيان يكونون دائما أكثر حضورا وتفاعلا مع الأحداث والدفاع عن القيم الإنسانية ممثلة في الحق والحرية والعدل.

3 – النماذج الشعرية في الموقف من القضية الفلسطينية:

- **قصيدة: ناشدتك الله يا قدس:** في فترة الثلاثينيات، نظم الشاعر قصيدة تنضح بالأسى والألم لما تتعرض له القدس الشريف من تهويد من قبل الصهاينة بالتواطؤ مع الإنجليز من شأنه أن يهدد هويتها التاريخية العربية الإسلامية جاء فيها ما يلي :

ناشدتك الله يا قدس العروبة لا تقم .:. حسابا، لمن قد رام تمويها
فما طموح يهود الشرق ينفعهم .:. ولا ينالون إلا المقت تشويها
يا أمة القدس، لا يحزنك مطمحهم .:. فإن للقدس ربا، هو يحميها
أما الجزائر، فهي من مصابكم .:. في حر نار الأسى، تشكو لباريها
آه على أمة القدس التي بسطت .:. للجار إحسانها، وأسأل مجيريها
آه على كأس ذل وهي ترشفها .:. وعن صغار كآبات تقاسيها [2]

وهي قصيدة تفيض بمشاعر التضامن والحب لفلسطين والقدس وتتضمن الدعوة للتحسيس بخطر المد الصهيوني عليهما، مستثيرا همم المسلمين للدفاع عن أراضيهم ومقدساتهم .

- **قصيدة : "بني التايمز"** : وفيها ندد الشاعر بسياسة الاستعمار البريطاني وأساليبه التعسفية تجاه الشعب الفلسطيني جاء فيها ما يلي :

" بني التايمز" قد جرتم كثيرا .:. فهل لكم عن الجور ازدجار ؟

أفي أسواقكم نصبا وغصبا .:. تسوم (القبلة) الأولى التجار
إخال (القبلة) انسجرت دماء .:. كما للبحر باللجج انسجار
ترون لها سوى العربي أهلا .:. وتأبى الترب فيها والحجار
فليس لها بلا فمه لسان .:. وليس لها بلا دمه نجار
ألم يؤلمكم حرم مباح .:. وشعب يستجير ولا يجار[3]

قصيدة : (قسمة ضيزى) : مرة أخرى تجود قريحة شاعرنا عن قصيدة أخرى نظمها بمناسبة صدور قرار لجنة peel عام 1937 والذي يقضي بتقسيم فلسطين فاهتز شاعرنا لهذا القرار الظالم فنظم قصيدة يكشف فيها عن تآمر وتواطؤ بريطانيا مع الصهاينة جاء في هذه القصيدة ما يلي :

يا قسمة القدس أنت ضيزى .:. لم يعدل الحاكمون فيك
مضوا على الحيف لم يبالوا .:. لما جرى من دم سفيك
القدس للعرب من زمان .:. لن يقبلوا فيه من شريك[4]

قصيدة: أحداث النكبة: وبمناسبة أحداث النكبة لعام 1948 ينظم قصيدة أخرى يدعو فيها العرب والمسلمين للثأر لفلسطين وللقدس، مصورا شجاعة العربي وشيمه للدفاع عن الأرض والشرف

فلسطين العزيزة لا تراعي * فعين الله راصدة تراعي
وحولك من بني عدنان جند * كثير العد يزأر كالسباع
إذا استصرخته الحرب لبى * وخف إليك من كل البقاع
يجود بكل مرتخص وغالي * ليدفع عنك غارات الضباع[5]

قصيدة اللاجئون عام 1963: عبر فيها الشاعر عن تشوقه لرؤية اللاجئين الفلسطينيين عائدين إلى ديارهم آمنين وإلى جلاء اليهود عن فلسطين جاء فيها ما يلي:

فمتى نرى شعب العروبة آمنا * في الأرض من شعب اليهود الخاسر
ونرى فلسطين استعادت عهدها * وإلى حماها عاد كل مهاجر
ونرى اليهود جلوا هناك كما جلوا * عن أرض يثرب في الزمن الغابر
السافكين دم النبوة شـــقوة * والساجدين هوى لعجل السامري[6]

قصيدة بمناسبة انعقاد القمة العربي عام 1964 بالقاهرة:

حيث نظم قصيدة تفاؤل فيه بهذا المؤتمر ورآه حركة نحو تحرير فلسطين وبشر بسقوط إسرائيل لأنها بنيت على التظليل جاء فيها ما يلي:

إن العروبة تستعد لنسف ما * بذر اليهود لها من الألغام

ما ضم العروبة شملها * إلا ليعلن عن فداها الحالي[7]

وهي في مجموعها قصائد تفيض ألما وحسرة عن ضياع فلسطين وتثير مشاعر العزة والنخوة لمسح عار الهزيمة والخذلان.

الخاتمة

إن أصالة الشاعر وثقافته العربية ساهمتا إلى حد كبير في تحديد ملامح شعره، فهو إما متغنيا بالوطن أو بفلسطين، فقد عايش القضية الفلسطينية في كل مراحلها، معبرا في شعره عن مدى تعلقه بأرض فلسطين خاصة القدس الشريف، فساهم من خلال ما نظمه من قصائد في الوقوف إلى جانب فلسطين ودعمها أدبيا مسخرا قلمه للمشاركة في النضال من أجل تحرير أرض الإسراء والمعراج، مستحثا الهمم لنصرة القضية ومشاركة الشعب الفلسطيني همومه وآلامه.

الهوامش والاحالات:

1-أبو القاسم سعد الله ، **شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة**، ط 3، الدار العربية للكتاب، 1984 ، ص 88.

2- محمد العيد آل خليفة، **الديوان**، دار الهدى، الجزائر، ص 286.

3- نفسه.

4- نفسه.

5- محمد العيد آل خليفة الديوان، دار الهدى، ص .286

6- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص .53

7- ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 73.

القضية الفلسطينية في شعر الشيخ أحمد سحنون

د/ شعوة علي- جامعة الوادي

مقدمة

يعتبر الشيخ أحمد سحنون شخصية بارزة في الحركة الإصلاحية في الجزائر، وبالتالي كان له تأثير واضح في الحياة السياسية والدينية، ولقد كانت له مواقف جريئة في أهم القضايا منها الاستعمار بصفة عامة، وفي هذه المداخلة يظهر موقفه من الاحتلال الصهيوني لفلسطين العربية، وكانت له مواقف جريئة في هذا الصدد، والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو موقف الشيخ أحمد سحنون من الاحتلال الصهيوني لفلسطين وكذلك للأراضي العربية؟

1-التعريف بشخصية العلامة أحمد سحنون:

شغلت القضية الفلسطينية بكل تفاصيلها عقول الشعراء والأدباء من كل أقطار العالم، عربا وعجما، ونصروها بالسنان والبنان، وكتبوا عنها في الكثير من المحافل العربية والأجنبية، إذ هي قضية الحرية الأولى، فكان لها حظ موفور من العناية والاهتمام في قصائد الشعراء ودواوينهم، إذ كانت لفلسطين وأيقونة لحريتها بما تمثله من خصائص تاريخية ودينية وحضارية وغيرها.[1]

ومن أشهر من كتبوا عن القضية الفلسطينية نذكر الشيخ أحمد سحنون، وهو أحد رموز الحركة الإصلاحية في الجزائر، ومن كبار علماء الجزائر، ولد سنة 1907م الموافق ل1325هـ بالزاب الغربي، قريبا من مدينة بسكرة، بالجنوب الشرقي الجزائري، درس أوليات العلوم العربية الإسلامية على يد والده، ثم واصل دراسته بالطريقة العصامية، فنبغ في العلوم العربية وعلوم الشريعة، واتصل بالحركة الإصلاحية ونشر أشعاره وكتابته في صحافتها وبخاصة في جريدة الشهاب، وفي البصائر التي كان عضوا في هيئة تحريرها، اشتغل بالتدريس في المدارس الحرة، وانتقل إلى الجزائر العاصمة سنة 1936م، وتولى إدارة مدرسة التهذيب الحرة بحي (سنت أوجين) حي بولوغين حاليا، وسجن في أثناء الثورة التحريرية لمدة ثلاثة سنوات (1956م/1959م)، ولم يتخل على نشاطه في السجن، إذ جزء هام من ديوانه نظمه في السجن، ووضعه تحت عنوان:(حصاد السجن).

وبعد الاستقلال عين إماما للجامع الكبير بالعاصمة وعضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، وثمة لم تخل حياته من متاعب نظرا لمواقفه في سبيل التطبيق السليم للمبادئ الإسلامية في الجزائر المستقلة، كون في سنة 1989م رابطة الدعوة الإسلامية التي تظم علماء ودعاة إسلاميين، ناضل فيها إلى غاية وفاته يوم الاثنين 13 شوال 1424هـ الموافق ل8ديسمبر 2003م رحمه الله.[2]

2-آثار الشيخ أحمد سحنون:

ومن أثاره الأدبية والشعرية والدينية نذكر:

- نظم ديوان شعر، فقد طبع سنة 1977م في سلسلة شعراء الجزائر التي تصدرها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، حيث احتوى على 123 قصيدة، منها 22 قصيدة في الإسلاميات، و67 قصيدة في الوطنيات والقوميات، و6 قصائد شعرية في المراسلات الشعرية، وقصيدة في مساجلة أدبية شعرية، و7 قصائد في مناغات الطفولة، و20 قصيدة في شعر الطبيعة، وقد نظم أحمد سحنون من مجموع هذه القصائد 27 قصيدة في السجن ووضعها تحت عنوان من حصاد السجون.

وكما ضم الديوان قصائد لشخصيات أخرى منها 3 قصائد لعبد الكريم العقون وعنوانها أطلت الغياب، وأخرى لمحمد العيد ال خليفة بعنوان هيجت وجدي، وأخرى نظمها أبو بكر بن رحمون عنوانها إلى جار بحر الروم.

ومهما يكن فإن هذه القصائد ليست كل ما نظمه الشاعر أحمد سحنون بدليل ما صرح به في مقدمة الديوان قائلا: "يضم هذا الديوان جلّ شعري لا كلّه، فإن بعضه ضاع وبعض آخر منه حذفته أو وأدته كما يئد بعض قبائل العرب بناتهم خوف العار يلحقهم بسبب حياة هؤلاء البنات، وحتى هذا الذي أثبته أو بقي سالما بعد الضياع والحذف من الشعر، ولولا الإلحاح المتكرر من الأصدقاء والإخوة المعنيين بحفظ التراث والموكل إليهم جمعه ونشره لما وجدت أي باعث لتقديمه إلى القراء. [3]

-كتاب دراسات وتوجيهات: وهو كتاب عبارة عن مقالات التي سبق نشرها بجريدة البصائر في سلسلتها الثانية. [4]

- مجموعة من المخطوطات مثل كتاب كنوزنا، وهو عبارة عن قصص مختارة من التاريخ الإسلامي، وديوان تسأل وأمل، وديوان أطفال يحتوي على نحو خمسين قطعة.[5]

- كما ترك الكثير من القصائد التي ضاعت وأخرى بقيت بحوزة ابنته عائشة.[6]

3-أهم أشعار أحمد سحنون في القضية الفلسطينية:

ولا شك أن الشاعر أحمد سحنون ينتمي إلى الحركة الإصلاحية التي تنظر إلى القضية نظرة دينية كما تنظر إليها نظرة قومية، ولهذا نجد في قصيدته يا أملا تجددا، ينادي بالجهاد والنضال في سبيل هذا الوطن العربي، ويصر على اتحاد العرب حتى يستطيعوا استعادة هذه الأرض، كما نجده في هذه القصيدة يتوجه بكلماته نحو الصهيوني ويحذره ليستعد ليوم أسود، يوم يطرد خارج هذه الأراضي، لأن هذه البقاع أصبحت ملكا لأصحابها حيث يقول:

فليستعد شعب صهيوني ليوم أسودا * يغدو به جميعهم مشتتا مشردا
يا أمة قد رفعت للناس أكلام الهوى * وشيدت مجدا سيبقى خالدا على المدى
لا تتركي القدس لمن عاث به وأفسدا * تلك بقاع أصبحت ملكا لنا على المدى[7]

ويتحدث الشاعر في قصيدة أخرى " شباب محمد" عن الشباب العربي ويركز على الإيمان، ويربط بينه وبين استرداد فلسطين، وأن الإيمان بالقيم الإسلامية هو السبيل إلى المحافظة على فلسطين، وهذه الفكرة يتفق فيها جميع الشعراء الجزائريون تقريبا، الذين ينظرون إلى فلسطين من زاويتين، الزاوية الدينية والزاوية القومية، ويتعرض في هذه القصيدة إلى أخلاق العرب، مثلما يفعل غيره من الشعراء، فيشيد بشجاعة العرب ولا ينسى أخلاق الصهاينة، ثم يتعرض إلى عصبة الأمم التي وافقت على التقسيم وأن موقفها هذا هو سبب ما تعاني منه فلسطين والشرق العربي.[8]

وله قصيدة تحت عنوان" فلسطين " وهي كالتالي:

أمواطئ أقدام النبيين والرسل .:. وموطن نسل الوحي بورك من نسلِ
فداك العدا لا تقبلي قسمة العدا .:. وللموت سيري لا تبيتي على دخلِ
ولا تحفلي بالناس إن جار حكمهم .:. عليك فإن الله يحكم بالعدل
وخلفك جيش من بني العلم رابض .:. ليبعد عن أرض الهدى عابدي العجلِ
يدربه رمز الفدى بطل الحمى .:. ذكي الحجى ماضي العزيمة كالنصلِ
سيجني بفوزي فوزه في جهاده .:. ولو بلغت أعداؤه عدد الرملِ

ويسنده عبد الكريم برأيه .:. ويرشده عزّام للمسلك السهل

حوى من حماة الضاد كل مخاطر .:. ومن قادة الإسلام كل فتى فحل

فمن أشيب ساس الأمور مدرّب .:. ومن حدث ندب ومن بطل كهل

جنود لها الإيمان والصبر عدة .:. لدى الحرب ليسوا بالضعاف ولا العزلِ

نمتهم دمشق والعراق ويثرب .:. ومصر ولبنان على الفضل والنّبلِ

مساعير لا يثنيهم عن مرادهم .:. ظلال المنايا في الصوارم والنّبلِ

يسيرون للهيجاء ملء صدورهم .:. ثبات وعزم لا يبالون بالقتلِ

لقد أقسموا أن لا تنام جفونهم .:. وقد بات مسلوب الكرى بلد الرّسل

فيا قادة الإسلام هبوا لتنفذوا .:. مهاجر إبراهيم بالنفس والأهلِ

ويا زعماء الشرق ضموا صفوفكم .:. ليصبح هذا الشرق مجتمع الشملِ

لقد جدّ العرب فاقتحموا الوغى .:. ولا تدفعوا جدّ الحوادث بالهزلِ

ويا أغنياء المسلمين تسابقوا .:. إلى البذل والإثار ذي ساعة البذلِ

ويا شعراء الضاد حثوا شعوبكم .:. بشعر يداويها من الجبن والبخلِ

فما الشعر إلا ثورة غير أنها .:. تصول بلا كف وتسعى بلا رجلِ

ويا أيها الجيش الذي رج ذكره .:. قلوب العدى باكرا فلسطين كالوبل

سترجع منشور اللواء مظفرا .:. ويرجع أعداء النبيين بالثكلِ[9]

يتكلم أحمد سحنون في هذه القصيدة عن المقاومة المسلحة، ويطلب من العرب أن يتحدوا ويحاربوا العدو الصهيوني المحتل ويدافعوا عن أرض العروبة، ألا وهي فلسطين العربية، كما يطلب من الشعراء أن يحثوا شعوبهم ويشجعهم ويدعوهم بالإنفاق لصالح القضية الفلسطينية ومحاربة العدو، واعتبر الشيخ سحنون أن الشعر هو نوع من المقاومة لا تقل أهمية عن المقاومة العسكرية.

وقصيدة أخرى تحت عنوان "فلسطين إنا أجبنا النداء"، وقد ألقيت هذه القصيدة ليلة ذكرى المولد النبوي الشريف:

فلسطين إنا أجبنا النداء .:. وإنا مددنا إليك يدا

وجئناك يا موطن الأنبياء .:. لنسحق كل جموع العدا

ويعلن شعبك أفراحه .:. ويصبح في أرضه سيدا

وماذا جنى ليذوق الهوان .:. ويصبح عن أرضه مبعدا

وأنت منار العلا مذ بنت .:. يد الرسل مسجدك المفتدى

ومذ كنت مسرى نبي الهدى .:. جمعت المكارم والسؤددا

وكنت لأوجهنا قبلة .:. نخر لها ركعا سجدا

فلا تيأسي إن عرت نبوة .:. فسيف الجزائر لن يغمدا

وإن بدرت هفوة لم تكن .:. لتخبو العزائم أو تبردا

فجرح الأسود تزيد به .:. ضراء وتغدوا به أجردا

وإن لنا همة لن تنام على .:. ثأرها أو تذوق الردى

إلى الثأر يا معشر المسلمين .:. إلى مصر ندفع عنها العدا

إلى سوريا كي نفك الحصار .:. عن أرضها ونجيب الندا

لعمان إذ صمدت للعدا .:. وحق لعمان أن تصمدا

هلم لنستأصل الظالمين .:. ومن حالف الظلم أو أيدا

ونمحو من الأرض حكم الطغاة .:. وما وطد الظلم أو شيدا

ننصف شعبا هدى واهتدى .:. وننسف شعبا بغى واعتدى

وننسخ ليل الضلال الطويل .:. ونطلع للناس فجر الهدى

فجيش الجزائر أقوى الجيوش .:. يؤدب من خان أو ألحدا

سيبطل ما سنّ شرع الهوى .:. ويصلح في كل الكون ما أفسد

بأقدام جند النبي ائتسى .:. بإيمان صحب الرسول ارتدى

بإصرار عقبة وابن الوليد .:. وطارق وابن نصير اقتدى

وما كان جيش اليهود له بكفء .:. وإن صال أو عربدا

وإن غرهم نصر يوم لهم .:. فإن لنا معهم موعدا

فقل لليهود وأشياعهم .:. لقد آن للزرع أن يحصد

فأين الفرار وأين النجاة .:. لمن ناصب المسلمين العدا

فيا نبعة الضاد يا ابن الألى .:. سعوا للمعالي فحازوا المدى

إليك انتهى نصر دين الهدى .:. كما بك نشر سناه أبدا

فكن أبدا لتعاليمه .:. مثال النضال مثال الفدى

وقد وكل الله أمر الورى .:. إليك فكن للورى منجدا

وكن حادي الركب نحو العلا .:. فمثلك من للمعالي حدا

ويا أمة توجتها السماء .:. ببعثة خير الورى أحمدا

بمولده فاحتفوا إنه .:. غدا لهديتنا مولدا

ومنه أقبسوا قوة في الكفاح .:. غدا تنصروا وتفوزوا غدا

فلم يك ما مسكم من جراح .:. سوى بانحراف سبيل الهدى

فعودوا له إن تريدوا النجاح .:. وأن لا تضيع المساعي سدى

وفي وحدة الصف أقوى سلاح .:. وأن الخلاف سبيل الردى[10]

يذكر الشيخ سحنون في هذه القصيدة أن الشعب الجزائري مستعد لمساعدة إخوانهم الفلسطينيين الذي اغتصبه اليهود الظالمين. وأن الشعب الجزائري يساند إخوانه العرب في استرجاع أرضهم التي ضمها الصهاينة في مصر وسوريا ولبنان، وأن الاحتلال سوف يزول إن شاء الله، وكما يحث على التمسك بالقيم الإسلامية من أجل الفوز والانتصار على العدو الصهيوني.

وفي قصيدة أخرى تحت عنوان "نحن نسل الهدى" إذ يقول:

نحمد الله نحن أزكى وأحمد .:. نحن أغلى الورى تراثا وأخلد

نحن نسل الهدى ونشء المعالي .:. نحن جند الإله جند محمد

نحن أحفاد خالد والمثنى .:. من له مثل مالنا من سؤددا

سوف نقضي على اليهود .:. وأشياع اليهود ومن أعان وأيد

ونرد بالعدوان عن كل أرض .:. لا نقر العدوان أيان يوجد

لا نبالي الأعداء مهما يكونوا .:. قوة لا نخاف لا نتردد

إن إيماننا سيهدم ما شادوا .:. وأعلوا من كل صرح ممرد

وبإيماننا قهرنا عدانا .:. وبذلك العدى تقر وتشهد

يا رفاق الكفاح إن بأيدينا .:. زمام النجاح إن تتوحد

ويدين الإسلام نبلغ ما نأمل .:. من كل ما يرام ويقصد

والذي لم يفز بحظ من الإسلام .:. دينا يعش كريما ويسعد

ويجد ناصرا من الله مهما .:. تتهجم له الحياة وتشتد

يا رفاق في القدس لا تحزنوا .:. إن جل خطب بمن قضى واستشهد

كتب النصر للذي يحمل العبء .:. ويصبر في النائبات ويصمد

إننا خير أمة صاغها الله .:. لترقى للمكرمات وتصعد

إن نكن بعد ما ارتفعنا انحططنا .:. فعقاب لكل شعب تمرد [11]

يذكر الشيخ سحنون في هذه القصيدة بأنه يجب أن نقضي على اليهود مهما كانت قوتهم كما قهرنا فرنسا، ولا يتأتى لنا ذلك إلا بالتمسك بالإسلام ومبادئه، والله ينصرنا على عدونا، ونقضي على ما شيدوا، ونحن أحفاد خالد بن الوليد والمثنى بن الحارثة وهما كبار الفتحين وقاهرين الفرس والروم.

الخاتمة

والخلاصة أن العلامة أحمد سحنون كافح العدوان الصهيوني بأشعاره التي كان يبثها في نفوس الجزائريين وبالتالي هو شخصية مؤثرة أستطاع أن يؤثر على العقول، وكان يستنهض الجزائريين والعرب من أجل محاربة الكيان الصهيوني الذي احتل الأراضي العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

الهوامش والاحالات:

1- عنتر رمضاني وعز الدين لزعر، القدس في الخطاب الأدبي الجزائري، **مجلة مقامات**، العدد 2، المجلد4، 2020، جامعة غرداية، ص231.

2- محمد بوقفحة، **شعر الثورة عند أحمد سحنون**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، كلية اللغات والآداب، السنة الجامعية 2007، 2008، ص200

3- المرجع نفسه، ص 200، 201

4- عبد القادر الصيد، **الشيخ أحمد سحنون الأديب المصلح**، دار علي بن الزيد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص79 .

5- المرجع نفسه، ص 88 .

6- زينب لمونس، **رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون نموذجا**، مذكرة الماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014، ص54 .

7- أحلام عجرود، **حضور فلسطين في الشعر الأوراسي**، مذكرة ماستر، كلية الأداب واللغات جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015، 2016، ص28 .

8- عبد الله الركيبي، **فلسطين في الأدب الجزائري الحديث**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص53

9- جريدة **البصائر**، العدد8، 22 صفر 1367 .

10- أحمد سحنون، **ديوان الشيخ أحمد سحنون**، ج1، ط2، منشورات الحبر، الجزائر، 2007، ص124، 125، 126 .

11- المصدر نفسه، ج1، ص ص127، 128 .

دور النخبة الإصلاحية من خلال الخطاب النثري في دعم القضية الفلسطينية

د/ الطاهر فرحات - جامعة الوادي

مقدمة

إن الأهمية التي تحتلها القضية الفلسطينية في الوجدان الجزائري باعتبارها قضية مقدسة قد جعل لها حضورا قويا في وعي النخبة الجزائرية وفي كتاباتها، إن في المنظوم أو المنثور خاصة من طرف رجال الإصلاح رفضا وتأييدا؛ رفضا للمشروع الصهيوني وتأييدا لحق الشعب الفلسطيني في أرضه وقد اخترت عنوان هذه المداخلة: دور النخبة الإصلاحية في دعم القضية الفلسطينية من خلال الكتابات النثرية.

أولا: دور النخبة الإصلاحية في دعم القضية الفلسطينية:

لعبت نخبة الإصلاح دورا كبيرا في التعريف بالقضية، والتحسيس بمظلمة الشعب الفلسطيني، وإيقاظ الوعي واستثارة الهمم لدعم هذه القضية. فقد كان حضور القضية في الإنتاج الأدبي لرجال الإصلاح مبكرا، والذي سبق تأسيس الكيان الصهيوني في أرض فلسطين، أي منذ أن بدأت تنسج فيها خيوط المؤامرة الصهيونية بالتواطؤ العالمي. فقد ترك لنا رجال الإصلاح وعاء أدبيا واسعا سجلوا لنا فيه مشاعرهم وجسدوا من خلاله مواقفهم التي تنضح بالرثاء والأسى عن ضياع فلسطين، إن على مستوى الشعر فقد نظمت العديد من القصائد وبرز الكثير من الشعراء الذين صوروا ونقلوا لنا فيها معاناة الشعب الفلسطيني، يتصدرهم الشيخ " أحمد سحنون " و"محمد العيد آل خليفة".

أما على مستوى النثر فقد كانت القضية حاضرة عند الكثير من كتاب جمعية العلماء، فقد دبجت الكثير من المقالات الصحفية لتكشف للرأي العام العربي عموما والجزائري خصوصا أبعاد وخطر الصهيونية على فلسطين والأمة العربية، وتفضح سياسة بريطانيا وجرائمها الاستعمارية المتواطئة مع الصهاينة لتهويد فلسطين. وهكذا عايشت النخبة الجزائرية كل مراحل القضية وتفاعلت معها بدءا من محطة الاستعمار البريطاني لفلسطين وانتهاء بتأسيس الكيان الصهيوني، ففي كل مرحلة عبرت عن موقفها الداعم للقضية والمندد بالاستعمار والصهيونية، والمتضامن مع الشعب الفلسطيني، وهو

ما يكشف عمق الوعي لدى النخبة الجزائرية ورسوخ قيم الإسلام في أفئدتها خاصة رجال الإصلاح. فقد هزت القضية منذ أيامها الأولى ضمائر رجال جمعية العلماء، فلم تنسهم ألام بلدهم والحصار المفروض عليهم ومعاناة شعبهم من طرف الاستعمار الفرنسي القضية الفلسطينية، فقد جعلوا لها الأهمية من اهتماماتهم والأهمية في كتاباتهم.

ثانيا : نماذج من الكتابات النثرية لرجال الإصلاح لدعم القضية:

كتب رجال الإصلاح مجموعة من المقالات الصحفية في البصائر والشهاب وغيرها من الجرائد العربية نختار منها ما يلي:

1 . مقالة بن باديس في مجلة الشهاب: 17 أكتوبر 1938:

أ . التعريف بالكاتب:

عبد الحميد بن باديس: (1889 ـ 1940): أحد أعلام الإصلاح، وباني النهضتين العلمية والفكرية في الجزائر، كما يقول عنه رفيق دربه الشيخ "البشير الابراهيمي" ، ولد في أسرة مشهورة بالعلم في بلدته، ولزم منذ صغره حفظ كتاب الله الذي أتمه في السنة 13 من عمره ثم تتلمذ على الشيخ "حمدان لونيسي" وفي عام 1908 سافر إلى تونس لمتابعة تعليمه العالي ونال بها الشهادة العالمية، ثم انتقل إلى الحجاز لغرض الحج وهنا التقى بالشيخ البشير الإبراهيمي حيث تم في لقائهما وضع الأسس الأولى لجمعية العلماء التي جعلت من أولى أولوياتها المحافظة على الشخصية الجزائرية وتكوين جيل جديد يفي بمتطلبات أمته وحاجاتها. ويقول عن نفسه : (قضيتي بياضي وسوادي من أجل القرآن ولغة القرآن) .[1]

ب . المقال: نشر في جريدة الشهاب تحت عنوان" فلسطين الشهيدة" 1938 وجاء فيها ما يلي: "رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة، وقد قال الله تعالى في المسجد الأقصى في سورة الإسراء الذي باركنا حوله ليعرفنا بفضل تلك الرحاب فكل ما هو واقع بها كأنه واقع برحاب المسجد الحرام ومسجد الطيبة". [2] فقد جعل مكانة فلسطين لا تقل أهمية عن الحرمين الشريفين، واعتبر أن أي اعتداء على فلسطين وانتهاك لحرمتها هو اعتداء على المقدسات والعقيدة الإسلامية، ثم يواصل مقاله بعبارات تنطق بالحسرة والألم عما يجري في فلسطين، ويكشف عن تواطؤ الانجليز الغاشم مع الصهيونية من خلال السياسة التي اتبعوها لتهويدها حتى يتم تأسيس الكيان المشؤوم جاء ما يلي: " تزاوج الاستعمار الانجليزي الغاشم بالصهيونية الشرهة فأنتج لقسم كبير من اليهود الطمع

الأعمى الذي أنساهم كل ذلك الجميل وقذف بهم في فلسطين الآمنة والرحاب المقدسة فأحالوها جحيما لا يطاق وجرحوا قلب الإسلام والعربي جرحا لا يندمل".[3] ثم بين أن الخصومة ليست مع اليهود كشعب أو كدين وإنما مع الصهيونية والاستعمار حيث يقول: " فليست الخصومة بين كل عرب فلسطين ويهودها ولا بين كل مسلم ويهودي على وجه الأرض، بل الخصومة بين الصهيونية والاستعمار الانجليزي من جهة والإسلام والعرب من جهة أخرى". كما ذكر في هذه المقالة بواجب المسلم نحو فلسطين فقال مذكرا وداعيا إلى التضامن مع أبناء فلسطين : " إن الدفاع عن القدس واجب كل مسلم" .

2 . مقالة للشيخ البشير الإبراهيمي: في جريدة البصائر الصادرة في 5 سبتمبر 1947

أ . نشأته ومهامه:

ولد في أولاد إبراهم (التابعة حاليا لولاية برج بوعريريج) بتاريخ 1965-1889م الموافق لـ 1306 هـ 1385- هـ، تلقى تعليمه الأوَّل على يد والده وعمه؛ فحفظ القرآن، ودرس بعض المتون في الفقه واللغة . وقد خصه الله تعالى - كما يقول عن نفسه - بذاكرة وحافظة خارقتين للعادة فقد حفظ عن عمه ألفية ابن مالك وتلخيص المفتاح وألفية العراقي في لوم الحديث، ونظم الدول لابن الخطيب مع حفظ المعلقات والمفضليات، وشعر المتنبي كله، وقد تم إجازته من طرف عمه ليخلفه في التدريس، وعلى اثر قرار التجنيد الإجباري للجزائريين الذي أصدرته فرنسا سافر إلى الحجاز، وبعد أن صقلت مواهبه الفكرية والعلمية صار مدرسا في الحرم المدني، وبعد عودته إلى الجزائر عام 1920 كون مسجدا في سطيف وقام فيه بتوجيه دروس الوعظ والإرشاد، وبعدها شارك مع ابن باديس في تأسيس جمعية العلماء، التي ترأسها بعد وفاة الشيخ ابن باديس. وكان لا يحل بقرية أو مدينة بالقطر الجزائري إلا ويبني فيها مدرسة أو مسجدا، ونظرا لنشاطه الدؤوب فقد اعتقلته فرنسا عدة مرات ولم يطلق سراحه إلا بعد قرار العفو العام الذي أصدرته فرنسا عام 1946. وفي 7 مارس 1952 خرج من الجزائر ليواصل جهاده في المشرق وكون مكتبا للجمعية في القاهرة.[4] وبعد الاستقلال وضع تحت الإقامة الجبرية بعد إصداره لبيان 16 أفريل 1964 . وفي عام 1965 توفي رحمه الله وحضر جنازته جموع كثيرة من الجزائريين تعد بالآلاف، فكانت جنازة مهيبة.

ب . المقال: نشر في جريدة البصائر تحت عنوان : " فجيعة فلسطين" تكلم فيه الشيخ بكل أسى عن ضياع فلسطين، وفند دعاوي الصهيونية في حق فلسطين جاء فيها ما يلي :

"يا فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبارات هامية، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة، هي فلسطين قطعة من وطن عربي الصغير". ثم تابع مقاله في الحديث عن واجب ومسؤولية المسلم نحو فلسطين معتذرا عن تقصيره في هذا الواجب الذي يرجع إلى الاستعمار قائلا : " وفي عنق كل مسلم جزائري لك يا فلسطين حق واجب الأداء، وذمام متأكد الرعاية، فإن فرط في جنبك أو أضاع بعد حقك فما الذنب ذنبه، وإنما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه، والمرء وداره، والمسلم وقبلته " كما أبرز في مقاله هذا أهمية فلسطين كأرض مقدسة، وإن الدفاع عنها من مقتضيات العقيدة جاء فيها ما يلي : " يا فلسطين إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء والتراب والمآرب التي يقضيها الشباب، فإن هوى المسلم لك إن فيك أولى القبلتين وإن فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله وإنك كنت نهاية المرحلة الأرضية وبداية المرحلة السماوية".[5]

3 . مقال للشيخ فرحات بن الدراجي صدر بجريدة البصائر العدد 17 بتاريخ 29 ديسمبر 1947

أ . نشأته ودراسته:

ولد فرحات أبو حامد الدراجي سنة 1906 م، بقرية ليشانة قرب مدينة بسكرة وهي قرية أنجبت العديد من العلماء والرواد، من رجال الاصلاح من أمثال أحمد سحنون .

فضلا عن مهمة التدريس، فقد انتخب نائبا للكاتب العام لجمعية العلماء سنة 1937م، وظل عضوا فاعلا في مجلسها الإداري، إلى أن أوقف نشاط الجمعية في صائفة سنة 1939 م، بسبب قيام الحرب العالمية الثانية. ثم تعرض للسجن بتهمة المساس بأمن الدولة الفرنسية،[6] وبعد أشهر أطلق سراحه مع نفيه من مدينة الجزائر إلى دائرة بسكرة للإقامة الجبرية. وعندما أطلق سراحه في مطلع سنة 1943 م، عاد إلى مدينة الجزائر حيث كلف بصفة مؤقتة بمنصب الكاتب العام. وبعد استئناف صدور جريدة البصائر سنة 1947 م، عيّن عضوا في هيئة التحرير.

وقد افتتح العدد 89 من جريدة البصائر بمقال ثناء على الشيخ فرحات بن الدراجي بعنوان: «كلمة عتاب إلى إخواننا الشرقيين» بما يلي:

الشيخ فرحات بن الدراجي مفخرة من مفاخر الزاب وشخصية بارزة بين شبابنا

المثقف الناهض، دؤوب على المطالعة والتحصيل صبور على البحث والتحليل وهو من أضوأ مصابيح المستقبل، لو كثر أمثاله لم يبق مستقبل نهضتنا مجهولا للأخ الفاضل الشيخ عبد المجيد حيرش الذي نشرنا نظرته في العدد السابق. وإنا قدمنا الشيخ فرحات بهذه الكلمات فليس لكونه مجهولا فإنه نائب الكاتب العام لجمعية العلماء البارزة في الشمال الإفريقي والذائعة الصيت في العالم المتمدن. ولسنا نجري في تقديم من نقدمه على سنن أغلب الصحافة في كيل الأوصاف جزافا أو منحها تحت تأثير الأغراض والعواطف، وإنما نجري في ذلك جري المؤرخ الناقد.

ب. المقال: نشر في جريدة البصائر تحت عنوان "أيها العرب أنقذوا بلادكم" وقد ندد في هذا المقال بالقرار الذي صدر عن مجلس الأمن والذي يقضي بتقسيم فلسطين واعتبره قرارا ظالما وفيه انحياز جاء فيه ما يلي : " قضية فلسطين العربية أصبحت اليوم قضية القضايا العالمية ومشكلة المشاكل السياسية التي تشغل أفكار الساسة في الغرب والشرق وتقلق مضاجع المسلمين واليهود وتتبوأ من نفوسهم المكان". الأول ثم يواصل مقاله منددا بقرار مجلس الأمن الذي يقضي بتقسيم فلسطين واعتبره حلا غير عادل جاء فيه "أن الحل الذي ارتضاه أعضاء مجلس الأمن وأقره المجلس أخيرا لم يكن حلا عادلا ولكنه كان كله في مصالح اليهود وإشباع رغباتهم الموقوتة ... وهل ينتظر الإنصاف والعدل من أعضاء أوفدتهم دول لم تعرف الإنصاف والعدل في حكم من أحكامها وهل ينتظر صدور الحق من أعضاء يمثلون دولا لم تعرف في حياتها العملية إلا المكر والخداع .... لا والله إننا لم نحسن الظن بأعضاء مجلس الأمن في يوم من الأيام ولم نضعهم إلا في المستوى الذي وضعنا فيه أعضاء جمعية الأمم الغابرة إن لم يكن أحط دركة منه ولقد صدق المثل العربي القائل إنك لا تجني من الشوك العنب." ويواصل مقاله في تفنيد ما يدعيه الصهاينة من حقهم في فلسطين" إذ لولا حاجة بريطانيا إلى المال خلال الحرب العالمية الأولى لما ظهر وعد بلفور المشئوم وانما نقول بكل صراحة: لولا نشوب الحرب العالمية الأولى والثانية واحتياج الحكومة الانجليزية إلى قوة اليهود المالية والمعنوية وتلاعب الانجليز بعهود العرب والمسلمين لما كان تصريح بلفور المشئوم ولما استطاعت الفكرة الصهيونية أن تبرز للوجود وتصبح من المشاكل الصهيونية الهائلة" .[7]

الخاتمة

إذا كانت النخبة الجزائرية بكل أطيافها قد وقفت إلى جانب الشعب الفلسطيني في محنته في اغتصاب أرضه، وانتهاك سيادته؛ فإن النخبة الإصلاحية كانت في الطليعة في هذا الركب إذ بادرت منذ ثلاثينيات القرن الماضي بإيقاظ وعي الأمة لما يحاك ضد أرض الإسراء والمعراج، فكتب أغلب شيوخها في الجرائد فإضافة إلى ما ذكرنا من أسماء فقد كتب آخرون من أمثال الشيخ العقبي، والشيخ بوشامة، وفضيل الورثيلاني، وعبد الرحمن شيبان وغيرهم.

الهوامش والاحالات:

1- أحمد الخطيب، **جمعية العلماء الجزائريين وأثرها الاصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 .

2- عمار طالبي، **ابن باديس حياته وأثاره**، الجزء الثالث، ص .416

3- نفسه، ص .416

4- أحمد الخطيب، المرجع السابق، من ص 140 - 154. محمد البشير الابراهيمي، **في قلب المعركة**، دار الأمة، الجزائر، ص ص96 – .103

5- محمد البشير الابراهيمي، البصائر، السلسلة الثانية، العدد 5 الصادر في 5 سبتمبر .1947

6- صالح خرفي، **محمد العيد آل خليفة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص .21

7- البصائر، العدد 17، من السلسلة الثانية، 29 ديسمبر 1947.

نموذجان من الشعر الفصيح والملحون لشخصيتين من النخبة الجزائرية بمنطقة وادي سوف ـ العروسي حويتي والهادي جاب اللّه ـ عن القضية الفلسطينية

د/ يوسف زغوان - جامعة الوادي

مقدمة

لقد اهتمت النخبة الجزائرية عامة ومنها فئة العلماء والأدباء خاصة، ومن ضمنهم علماء وأدباء منطقة وادي سوف بالقضايا العربية والإسلامية، نظرا للروابط المشتركة بين المجتمع الجزائري ومجتمعات الأمتين العربية والإسلامية من وحدة الدين واللغة والتاريخ والجغرافيا والمصير المشترك.

وفي مقدمة هذه القضايا التي شغلت بال هذه النخبة وظهرت ضمن اهتماماتها ومثلت حيزا هاما في نشاطاتها وإنتاجها الفكري والأدبي القضية الفلسطينية، وذلك منذ بروزها على مسرح الأحداث وإلى وقتنا الحاضر.

إن من النماذج البارزة للنخبة العلمية والأدبية الجزائرية بمنطقة سوف التي نظمت الشعر عن القضية الفلسطينية شخصيتين هما: الشيخ العالم العروسي حويتي، الذي نظم شعره عنها باللغة العربية الفصحى، والشيخ الشاعر الهادي جاب الله، الذي نظم عنها شعرا شعبيا (ملحونا)، وكلاهما أظهر في شعره انشغالا وإحساسا عميقين بهذه القضية المركزية لكل العرب والمسلمين ماضيا وحاضرا.

تندرج هذه المداخلة ضمن المحور الثاني لليوم الدراسي، المعنون ب: الكتابات الأدبية والصحفية للنخبة الجزائرية حول فلسطين.

1.لمحة تعريفية بالشيخين الشاعرين العروسي حويتي والهادي جاب الله :

أ.لمحة تعريفية بالشيخ العروسي حويتي: هو العروسي بن محمد حويتي، ولد بالوادي سنة 1912م، وعاش يتيما، فتكفلت والدته بتربيته وتعليمه، وأدخلته الكتاب فحفظ القرآن الكريم وسنه لم يتجاوز الثانية عشر، ومن المعلوم أن والده أيضا كان حافظا لكتاب الله وقد نسخه بيده. انتقل الطالب العروسي بعد ذلك إلى نفطة ببلاد الجريد التونسي وانتسب إلى زاويتها، حيث درس مختلف العلوم الفقهية والأدبية، ونظرا لحفظه

وذكائه واستقامة أخلاقه أشار عليه شيوخه أن يلتحق بجامع الزيتونة بتونس العاصمة لإتمام دراسته به، فرحل إليه سنة 1934م، ورغم ظروفه المادية الصعبة استطاع أن يتحصل منه على عدة شهادات علمية، نذكر منها: شهادة الأهلية سنة 1938، ثم شهادة التحصيل في العلوم سنة 1941، ثم شهادتي التحصيل والعالمية في القراءات سنتي 1942 و1945، وشهادة العالمية في اللغة العربية وآدابها سنة 1964، لما عاد الشيخ العروسي إلى أرض الوطن استقر فترة بالوادي ثم انتقل إلى مدينة المغير فأسس بها مدرسة النجاح الحرة ودرس بها وأدارها حتى سنة 1954 في إطار مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبتوجيه منها انتقل بعدها إلى برج بوعريريج ثم إلى البليدة ثم عاد إلى الوادي حيث واصل حلقات الدرس والتعليم إلى أن تم اعتقاله من السلطات الاستعمارية، وبعد إطلاق سراحه عاد إلى الإمامة والتدريس بمدينة المغير، كما نشط ضمن المنظمة السرية لجبهة التحرير الوطني، وبعد الاستقلال كلف بمهمة القضاء وإدارة التعليم بنفس المدينة حتى سنة 1963 وعقب صدور المرسوم الرئاسي بإدماج المعلمين الأحرار في الوظيف العمومي. عين أستاذا للتعليم المتوسط بمدينة تقرت سنة 1964 ثم أستاذا ثانويا بمدينة بسكرة، ولنفس المهمة حول إلى ورقلة التي ظل بها حتى تقاعده سنة 1977م، وقد توفي رحمه الله في 23 فيفري 1978 م ودفن بمقبرة العالية بمدينة بسكرة.

.آثاره: ترك مكتبة ثرية في مختلف العلوم الشرعية والأدبية.

.ديوان شعر مخطوط، نشره له ابنه الدكتور أحمد حويتي.

.وترك كذلك عددا من المقالات الفكرية والأدبية.

.تخرج على يديه عدد من إطارات الدولة الجزائرية[1].

ب . ديوانه الشعري: يتألف هذا الديوان من 196 صفحة من الحجم المتوسط، يتضمن زهاء المائة قصيدة (97 مقطوعة شعرية) مقسمة إلى ستة عشر بابا، من أهمها الجيش، الشعب، الثورة الجزائرية، العلم، الدين اللغة العربية، مكة المكرمة، المسجد النبوي، الحج والحجيج، ومدح العلماء وإحياء ذكراهم، المعلم والتلميذ والمدرسة، ذكريات ومدن، فلسطين، وغيرها. وبعض قصائده نظمها قبل الاستقلال، لكن أغلبها نظمها بعده[2].

2.لمحة تعريفية بالشاعر الهادي جاب الله: هو الهادي بن علي بن عبد القادر جاب

الله، ولد في زاوية (حي) سيدي عبد الله بمدينة الوادي سنة 1882 م، نشأ في أسرة فقيرة، وحفظ القرآن الكريم على يد والده أثناء تنقله معه مساعدا له في العمل في مزارع الآخرين، وخلاله اقتضت حكمة الله وفاة الوالد بعيدا عن المنطقة، فعانى الطفل الهادي مرارة اليتم والغربة قبل عودته إلى مسقط رأسه، لقد نشأ شاعرنا في زاوية سيدي عبد الله الذي كان جل أولادها من الشعراء، ولذلك تأثر بهذه البيئة الشعرية فاعتاد هو وإخوته وأخواته على قرض الشعر، وقد اضطرت ظروف الحياة القاسية الشاب الشاعر السفر إلى منطقة الزيبان وممارسة الأعمال الشاقة لإعالة إخوته الأيتام، وقد عبر عن هذه الظروف في محاولاته الشعرية الأولى.

وبعد سنوات قضاها على هذه الحال انتقل إلى العمل في خراصة النخيل بوادي ريغ، فتحسنت أحواله المادية، وامتلك النخيل وأصبح بعدئذ من كبار تجار التمور بين جامعة والوادي، وعقب ذلك بدأ تعاطف الشاعر الهادي مع الحركة الوطنية عموما، ومع وصول جمعية العلماء المسلمين إلى المنطقة وشروع بعض شيوخها في نشاطهم كرس نضاله وشعره للحركة الإصلاحية، فأثناء زيارة وفد جمعية العلماء إلى سوف سنة 1937 م، وعند نزوله ببلدة الرقيبة لم يفوت شاعرنا الفرصة واستضافهم في بيته، واستقبلهم بقصيدة ترحيبية، مما جاء فيها:

مرحبا بالمصلحين أنصار الدين العلماء العاملين
مرحبا بالعلماء أنتم مصابيح الدنا

ثم يقول:

استبشرنا بيكم جيتونا وافرحنا بيكم
أنتم لينا واحنا ليكم من حقو المسلم ينقاد
داعي لصلاح يناديكم ياناس الصحراء والواد[3]

ويقول في مقطع آخر:

يا زايرين الرقيبة نستبشروا بلقاكم
أنتم أسياد الشبيبة بالعلم ربي عطاكم

لم يقتصر اهتمام الشاعر الهادي جاب الله على القضايا المحلية والوطنية فحسب بل شمل القضايا العربية والإسلامية، ومنها القضية الفلسطينية التي هي موضوع هذه المداخلة، توفي الشيخ الشاعر الهادي جاب الله سنة 1978م، بعد أن ترك مدونة

مخطوطة لأشعاره طبعت بعد وفاته، رحمه الله رحمة واسعة.

. ديوانه الشعري: يتألف (ديوان) الشاعر الهادي جاب الله، ويعرف أيضا بالمدونة من 148 صفحة، وضم 25 قصيدة، تتناول مواضيع عدة، أهمها الحركة الوطنية عامة، والإصلاحية خاصة، والإشادة بالجزائر والاستقلال، وفلسطين، وغيرها، وقد نظم أغلبها قبل الاستقلال وبعضها بعده.

ب. شعر الشيخ العروسي حويتي عن فلسطين والأفكار الواردة فيه:

نظم الشيخ العروسي عن فلسطين مقطوعتين:

الأولى: تتألف من ثمانية أبيات ألقاها في 2 جانفي 1963 م، بمدينة المغير التي استقر بها قبل الاستقلال مدرسا وإماما، وبعده مكلفا بإدارة التعليم والقضاء، وكان مطلعها:

وطن المجد قم لفك القيود * وابعث الجيش تحت خفق البنود

وهو هنا يؤكد على أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، ويواصل تأكيد تلك الأفكار والمعاني في الأبيات الخمسة الموالية، ثم يبرز في البيتين الأخيرين المكانة الدينية لفلسطين، ولاسيما عند المسلمين، ويحث على استردادها وإحيائها، فيقول:

في فلسطين قبلة ومقام * مهبط الوحي والهدى والصعود
هذه أرضنا وتلك منانا * فاستعدوا لبعثها من جديد[4]

المقطوعة الثانية: تتألف من عشرة أبيات، ألقاها في أسبوع فلسطين، أيضا بمدينة المغير، في شهر فيفري سنة 1964 م، مطلعها:

حي المجاهد وأشعل نار معركة * وخاطب الدنيا واستشهد بحطينا
وحدث الأفق واذكر يوم ثورتنا * سنابك الخيل قد هزت مغيرينا

يستحضر الشيخ في هاذين ملحمتين تاريخيتين توجتا بالانتصار على الأعداء، وهما معركة حطين في فلسطين، التي انتصر فيها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين، وملحمة ثورتنا التحريرية، التي انتصر فيها أبطال الجزائر على الاستعمار الفرنسي.

ويواصل في الأبيات الموالية مستنهضا همم المسلمين والعرب داعيا لهم باسم الإسلام والعروبة إلى الجهاد والثورة لتحرير فلسطين، ويختم هذه المقطوعة بنفس الأفكار موجها

بقوله:

واستعملوا العقل ثم النار واتجهوا * إلى الحياة لبيت القدس ترجونا
كونوا جميعا صلاح الدين واتحدوا * إذا أردنا حياة العز تحدونا[5]

.شعر الشيخ الهادي جاب الله عن فلسطين والأفكار الواردة فيه:

نظم الشيخ الهادي جاب الله في ديوانه قصيدة واحدة عن فلسطين، غير أنها جاءت مطولة تألفت من ستة وسبعين شطرا (شطر في كل سطر، وثلاثة أشطر لكل مقطع)، مطلعها:

جيناك يا فلسطين الشهيدة * ثورة جديدة * على شرط ما تخالفوش العقيدة

وفيه يبين تلبية نداء فلسطين السليبة ونجدتها من أبناء الأمة الإسلامية، وأن ذلك يكون بثورة جديدة، لعله يقصد بكلمة (جديدة)، أنها تحاكي الثورة الجزائر، مع عدم مخالفة العقيدة الإسلامية، ويواصل تأكيد ذلك في المقطع الموالي بقوله:

جيناك يا فلسطين الكريمة * ثورة عظيمة * في دين الإسلام صدق العزيمة

ويكرر ذلك في المقطع الرابع، ويعدد فيه الشروط اللازمة للنصر بقوله:

جيناك يا فلسطين الحبيبة[6] * على نفس طيبة * بالروح والمال لله هيبة

وفي المقاطع التالية له أيضا، وبعد أن يستنهض الهمم، يقول في المقطع الثالث عشر وما بعده:

إمام عفيف حافظ لدينه * وسلاح في يده * والنصر لله قايد عبيده

النصر موعود لنا طبيعة * بحكم الشريعة * على شرط ما تكون فينا الخديعة

نجنبوا أعمال كل القطيعة * السنة الوحيدة * نعظموا الله نخشوا وعيده

هكاك نتباشروا بالسعادة * واحنا السادة * ما نخاف صهيون والا أسياده[7]

ويؤكد الشاعر الهادي جاب الله ، في باقي المقاطع حتى آخر قصيدته بعاطفة صادقة ويقين جازم أن النصر حتما للمسلمين في قضية فلسطين إذا ما حققوا شروطه، لأن ذلك وعد الله عز وجل لهم، ووعد الله لا يتخلف.

الخاتمة

في الختام بعد استعراضنا لهذين النموذجين من الإنتاج الأدبي ممثلا في النظم الشعري بلونيه الفصيح والشعبي لشخصيتين من النخبة الجزائرية بمنطقة سوف، نسجل الاستنتاجات التالية:

- الرؤية العميقة لهذه النخبة أن قضية فلسطين ليست قضية الفلسطينيين وحدهم بل هي قضية كل الأمة العربية والإسلامية.

-اتفاق هذه النخبة، من خلال هذين النموذجين أن فلسطين التي أخذت بالقوة لن ترد بغير ذلك.

-أن استعادة فلسطين واجبة على المسلمين لمكانتها الدينية بوجود المسجد الأقصى فيها، وهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

- أن استقلال البلدان العربية والإسلامية لا يكتمل إلا بتحرير كامل فلسطين، وإلا فسيظل الخطر يهددها جميعا.

واسيني الأعرج وقضية الهوية والاغتراب بعد نكبة عام 1948م رواية سوناتا لأشباح القدس أنموذجا.

ط. د/ حواء حنكة – جامعة الوادي

مقدمة

عندما كتب واسيني الأعرج عن القضية الفلسطينية استولد تاريخه الخاص قبل أن يقف أمام الحقيقة، طالما أن المشكلة ليست في الحقيقة وإنما في أجزائها المظلمة، فعندما تنطلق كتابة من داخلها تصل إلى اكتشاف المعرفة الراهنة من أجل تأسيس الذات، فالكتابة التي لا تشير إلى أزمة القضية وتاريخها وضرورة التخلص من علاقات المواربة المتواطئة مع المخيال السياسي، لم يعد لها مكان لأنها اجترار لما كان؛ لأجل هذا بنى واسيني القضية الفلسطينية بأسلوب مغاير وطرح سؤال الهوية والمنفى والاغتراب، وإن كان ما يحيل في الرواية إلى القدس بعد عام 1948م، فقد ابتدأها بأبسط التفاصيل مرورا إلى المفهوم الفلسطيني الكبير الذي يجسده من خلال جدل الاتصال والانفصال، معبرا عن معاناة الفلسطينيين بشكل عام.

رواية سوناتا أشباح القدس، سيمفونية الوجع الفلسطيني، كتبت بلغة شعرية مدهشة ومؤلمة في آن واحد، وهي تعكس بقوة وبوضوح الوجع الفلسطيني في دول الشتات، وتلقي الضوء على ظلم الدولة العظمى في ذلك الوقت، والتي أنتجت بتعهداتها لليهود بإنشاء وطن قومي لهم على أرض فلسطين، مأساة القرن العشرين والتي تسببت في الكثير من الحروب ولم تزل تعاني منها المنطقة العربية وربما تستمر هذه المعاناة في المستقبل المفتوح والذي لا يعلم بنهايته إلا الله، وتشريد شعب كامل من أرضه للتيه في بقاع المعمورة.

وهذا يجعلنا نطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى استطاع واسيني الأعرج استحضار قضية الهوية والاغتراب ما بعد النكبة في روايته سوناتا لأشباح القدس؟ وهل تناولت الرواية القضية التاريخية بشكلانية السرد التاريخي، أم طغى التخييل والأسلوب الفني على السرد؟

أما الهدف من هاته الورقة البحثية فهو إبراز كتابات النخبة الجزائرية التي تناولت القضية الفلسطينية، وقد اخترت الكتابة الروائية التي تناولت القضية التاريخية بأبعادها التاريخية والسياسية بدءًا بالنكبة وتهجير الفلسطينيين، ومعاناة المهجرين في المنفى بين

الحفاظ على الهوية وسلطة الاغتراب، وبين الحنين إلى العودة لأرض الوطن، أما المنهج المتبع في الدراسة فقد اخترت المنهج التاريخي الوصفي لتبيان دور كتابات النخبة الأدبية الجزائرية والروائية خصوصا في تناول القضية الفلسطينية بأبعادها العامة والخاصة، كنوع من الكفاح والتضامن مع فلسطين مهد العروبة، في رواية سماها واسيني "كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس" ثم حذف " كريماتوريوم" وتعني المحرقة في الطبعات اللاحقة لأنها كلمة أجنبية وليس لها مقابل في اللغة العربية، كما أنها لا تشي بشيء في الذاكرة العربية.

1. نبذة شخصية عن واسيني الأعرج:

يعدّ الروائي والأستاذ الجامعي واسيني الأعرج، من الجيل الثاني من الكتاب الجزائريين بعد الاستقلال. وهو ناشط ثقافي بارز ومثقف في كلّ من فرنسا والجزائر، وهو من بين عدد قليل من الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة العربية والذين حققوا شهرة في المشرق والمغرب العربي، ولد في 08 أوت عام 1954م بسيدي بوجنان في ولاية تلمسان، نشأ في بيئة فقيرة، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مسقط رأسه، ثم انتقل عام 1973م إلى مدينة وهران، ومكث فيها أربع سنوات، عمل فيها محررا ومترجما للمقالات، وفي الوقت نفسه أتم تعليمه الجامعي في الأدب العربي.[1] أصدرت له أول رواية عام 1974م بعنوان: "جغرافية الأجساد". تحصل على شهادة الليسانس عام 1977م، وحصل على منحة حكومية للدراسة في جامعة دمشق، حيث حصل على درجة الماجستير والدكتوراه، التقى في دمشق بزوجته الشاعرة والروائية زينب الأعوج، وتعد دمشق السبب في انطلاقته الثقافية والأدبية، وإذ يقول في هذا الصدد: "أنا أدين لدمشق بالكثير، وقد سعيت إلى تمجيدها وتمجيد أماكنها وكل شيء فيها، وهو شعور حقيقي وصادق، ومن أجلها كتبت طوق الياسمين... وحين أقمت في بيتي صالونا أدبيا، مر عليه كل الأدباء والمثقفون السوريون والعرب حيث شكلوا جزءا حقيقيا من ذاكرتي الحية".[2]

بدأ واسيني النشر عندما كان لا يزال طالب دراسات عليا في دمشق. وعند عودته إلى الوطن درَّس في جامعة الجزائر حتى عام 1994م، ونظرا لظروف البلاد أجبر على المغادرة مع أسرته، بعد فترة وجيزة في تونس غادر أيضا، حيث باءت جهوده لتأمين وظيفة تدريس بالفشل، سافر نحو فرنسا أين تم تعيينه في جامعة باريس الثالثة السوربون الجديد لتدريس الأدب العربي الحديث، وظل يواصل التنقل بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط،

والتدريس والكتابة والمشاركة في الأنشطة الثقافية العامة لعدة سنوات في التسعينيات. أنتج برنامجًا أدبيًا في التلفزيون الجزائري يسمى (كاتب وكتاب)، وهو مساهم منتظم في القسم الأدبي في صحيفة الوطن الجزائرية الفرنسية، في قسم أهل الكتاب، نشر كتابه الأول "البوابة الزرقاء" عام 1980م[3]، نشر الرواية الأولى حقائق من معاناة رجل غامر باتجاه البحر1981م، تحصل على جائزة تقديرية من رئيس الجمهورية 1989م، نشر رمل المايا (كارثة الليلة السابعة بعد ألف ليلة) التي تربط التقليد بالحاضر عام 1993م، أدرجت روايته (حارس الظلال) عام 1997م، ضمن أفضل خمس روايات صدرت بفرنسا، وطبعت خمس طبعات متتالية، بما فيها طبعة الجيب الشعبية.[4] حصل على أعلى جائزة جزائرية عن الرواية لروايته (شرفات على بحر الشمال)عام 2001م، نشر أحدث كتاب (كتاب الأمير: مسارات البوابات الخشبية) عام 2004م، حازت رواية الشرق على جائزة المكتبين عام 2006م، وعلى الجائزة الكبرى للآداب 2007م، تحصل على جائزة الكتاب الذهبي على رواية سوناتا لأشباح القدس2008.[5]

إن أنشطة واسيني ومسيرته الأكاديمية في قارتين منحته درجة من الانتشار، لم يحض بها سوى القليل من معاصريه، كما ساعدته طلاقته في اللغة الفرنسية على نشر جناحيه خارج البلدان الناطقة بالعربية، كما أن مساهماته الهائلة في الحياة الثقافية في بلاده وأوروبا جعلته من الكتاب الجزائريين الذين يحتذى بهم.[6]

من أهم مؤلفاته: ما تبقى من سيرة لخضر حميروش، نوار اللوز، مصرع أحلام مريم الوديعة، حال الدنيا (الشاهد على اغتيال مدن البحر)، فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، حارسة الظلال، مرايا الضرير، ذاكرة الماء، مرايا الضرير، شرفات بحر الشمال، مضيق المعطوبين، كتاب الأمير، أنثى السراب، البيت الأندلسي، طوق الياسمين، أصابع لوليتا، مي ليالي ايزيس كوبيا، نساء كازانوفا، ليليات رمادة، أسرار البيت الأندلسي، سيدة المقام، كروماتوريوم سوناتا أشباح القدس، ترجمت اعماله الى العديد من اللغات: الاسبانية والانجليزية، والعبرية، والدانماركية، السويدية، الايطالية، الفرنسية.[7]

2. ملخص رو اية سوناتا لأشباح القدس:

تقع الرواية في 566 صفحة، من الحجم المتوسط وطبعت بدار الآداب عام 2009م، تدور أحداث الرواية حول الشخصية الرئيسية " مريم " أو " مي" التي هُجّرت مع أبيها وهي في سن الثامنة من العمر بعد نكبة عام 1948م، ولما كبرت ألحقتها خالتها "مامي دنيا"

بمدرسة الفنون، حيث تعلمت الرسم وباتت فنانة تشكيلية مشهورة، ولأنها كانت تشعر دوما بالاغتراب والحنين إلى أرض الوطن، قررت رسم لوحات زيتية تبرز فيها مدينة القدس، وعندما أصيبت بسرطان الرئة أعادت التفكير في العودة، لكن السلطات الاسرائيلية رفضت ذلك، ولأنها تدرك أنها لن تعيش طويلا لجأت إلى وكالة الدفن، التي قدمت لها جميع المعلومات بخصوص الحرق فاختارت العملية الثالثة أن تتحول إلى رماد.

بدأت بعدها بالرسم من خلال الاشتراك بالمعارض بلوحات جديدة تذكرها بالقدس، وقررت استعادة تراث الاجداد من خلال إرسال ابنها "يوبا" لزيارة الأندلس لما رسمت لوحة "الأندلس جنتي المنسية"، كما بدأت بالكتابة لتبقى ذاكرة المكان حية، بعد موت "مي" قام ابنها يوبا بتنفيذ وصيتها في نثر الرماد لكي تبقى حية في تراب وطنها، وأثناء هبوطه من الطائرة في نيويورك فتح الكراسة النيلية، هاته الكراسة التي تعتبر الوسيط بين الابن وأمه، هاته الأخيرة المليئة بأشباح القدس، ورائحة الوطن من خلال الصندوق الخشبي المصنوع من خشب الزيتون العتيق، قرأ يوبا ما وراء الصورة والقصاصات والرسالة وعزف السوناتا لأجل أمه، هاته المقطوعة التي استعصت عليه قبلا، وفي صباح الغد يرى يوبا حمامة على النافذة كإيحاء أن أمه قد حصلت على الحرية والسلام أخيرا، بعدما تغذى تراب الأرض ونبات فلسطين من رمادها، رغم رفض السلطات الاسرائيلية.

3. حول تدبيج الرواية وظهورها:

تقول فتيحة العزوني: في اللقاء الذي جمعني به على هامش المهرجان الدولي للفيلم في طبعته الثالثة بوهران بتاريخ 23-30 جويلية 2009م، اعترف لي الكاتب أنه حضر لروايته " كريماتوريوم" بلقاءات جمعته مع فنانات تشكيليات استفاد من خبرتهن وأكد لي أن اتصاله بالفنانة المرأة له ما يبرره بالنظر إلى وضع المرأة عربيا، فضلا على أن المرأة الفنانة في تصوره أكثر هشاشة من الرجل في تعاملها مع اللون والريشة.

تتحدث الرواية عن حق الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم، فالغربة أكبر محرقة يعيشها المرء هي أن تسرق منه أرضه ويرمى على حواف المهم، وتبدو نهاية المناضل والباحث الفلسطيني إدوارد سعيد حاضرة وبقوة في ذهن الأعرج وهو يكتب سوناتا فقد مات ادوارد في إحدى مستشفيات نيويورك عام 2003م، وكانت أمنيته الأخيرة أن يدفن في القدس فرفضت إسرائيل ذلك فأوصى بحرق جثته ونثر رمادها في لبنان وهو ما تم فعلا... لكن الكاتب يضفي على الرواية رؤيته التشاؤمية بشأن تحرير القدس يوما من قبضة

الاحتلال الصهيوني البغيض مستبعدا هذا الخيار تماما على لسان مي فتقول: (تعبت، وأندم كثيرا على أني لم أبق هناك، لا لتحرير الأرض، فهذه مسألة لم تعد واردة، على الأقل بالنسبة لي، ولكن للموت فقط، والتمزق عند بوابات القدس). وعلى لسان الخالة دنيا وهي تقول لمي: (أرأيت المفتاح الخشن المعلق عند مدخل البيت؟ هل تعتقدين أنه سيفتح شيئا يوما ما؟ لا أعتقد. الأحياء تسرق واحدا بعد الآخر، بعد سنوات قليلة لن يصبح لهذا المفتاح أي معنى، باستثناء التذكر والألم.[8]

افتتح الروائي واسيني روايته بهاته الجملة متحدثا بلسان بطل الرواية: أنا لم أر القدس إلا ثلاث مرات في حياتي"، وقد صرح في العديد من اللقاءات إنما روايته سوناتا هي جزء من معاناته حين اغترب مجبرا في فترة التسعينات، لأجلها أراد أن يظهر ألم ووجع المغترب عن وطنه، ثم راح يسرد قصص الزيارات الثلاث قائلا: " أما الأولى : عندما انتابني جدي من أمي سيدي بومدين لمغيث الأندلسي، كان واقفا يتمادى بعينه بعيدا، قبل أن تحط في كفه فراشة بآلاف التدرجات والألوان، نظرت إليه مليا بعينيها الصغيرتين ثم نامت ولم تستيقظ أبدا... جرني وراءه وهو يسرع الخطى نحو حي المغاربة في عمق القدس ليبني في نهاية المسلك وراء حائط البراق مقاما جليلا، نام في حضنه بعد أن تعطر ولبس برنسه ولم يستيقظ أبدا، في الأيام التي تلت عندما زاره الذين عرفوا سرهن لم يجدوا له أثرا ، استغرب الجميع الرحيل المفاجئ لرجل أحب القدس كأكثر شيء في الدنيا[9]، إن ارتباطه بسيدي بومدين إنما تعبيرا عن أصوله الأندلسية، يقول واسيني عن أصوله: " من حظي أني وجدت جدة ذكية ونبيهة، كانت تصر على أن أطلع على اللغة العربية لسبب بسيط يعود إلى ارتباط العلاقة بيني وبين أجدادي الأندلسيين؛ لأنني من الموريسكيين الذين هاجر بعضهم إلى المنطقة العربية بالجزائر واستقر هناك".[10]

ثم استحضر الرؤيا الثانية أو ما يعتبرها هو الزيارة الثانية: وهو يعزف السوناتا على بيانو ريشاردسن القديم الذي ورثته أمه عن خالتها، تراءت له أمه من خلف ضباب الموت وهي تعبر المدينة خلف غبار الأجساد ورائحة البارود، تدور في الحارات : الحرم القدسي، قبة الصخرة، المسجد الأقصى ، باب الرحمة، حارة الشرفة، حارة اليهود في الجزء الجنوبي والشرقي للمدينة، وحارة المغاربة، حارة الأرمن وباب النبي داوود وجبل الزيتون وحارة النصارى في الجزء الشمالي الغربي، كنيسة القيامة والباب الجديد، حارة السعدية، حارة باب حطة... كانت تركض وراء الفراشات في حي المغاربة وتصيح مثل أرخميدس، وجدتها،

وجدتها، ولما سالتها ماذا وجدت يا يما؟ قالت " الألوان يا يوبا... ألوان القدس، جميعها مجتمعة في جناحي فراشة.[11]

أما الزيارة الثالثة: فكانت في أورشليم وكان محملا بثلاث جرار من رماد أمه المعجون بنوار البنفسج، أفرغ الأولى في نهر الأردن قائلا: **" لم أسمع إلا همهمات تشبه إلى حد بعيد نعيق البوم ورائحة الموتى"**. وبعثرت باقي الجرة من حي المغاربة الذي أصبح امتدادا للحي اليهودي، حتى مقام سيدي بومدين، أوقفني عسكري اسرائيلي مدجج بالأسئلة وسألني ماذا تفعل فقلت: أخط طريق أمي حتى حائط البراق ومقام جدها الأول، ابتسم ثم قال: أنت في مواجهة حائط المبكى ولا يوجد مقام، ثم سألني من أين أنت؟ أخرجت جوازي من جرابي وقدمته له، فهز رأسه بابتسامة عريضة قائلا : welcome welcome وراح يحرس المصلين ويلعب بحزام سلاحه[12].

في هاته الرؤيا إنما أراد الراوي أن يظهر كيف تغيرت حتى معالم السماء فأصبح حائط البراق حائط المبكى، وكيف أنه قد محيت معالم المقام وصار الجدار حائطا لتباكي اليهود وصلاتهم مع حارس مسلح يحرسهم، ثم درج إلى تعاون الأمريكان مع اسرائيل في عبارة (welcome welcome).

ثم راح يتحدث عن ماحل بالمقابر حين يقول: "بعد يومين من الدوران ومساعدة الدليل وجدت قبر عائلة أمي، قبر جدتي لم تكن فيه أي إشارة ما عدا خط على حجرة قديمة بالطبشور: ميرا بنت الحاج سليمان المغربي، وكنت سعيدا أني عثرت عليه لأن الكثير من المقابر أزيحت من أمكنتها وبنيت عليها نباتات ودوائر حكومية.[13]

4. القضايا التي عالجها في الرواية

أ-قضية الهوية والانتماء:

أورد واسيني في روايته مشكلة الهوية من خلال البطلة مي التي غادرت أرض الوطن إلى وطن تجهل حقيقته ومصيرها فيه، وكيف أنها تعيش حياة انفصال مع ذاتها وهويتها، فاتخذت سبيل الكتابة لكي تقاوم كل ما يحيط بها من ضغط وإحباط ومرض، فكتبت عن مجتمعها وغاصت في أعماقه[14]، وهي إنما تبحث عن هويتها وتردي المأساة الفردية والجماعية هناك في فلسطين، وعدم قدرتها على تحمل الهزيمة والنظر إلى ما يحدث في القدس، ولديها مجموعة من العوائق والصعوبات فيما بعد كإصابتها بالسرطان ورفض السلطات الاسرائيلية دفنها في القدس، لذلك تمنت قائلة: "أفضل أن أتحول إلى رماد

لأسهل نقلي إلى أرضي البعيدة التي لم أصلها وأنا حية".[15]

يقول أمين معلوف: " لكل من يتبنى هوية أكثر تعقيدا سيجد نفسه مهمشا، إن شابا يولد في فرنسا من أبوين جزائريين، يحمل في داخله انتماءين بديهيين، ويجب أن يكون قادرا على الاطلاع بكليهما سواء تعلق الأمر باللغة أو المعتقدات أو نمط العيش أو العلاقات العائلية، فإن التأثيرات الغربية تختلط بالتأثيرات العربية والمسلمة".[16] و"مي" بعدما أصيبت بالمرض راحت تسترجع زمانها الماضي المليء بالذكريات قائلة: "أشعر أحيانا بأني مطالبة باسترجاع أرض سرق منها لونها، قبل أن تسرق تربتها، وطن كان اسمه فلسطين".[17]

ب. سياسة التهجير بعد نكبة عام 1948:

قررت بريطانيا عام 1948م الانسحاب من فلسطين، وافقت الجمعية العامة على انتهاء الانتداب، وتسليم استعمار البلاد إلى اليهود، بعد ما قاموا بتهيئة العصابات الصهيونية لكي تقوم باستلامها من الانجليز، نجحت الصهيونية في سلب الجزء الأكبر من الأراضي الفلسطينية وأقامت دولتها، وقد شهد العالم أكبر عملية إجلاء وإبعاد جماعي لجماهير الشعب الفلسطيني عن طريق القتل والتدمير والتهجير.[18] تروي بطلة الرواية مي وقائع الفترة عندما أعلن الانجليز انهاء الانتداب بعد أن سلموا كل شيء لجنود الهاجاناه والأرجون والشتيرن" فرح الأهل ... وظنوا أن الانجليز صمموا أخيرا على مغادرة البلاد". لقد كانت المرحلة التي مر بها الشعب قاسية بعدما فقدوا الهوية والكيان وعاشوا مرارة التشرد والتهجير، كما أن الأحداث التي أعقبت قرار التقسيم زخرت بالعديد من المشاهد التراجيدية مما لا يزال يملأ الأذهان والنفوس بآلام وأوجاع كثيرة ، تقول مي: "بهيك بساطة قرروا تقسيم فلسطين"، "بلادنا ضاقت ولم يعد بوسعنا البقاء فيها، جزء منها أخذ بالقوة والجزء الآخر سيؤخذ بالسياسة والتقسيمات ويشرد السكان على المعمورة".[19] اندثرت الأماكن بسبب تدمير الاحتلال الاسرائيلي لجميع معالمها إذ قالت: "غيرت الحرب وفوضى الموت في فلسطين كل شيء، وشوهت مدينتي التي لا أتذكر منها شيئا سوى صوت المؤذن والقرية الآجورية التي تشبه الدم والوجوه المدبوغة ووجه أمي وطانط جينا".[20] لقد حملت الرواية الكثير من الأسئلة التي حاول الراوي الاجابة عنها من خلال نبش تاريخ هذ الوطن العريق.[21]

في ضوء هذا المعطى خروج مي من رحم القدس إلى فضاء العالم الخارجي القاسي، هذا المنفى الذي لا يمثل سوى مكان فقط، وأنها لم تغادر التاريخ بالرغم من الفاصل المكاني

المرعب الذي تعيش فيه، وبالتالي ما سيأتي ما هو إلا تاريخ فارغ، وهنا ستكون نيويورك ما هي إلا وجه مكاني آخر لفلسطين، وأن مي الفتاة الفلسطينية الأمريكية سيرة إنسان يرسم حوارا بين ماض ولى ومستقبل مرغوب.[22] " مي ...أنت تهربين من عالم ينام فيك، وكلما استيقظ شعرت به جرحا عميقا، أفكر أن ندخل من هنا إلى اسرائيل أو فلسطين، لا تهم التسميات وكنت أتمنى أن تري أهلك وتلمسي طفولتك"، وعلى لسان مي: "لا أحد لي هناك إلا القبور...أريد أن أرجع نحو مدينة تمنحني الحياة وتغبطني في طفولتي الجميلة، كيف سأتعامل مع من طردني من أرضي، وقتل أمي وأهلي؟[23]

ج- قضية التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب:

يحدث التواصل الثقافي بين عالمين مختلفين ثقافيا وحضاريا وجغرافيا وذلك بفعل الاحتكاك الذي يعتبر من أهم العوامل المساعدة على ارتقاء الوعي وتطوره، ويقصد الراوي في الرواية القدس والأندلس، والمتثملة في الشخصية الثانوية سيدي بومدين المغيث (أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي) والذي هاجر إلى الجزائر وإلى تلمسان ثم إلى المغرب ليصل إلى القدس وينشر علمه على سكان فلسطين، إذ أصبح يملك أراضي ينتفع بها المغاربة اللاجئين ثم أسس مقاما وراء حائط البراق للدلالة على المكانة التي يحتلها.[24]

الخاتمة

ستظل فلسطين هي القضية المحورية للعرب والمسلمين في الماضي والحاضر، وهي حاضرة دوما منذ ثلاثينيات القرن الماضي في كتابات النخبة الجزائرية على مختلف أطيافهم وتوجهاتهم وأسلوبهم الكتابي، تعبيرا وانتماء وكفاحا بالقلم ضد العدو الصهيوني ودفاعا عن القضية الفلسطينية، ومن الكتابات الأدبية الرواية التي تناولت القضية بأسلوب فني يجمع بين التاريخ والأدب، ومنها رواية واسيني الأعرج"سوناتا لأشباح القدس" التي صدرت عام 2009، والتي قال عنها واسيني: لم أكن قد زرت القدس قبل أن أكتبها، لكني لما زرتها أدركت أني كنت أعرفها من قبل.

الهوامش والإحالات:

1- يوسف وغليسي، **النقد العربي المعاصر من اللانسوية والألسنية**، دار البشائر للنشر والتوزيع، 2002م، ص210.

2- واسيني الأعرج، **حوار في جريدة صوت الأحرار**، الجزائر، ع3480، 2008، ص17.

3- وردة شمسة، هدى جابر، **رمزية الألوان في رواية " كريماتوريوم سوناتا أشباح القدس لواسيني الأعرج**، ماستر في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة الشهيد مة لخضر، الوادي، 2020م، ص .24

4- وردة شمسة، هدى جابر، **مرجع سابق**، ص 25.

5- مريم قزولة، **تجربة واسيني الأعرج بين الوعي الإبداعي والحس النقدي**، مذكرة ماستر في النقد الأدبي الحديث، كلية الآداب واللغات والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، ص.13

6- A'raj, Wasini al- (1954–) - PERSONAL HISTORY, BIOGRAPHICAL HIGHLIGHTS, PERSONAL CHRONOLOGY:, INFLUENCES AND CONTRIBUTIONS, Early Novels; First Period, CONTEMPORARIES - JRank Articles http://encyclopedia.jrank.org/articles/pages/

7- مريم قزولة، مرجع سابق، ص ص8-.9

8- محمد فتحي عبد العال، **قراءة في رواية سوناتا لأشباح القدس**، صحيفة المثقف، ع2022،5883م، الرابط: https://www.almothaqaf.com/

9- واسيني الأعرج، **سوناتا لأشباح القدس**، ط1، دار الآداب، بيروت، 2009م ، ص ص7-.8

10- كمال الرياحي، "واسيني الأعرج الشعر إلى الزوال والرواية أبقى"، **مجلة عمان الأردن**، ع25، 2008، ص.31

11- واسيني الأعرج، مرجع سابق، ص8-.9

12- واسيني الأعرج، مرجع سابق، ص.8

13- واسيني الأعرج، مرجع سابق، ص11-.12

14- عدلان رويدي، "الرواية وحوار الأنساق الثقافية- قراءة في رواية كريماتوريوم سوناتا أشباح القدس لواسيني الأعرج"، **مجلة المخبر**، ع10، مج1، 2014م، ص ص 414-.416

15- واسيني الأعرج، مرجع سابق، ص .155

16- أمين معلوف، **الهويات القاتلة قراءة في الانتماء والعولمة**، ط1، دار ورد للطباعة والنشر، تر: نبيل محسن، دمشق، 1999م، ص .8

17- واسيني الأعرج، المرجع سابق ، ص.153

18- عدلان رويدي، المرجع السابق، ص.423

19- واسيني الأعرج، المرجع السابق، ص .177

20- نفسه، ص.15

21- نفسه، ص ص 124-126.

22- عبد الوهاب بوشليحة، المنفى الاغترابي (قراءة في رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس)، **مجلة اشكالات**، ع6، ديسمبر 2014، ص.6

23- واسيني الأعرج، المرجع السابق، ص .377

24- سليمة بكاكرية، **"سردية التاريخ في رو اية كريماتوريوم" سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج أنموذجا"** ، مذكرة ماستر في تحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة، 2014 م، ص 47.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
◘ تقديم الكتاب : أ.د.علي غنابزية.	05
القسم الأول: إدراك الجزائريين خطر الصهيونية على فلسطين	
◘ العلاقات الجزائرية الفلسطينية ومظاهرها 1900- 1948- قراءة تاريخية – ✍ د. فاتح باهي(جامعة الوادي)	17
◘ قراءة في مقال الصحفي الجزائري عمر راسم في الرد على الشيخ محمد رشيد رضا سنة 1914 حول الدولة اليهودية. ✍ أ.د.علي غنابزية (جامعة الوادي)	29
◘ انتفاضة قسنطينة ضد اليهود 1934 وعلاقتها بالقضية الفلسطينية بين رد الفعل العاطفي والتوجيه النخبوي. ✍ د.عبد القادر كركار (جامعة الوادي)	37
◘ مشاركة الجزائريين في حرب 1948. ✍ ط .د. أيوب شرقي(جامعة البليدة2)	45
◘ محمود الأطرش أو المغربي... مناضل فلسطيني يساري مقدسي المولد جزائري الأصل. ✍ د. الطاهر سبقاق (جامعة الوادي)	53
◘ موقف النخبة الجزائرية من أعلام الإصلاح حول مشروع التقسيم وقيام دولة إسرائيل(1931-1948). ✍ ط.د. حنكة حواء (جامعة الوادي)	59
القسم الثاني: مو اقف تيارات الحركة الوطنية حول قضية فلسطين	69
◘ موقف حركة انتصار الحريات الديمقراطية من تقسيم فلسطين 1947 - موقف مصالي الحاج أنموذجا. ✍ ط.د. العاشوري موسى (جامعة سوسة -تونس)	71
◘ جمعية العلماء وقضية فلسطين. ✍ د. الطاهر فرحات (جامعة الوادي)	79

◘ اهتمامات النخبة الإصلاحية الجزائرية بالقضية الفلسطينية (1930-1954). ✍ د. محمد الطيب رزوق (المدرسة العليا للأساتذة -سطيف)	**83**
◘ موقف الحركة الوطنية في الجزائر من الكيان الصهيوني - قضية الكاتب قادة بوطارن أنموذجا ـ 1948م. ✍ ط .د وردة عي (جامعة الوادي)	**95**
القسم الثالث: مو اقف العلماء والدعاة في الجز ائر حول قضية فلسطين	**101**
◘ موقف الشيخ محمد السعيد الزاهري في بداية الثلاثينيات من الصهيونية التي احتلت فلسطين واعتدت على اللغة العربية. ✍ أ.د.علي غنابزية(جامعة الوادي)	**103**
◘ مالك بن نبي والقضية الفلسطينية البحث عن جذور النكبة .. وتلمس لطريق الخلاص. ✍ د. محمد العيد قدع (جامعة الوادي)	**111**
◘ مواقف النّخبة الجزائرية من الأساليب الصهيونية المطبّقة على الفلسطينيين 1990-2000 - الشيخ محفوظ نحناح أنموذج- ✍ د. فاتح باهي (جامعة الوادي)	**119**
◘ نشاطات الطيب العقبي الداعمة لقضية فلسطين في ظل الانتداب البريطاني. ✍ د. نور الدين مهي (جامعة الوادي)	**129**
◘ موقف أحمد توفيق المدني من القضية الفلسطينية. ✍ د. علي شعوة (جامعة الوادي)	**139**
القسم الر ابع: مو اقف السياسيين الجز ائريين من قضية فلسطين	
◘ مواقف الرئيس هواري بومدين من قضية فلسطين من خلال موسوعة اليوميات الفلسطينية. ✍ د.محمد بك (جامعة الوادي)	**151**
◘ الجزائر والحرب العربية الإسرائيلية سنة 1967 من خلال رواية العقيد الطاهر زبيري. ✍ د. محمد الحاكم بن عون (جامعة الوادي)	**161**

◘ مواقف الراحل عبد الحميد مهري من القضية الفلسطينية.

✍ أ. د . محمد السعيد عقيب (جامعة الوادي) **169**

◘ موقف الجزائر حكومة وشعبا من مسار التسوية والتطبيع.

✍ د.الطاهر فرحات (جامعة الوادي) **179**

القسم الخامس: الصحافة الجزائرية وقضية فلسطين

◘ مواقف الصحافة الجزائرية من ميلاد إسرائيل (صحيفة المغرب العربي أنموذجا).

✍ د. محمد بك (جامعة عنابة) **185**

◘ انطلاق الانتفاضة الفلسطينية سنتي (1987-1988) من خلال كتابات النخبة الصحفية في مجلة المجاهد الجزائرية.

✍ أ.د.علي غنابزية (جامعة الوادي) **191**

◘ التغطية الاعلامية للقضية الفلسطينية في الصحافة الجزائرية الرسمية - جريدة الشعب أنموذجا.

✍ د.هابة طارق (جامعة الوادي) **201**

◘ أبو اليقظان وجهاده الصحفي حول القضية الفلسطينية –جريدة ميزاب أنموذجا 1930-

✍ ط.د. الحبيب سالم (جامعة البليدة) **211**

◘ جريدتي المساواة " égalité"و الجمهورية الجزائرية " République Algérienne" وقضية فلسطين (1947 – 1948).

✍ د. محمد بك (جامعة عنابة) **219**

القسم السادس: كتابات الجزائريين حول قضية فلسطين **225**

◘ نماذج من كتابات النخب الثقافية بوادي سوف حول قضية فلسطين في بدايات القرن الحالي.

✍أ.د.علي غنابزية (جامعة الوادي) **227**

◘ جمعية العلماء وقضية فلسطين من خلال الكتابة الشعرية "لمحمد العيد آل خليفة".

✍ د.الطاهر فرحات (جامعة الوادي) **247**

◘ القضية الفلسطينية في شعر الشيخ أحمد سحنون.	
✍ د. شعوة علي (جامعة الوادي)	**251**
◘ دور النخبة الإصلاحية من خلال الخطاب النثري في دعم القضية الفلسطينية.	
✍ د.الطاهر فرحات (جامعة الوادي)	**259**
◘ نموذجان من الشعر الفصيح والملحون لشخصيتين من النخبة الجزائرية بمنطقة وادي سوف -العروسي حويتي والهادي جاب الله- عن القضية الفلسطينية.	
✍ د. يوسف زغوان (جامعة الوادي)	**265**
◘ الأعرج وقضية الهوية والاغتراب بعد نكبة عام 1948م - رواية سوناتا لأشباح القدس أنموذجا .	
✍ ط.د. حواء حنكة (جامعة الوادي)	**271**
◘ **فهرس الموضوعات**	**281**